بلاغة الالتفات عند أبي السعود
فــي تفسيــره إرشــاد العقــل السليــم

إعداد

فادي عون إبراهيم الشامي

المشرف

الدكتور أحمد إسماعيل نوفل

قدمت هذه الرسالة استكمالا لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير فــي التفسير

كلية الدراسات العليا
الجامعة الأردنية

كانون الثاني، ٢٠٠٨

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

قرار لجنة المناقشة

نوقشت هذه الرسالة / الأطروحة (بلاغة الالتفات عند أبي السعود في تفسيره إرشاد العقل السليم) وأجيزت بتاريخ ٣/١/٢٠٠٨م.

أعضاء لجنة المناقشة	التوقيـــــــــع
الدكتور أحمد إسماعيل نوفل/ مشرفا أستاذ مشارك–تفسير – أصول الدين	....
الدكتور محمد خازر المجالي/ عضوا أستاذ – تفسير – أصول الدين	....
الدكتور محمد حسن عواد/ عضوا أستاذ – اللغة العربية – الآداب	....
الدكتور أمين محمد المناسية / عضواً أستاذ مشارك تفسير (جامعة مؤتة)	....

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الإهـــــداء

إلى سيدي وحبيبي رسول الله صلى الله عليه وسلم

ثم إلى أصحاب الفضل علي، عرفاناً لهم ووفاءً لأفضالهم وإن كنت أتوق لتسميتهم

تنصيصاً لفضلهم وتخصيصاً لهم بالثناء

ولكن ليقضي الله أمراً كان مفعولاً

وما لا يدرك كله لا يترك جله

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الشكر

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الخلق والمرسلين سيدناً محمد وعلى آله وصحبه الغر الميامين، وبعد،،،

فلقد كان من هدي الحبيب صلى الله عليه وسلم أن يَرجِع الفضل لأصحابه، وأن يجازي بالمعروف معروفاً، ولقد علمناً أن من لا يشكر الناس لا يشكر الله، وأن القائل لذوي المعروف جزاك الله خيراً فقد أجزل في العطاء.

فلمن كان له فضل علي ممن لا أسميه مع توقي إلى ذلك، ولسيدي وشيخي وأستاذي الدكتور فضل حسن عباس، ووالدي -جعلني الله براً بهما-، وشقيقي وشقيقاتي، ومشرفي الأستاذ الدكتور أحمد نوفل الذي منحني ثقته التي أعتز بها وأستاذي الدكتور مصطفى المشني صاحب المعروف السابق والفضل اللاحق، وغيرهم من أساتذتي الذين أدين لهم بالعرفان، وللمهندس علي عبد الله وزوجه الدكتورة أمل إسماعيل، والدكتور مشهور مشاهرة، وأستاذي مثقال أبو عبدون، ود. محمد عبد الجواد النتشة، والسيد عبد الناصر الهشلمون،،،

وإخواني في الله إبراهيم الهندي الذي أدين له بتنسيق الرسالة وغير ذلك مما لا أسميه من الأفضال، وعبد الرحمن الزميلي الذي أعانني في تجميع المادة من مصادرها، وإخواني في نادي اليرموك من قادة مجموعة خالد بن الوليد الكشفية الذين لم يتوانوا في مد يد العون متى احتجتها، وفضلهم علي في الدعاء ثابت مقر، وأسمي منهم الأخوين الكبيرين منذر الزميلي والحسن علي نصر، وحباب الزميلي ومعاذ الزميلي وأنس العتر وأنس الخالوصي وبشير الحسن وعمرو التهتموني وصقر عموري،،،

وإخواني من طلاب كلية الشريعة الذين مافتئوا يذكرونني بالدعاء ويعاونوني كلما احتجت إلى ذلك، وأسمي منهم موسى عمرو وعلي العمري ومحمد فوزي،،،

وأخي محمد الحوتري ومعتز الزيناوي، وزملائي وأساتذتي في الإدارة العامة في أكاديمية الرواد الدولية،،،

فإلى أولئك أقول جزاكم الله عني كل خير، وأجزل لكم المثوبة والعطاء.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فهرس المحتويات

الموضوع	الصفحة
قرار لجنة المناقشة	ب
إهداء	ج
الشكر	د
فهرس المحتويات	هـ
قائمة الجداول	ز
الملخص بالعربية.................................	ح
المقدمة	١
الفصل الأول: أبو السعود ومنهجه في التفسير	٤
المبحث الأول: ترجمة أبي السعود العمادي	٥
المطلب الأول: تعريف بأبي السعود	٦
المطلب الثاني: منزلته العلمية	١٢
المبحث الثاني: منهجه في التفسير	١٦
المطلب الأول: أصول المنهج	١٧
المطلب الثاني: عنايته بالقضاياَ النحوية والبلاغية	٢٢
الفصل الثاني: تاريخ الالتفات وتعريفه	٢٥
المبحث الأول: الالتفات نشأته وتطوره	٢٦
المطلب الأول: تاريخ الالتفات	٢٦
الالتفات في الاستعمال العربي القديم	٢٨
الالتفات في كتابات العلماء	٣٢
المطلب الثاني : معنى الالتفات ومدى صلته بعلمي المعاني والبديع	٤٢
تعريف الالتفات في الاصطلاح البلاغي واستقراره	٤٥
صلة الالتفات بعلمي المعاني والبديع	٥٧
الالتفات بعد استقرار المصطلح	٥٩
المتأرجحون.	٦٠
من عد الالتفات من المعاني	٦٣
من عده من البديع	٦٤
من عد الالتفات من البيان.................................	٦٦
القول المختار	٦٧
منزلة الالتفات البلاغية	٦٩
المبحث الثاني: أقسام الالتفات وأغراضه البلاغية..................	٧١

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المطلب الأول: أقسام الالتفات.. ٧١

المطلب الثاني: أغراض الالتفات البلاغية عند العلماء........................ ٧٥

الفصل الثالث: بين النظرية والتطبيق....................................... ٧٧

المبحث الأول: الالتفات عند أبي السعود.................................... ٧٨

المطلب الأول: مصادر أبي السعود البلاغية.................................. ٧٨

المطلب الثاني: مفهوم الالتفات عند أبي السعود ٨٥

وقفة بين التلوين والالتفات.. ٨٨

طرق التعبير عن الالتفات عند أبي السعود.................................... ٩١

المبحث الثاني: الدراسة التطبيقية لأقسام الالتفات وأغراضه عند أبي السعود... ٩٤

المطلب الأول: الأغراض العامة.. ٩٥

وقفة بين الزمخشري وابن الأثير ٩٧

أغراض الالتفات العامة عند أبي السعود ١٠٠

المطلب الثاني أغراض الالتفات الخاصة ١٠١

أغراض الانتقال من الغيبة إلى الخطاب...................................... ١٠٣

أغراض الانتقال من الخطاب إلى الغيبة...................................... ١١٩

أغراض الانتقال من التكلم إلى الغيبة....................................... ١٣٢

أغراض الالتفات من الغيبة إلى التكلم....................................... ١٤٧

أغراض الانتقال من التكلم إلى الخطاب ١٥٧

خلاصة في الأغراض ١٥٩

المبحث الثالث: القيمة العلمية لدراسة أبي السعود للالتفات.................. ١٦٠

المطلب الأول: التجديد عند أبي السعود في دراسة الالتفات.................. ١٦٢

استدراكات أبي السعود على سابقيه من العلماء في مواضع الالتفات ١٦٤

استدراكاته على سابقيه في الأغراض والمقاصد ١٦٧

المطلب الثاني: تأثر من جاء بعده به في هذا العلم........................... ١٧٠

جداول المواضع... ١٧٩

الخاتمة.. ١٩٥

المراجع والمصادر ١٩٨

الملخص باللغة الإنجليزية ٢٠٦

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

قائمة الجداول

الرقم	عنوان الجدول	الصفحة
١	ثبت بمواضع الالتفات في القرآن الكريم وعند أبي السعود.	١٧٩

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بلاغة الالتفات عند أبي السعود
فـــي تفسيـــره إرشـــاد العقـــل السليـــم

إعداد
فادي عون إبراهيم الشامي

المشرف
الدكتور أحمد إسماعيل نوفل

ملخص

تهدف هذه الرسالة إلى دراسة جانب من جوانب الإعجاز الأسلوبي في القرآن الكريم، ألا وهو أسلوب الالتفات وأغراضه البلاغية، وذلك من خلال التركيز على جانبه التطبيقي كما ورد في تفسير أبي السعود العمادي الذي عاش في القرن العاشر الهجري.

وتستعرض هذه الرسالة منهج أبي السعود العمادي في التفسير، كما تمر على تاريخ الالتفات واختلاف العلماء فيه قبل استقرار المصطلح وبعده، ثم تعرض لأغراض الالتفات البلاغية الخاصة والعامة عند العلماء، ثم تستقرئ أغراضه عند أبي السعود، مشيرة إلى من أخذ عنهم أبو السعود، ومنوهة على من أفاد منه.

كما اشتملت الرسالة في آخر فصل من فصولها على جدول احتوى على مواضع الالتفات في القرآن الكريم، مثبتا فيها على حد قول الطالب ما توقف عنده أبو السعود من مواضع وما أهمله.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المقدمة

الحمد لله منزل الكتاب، جاعل آياته آيات – معجزات– تلقاها المتذوق العارف بأساليب العرب بالتسليم والإعجاب، متضمنة موضوعات مختلفة متباينة وأترابا، مسوقة بألفاظ معجزة خالية من الإيحاش والإغراب،،،

والصلاة والسلام على خير مخلوق من تراب، المبعوث للناس كافةً بشيراً ونذيراً بين يدي الرحمة والعذاب، المجلي لما جاء في الكتاب من غريب بإجمال وإسهاب، المسرى عنه بما كان في القرآن من نظم بديع ولفظ رفيع وغير ذلك من فنون الخطاب، الملون بأسلوب سوقها ونظمها من باب إلى باب، صلاة وسلاما إلى يوم تنقطع فيه العلائق بين مسبَّبَات وأسباب،،،

وعلى آله وصحبه الرفقة النجب، المنزلين بين الخلائق منزلة النجوم والشهب، أنوار الهداية، ومفاتيح الدراية، وعلى أتباعهم إلى يوم الدين،،،

وبعد، فلقد تنوعت في الكتاب الكريم أساليب سوق الكلام، تنوعاً فيه ما فيه من أضرب الافتنان، وسلوك مسالك البراعة حسبما يقتضيه المقام، متساوقة على ما فيها من تنوع بتناسق وانسجام، مشكلة من مجموعها قطعة على هيئة متراشقة القوام، بديعة الألفاظ والتعابير تسبي الأفهام.

هكذا كان شأن النظم الكريم، وهو معلوم لدى سامعيه في تلك الأزمان، فخلف من بعدهم خلف غاب عنهم خروج ذلك الكلام عما عهدوا من الأوزان، وتصرفه في وجوه المعاني بأصل الدلالة أو فيما يقتضي المقام، فاستثقلوا لفظه واستشكلوا معناه، وكل ذلك لأنهم لم يسبروا من أودية الكلام ما سبره سابقوهم، ولم يسلكوا من الأغوار إلا سهلاً مكتفين بما ظهر لهم من فاكهة، فاستغنوا بها عما ذاقه من خاض الغمار، من حلاوة وفاكهة وألوان الثمار، فلم يأخذوا من علم الكتاب إلا لآلئ الأطراف، أما واسطة العقود فقد حازها قوم ركبوا الأمواج، وسلكوا طرقها في الأغوار ومن بين الفجاج، فحازوها علماً وفهماً وتذوقاً، وراحوا يصفونها للناس بألطف التعابير، لكن الخبر ليس كالمعاينة، ومن ذاق عرف.

ومن تلك الأساليب كان الالتفات، وقد كان للباحث تتبع لوصوفهم له، ليقف على ما فات غيرهم من إدراك لأسراره، ويبين ما جاء في مصنفاتهم من كشف لدقة الأساليب ونكت اختياره، خاصاً الدراسة بمنهج أحدهم من علماء التفسير، وهو أبو السعود العمادي شيخ الإسلام ومفتي الأنام العالم النحرير، لأمرين اثنين، أحدهما إعجاب بصنيعه في

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

التفسير، وما أوتي من قوة بيان لمختلف الأقاويل، وثانيهما محبة ألقاها الله في قلبي لصاحب الفضل المعروف، حتى غدوت به مشغوفا، ولعلمه متعطشا، فاخترت تفسيره عرفاناً بالجميل، وتقرباً إلى الله بالعلم الفضيل، وإسكاناً لقلبي العليل.

ولقد سلك الباحث في ذلك النهج العلمي، فبدأ بحثه بعد التقديم بالتأريخ لمن اختار أن تكون الدراسة في كتابه، ذاكراً فضله ومحتجاً لمكانته، ومنوها على منزلة كتابه العلمية، ومشيراً إلى طريقته في التفسير وذكر المسائل البلاغية.

وثنى بالتأريخ للالتفات وذكر كافة متعلقاته التي تقتضيها الدراسة العلمية، من حيث استعماله قبل ضبطه في المصطلح، ووروده في كتابات العلماء من أهل هذا الفن.

ثم وقف عند مباحثه المنطقية من حيث ضبط المصطلح وتصنيفه وأقسامه وأغراضه العامة والخاصة.

ثم شرع بدراسة أبي السعود للالتفات، مبيناً ضبطه للمصطلح، متوقفاً على أغراض الالتفات عنده، مشيراً إلى قيمة دراسته العلمية وما أفاده منها من جاء بعده.

هذا وقد واجهت الباحث في دراسته للالتفات طائفة من الصعوبات، أجلاها قلة المراجع المتحدثة عنه، وصعوبة الوصول إلى قول العلماء فيه، وتعدد تسمياته بين المتناولين له أو المشيرين إليه، إلى غير ذلك مما يجده المرء في هذا العصر ممن يهتم بأمور المسلمين وتعنيه أحوالهم.

وما هون عليه في كل ذلك هو فضل الله الجزيل، ودعاء الصالحين الذين يدين لهم بالجميل، وما رآه من إنجاز لأئمة الإسلام وأعلام الهدى، في عصور الضعف، فكبرى مصنفاتنا العلمية موضوعة في تلك الحقبة التاريخية.

وأجلى من ذلك كله عون الله وتيسيره، وصدق من قال:

إذا لم يكن عون من الله للفتى　　　فأول ما يجني عليه اجتهاده

وفي ختام هذا التقديم أتوجه إلى الله تعالى بالحمد والشكر على ما تفضل به علي، مقراً أن هذا العمل لا يخلو من كونه جهداً بشرياً يعتريه سائر ما يعتري الجهود من إصابة في موضوع وزلة في مواضع، فما كان من إصابة فبفضل الله وفتحه وما كان من زلة فبقصور العبد وجهله، فإن كانت الأولى فهي غاية المقصد ونهاية المطلب وفيها من الله الأجران، وإن كانت الثانية فلن يعدم الباحث من الله أجراً ومنكم الرفق والتقويم، معتذراً إليكم بداية عن ضعف الحال، وقلة البضاعة في حسن المقال، إلا أنه بذلك قد احتذي حذو من كانت لهم عصا السبق في هذا الميدان، متمثلاً قول القائل :-

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أسير خلف ركاب النُّجْبِ ذا عرج مؤملاً كشف ما لاقيت من عوج
فإن لحقت بهم من بعـــد ما سبقوا فكم لرب الورى في ذاك من فرج
وإن بقيت بظـــهر الأرض منقطعاً فما على أعرج في ذاك من حرج

كما أعتذر عن تفصيلي للمجملات، وبسطي لكل المفــردات، وإن كنـــت أرغـــب بالإجمال، حتى لا أعيي القارئ بالنظر إلى التفاصيل، إن رأى نفسه مكتفيـــاً ممـــا ذكـــر بالقليل، دون إسهاب وتطويل، أو مستغنياً عن كل ما ذكر لهوان ذلك في عينـــه، أو عـــدم روقان المعاني لديه، لكنني جنحت إلى المسلك الآخر قصداً لإزالة ما قد يطرأ من إشكال، وأعدم الحاجة للرجوع إلى المصادر إن أعيا شيء في المقال .

فكان هذا الجهد المبسوط بين أيديكم، والحمد لله على ما يولينا ويوليكم.

والله يجزي أهل الخير عنا خيراً ويصلي على نبينا ويسلم عليه كثيراً.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الأول: أبو السعود ومنهجه في التفسير

❖ **المبحث الأول:** ترجمة أبي السعود العمادي

- المطلب الأول: تعريف بأبي السعود
  - اسمه ونسبه
  - الحياة العلمية والثقافية في عصره وتأثره بها
  - حياته العلمية
  - مخلفاته العلمية
  - وفاته
- المطلب الثاني: منزلته العلمية
  - دوره في البلاغة
  - المكانة العلمية لكتابه

❖ **المبحث الثاني:** منهجه في التفسير

- المطلب الأول: أصول المنهج.
- المطلب الثاني: عنايته بالقضاياً النحوية والبلاغية.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المبحث الأول

ترجمة أبي السعود العمادي

قليلة هي المراجع التي تحدثت عن أبي السعود العمادي، ووافرة هي رغم قلتها بما يوجب له الحكم بالفضائل، ويلحقه من بين أقرانه بركب الأوائل، ولا عجب من ذلك، فإن لله على مر الأيام رجالاً، يصدقونه في المقال، ويخلصون له الأعمال، فيقضي لهم فضلا منه بالاشتهار، حتى يعم صيت واحدهم الأقطار، فيقصده من كل زمان خيرة أهله، راغبين لما في يديه من العلم إقراراً بفضله، وتضنى في ضرب المسير له الإبل، ليحظى من يلقاه منهم بعموم النحل، وممن كان منهم على هذه الشاكلة، سيدي شيخ الإسلام ذو الشمائل الفاضلة، والمزاياً الزاخرة، والعزيمة الفاخرة، مفتي الديار الرومية، أبو السعود العمادي.

وهو رغم ذكره القليل في كتب التأريخ كما أشرنا، حري أن تفرد لمثله الدراسات، وتصنف في بيان علمه المصنفات، لينتفع به الخلق على الوجه اللائق بما خلف لهم من التراث الفائق، والباحث ورغم إقراره بهذه الحقيقة ليبسط عذره بين يدي تقصيره في الترجمة، إذ إن مقصد الرسالة عن هذا الغرض بمعزل، إلا أن ما لا يدرك كله لا يترك جله.

فاختار أن يجعل الحديث فيها جارياً على النهج المعتاد، ذاكراً ما يوجب له التميز بين أقرانه، معرجاً لشهادات العلماء في حقه، عارضاً لمنهجه في كتابه الذي كتب له البروز والظهور، وحفظ نجمه في سماء أمتنا من الأفول.

وإنما اختار الباحث أن يبدأ الترجمة بهذه الطريقة –رغم ما فيها من الخروج عن النهج العلمي المعتاد–، رغبة في محاكاة ما عند الشيخ من العبارة الرقيقة التي دونها خرط القتاد، وإكساء للكلام من فضلة لفظه ما تتزيا به الرسالة وتتحلى، فالمتزيي بزي المحبوب محبوب.

وهو إذ يسلك هذه المسالك ليدرك ضعفه في هذا المقام، ويقر بأن قياسها –يعني ما كتبه هنا– بغرضه –في المحاكاة– مما لا يصح في النظر، فشتان بين من لاك البلاغة بما بين لحييه فجاء كلامه سهلاً على سليقته، رسلاً في حقيقته، جزلاً في طريقته، ومن هو على أدراجها صاعد يعييه تلكف العبارة، ويرهقه وعورة مخرجها، ويحار بدقة مسلكها.

إلا أن من لا يخوض هذا الغمار؛ لا يدرك فضل الكلام، ولا يعرف له ميزة ولا لأهله شرفا، فحق للباحث اقتحام الميدان وشق الغبار فيه، وقوفاً على أغراضهم في صنوف الكلام وطلباً لتلك الأسرار عندهم، والله الموفق والمعين والجابر للعثرات.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المطلب الأول: تعريف بأبي السعود

- اسمه ونسبه وولادته:

هو محمد بن محيي الدين محمد بن مصطفى الأسكليبي العمادي الحنفي، شيخ الإسلام أبو السعود الرومي، وفي هدية العارفين قيل إن اسمه أحمد[١]، ولد في صفر سنة ست وتسعين وثمانمئة للهجرة[٢]، وقيل سنة ثمان وتسعين وثمانمئة للهجرة، بقرية قريبة من القسطنطينية تسمى (اسكليب) نسبة إلى قصبة من نواحي الروم المشهورة. وكنيته "أبو السعود".

- صفته :

كان طويل القامة ، خفيف العارضين ، غير متكلف في الطعام واللباس ، غير أن فيه نوع اكتراث بمداراة الناس والميل الزائد لأرباب الرئاسة[٣].

- عصره:

وعصر أبي السعود عصر جهاد وفتوحات وغزوات وصلت فيه الدولة العثمانية إلى ذروة مجدها في ثلاث قارات – آسياً وأوروباً وإفريقياً – ، وكان سلاطين آل عثمان من أول أمرهم يعتنون بكل العلماء ، ويهتمون بالمصالح المتعلقة بأمور الدين ولم يفصلوا بين الدين والسياسة ، واستمرت سطوتهم ستة قرون.

وقد ولد أبو السعود في فترة تعرف بدور الفتوحات والتوسعات، وبرز فيها أربعة سلاطين صنعوا الدولة وحولوها إلى إمبراطورية كبرى – ذات ثقل دولي مرهوبة الجانب – وهم :

١. السلطان محمد الأول (١٤١٣ – ١٤٢١) م ، الذي حدد بنيان الدولة وأنقذها من واقعة الدمار والفناء والتي هزم فيها والده بايزيد أمام تيمور لنك.
٢. ثم السلطان محمد الفاتح (١٤٤٤ – ١٤٨١) م الذي فتح القسطنطينية ، وأنهى الدولة البيزنطية.
٣. والسلطان سليم الأول (١٥١٢ – ١٥٢٠) م الذي أنهى النفوذ الفارسي وقضى على الدولة المملوكية في مصر والشام وأخضع سورياً ومصر .

1- البغدادي، إسماعيل بن محمد الباباني، هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، دار الفكر، القاهرة، ١٩٨٢م (٢: ٨١)

2- طبقات المفسرين (١: ١٣١)

3- الحنبلي، ابن العماد، (ت ١٠٨٩هـ). شذرات الذهب. ط١، ٤م (٤ : ٥٨٥).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٤. ثم السلطان سليمان القانوني (١٥٢٠ – ١٥٦٦) م الذي جعل الهلال العثماني يخفق فوق جبال القفقاس واليمن وعلى سواحل الدانوب وفوق أمواج النيل [١].

ومن الأعلام الكبار الذين عاصرهم العلامة أبو السعود نذكر :

١. ناصر الدين محمد المعروف بابن أبي الجواد. قال صاحب الكواكب السائرة: (قال الوالد: قرأ علي من (الترمذي) إلى كتاب الصلاة، والبردة، والمنفرجة ... وغير ذلك وأجزته ، مولده سنة تسع عشرة وتسعمئة "[٢] .
٢. سراج الدين عمر بن عبد الوهاب الناشريّ اليمني الشافعي. قال في النور السافر: (وكان إماما علامة) [٣].
٣. عبد القادر بن أحمد الفاكهي المكي الشافعي . قال في النور السافر: (كان إماما عالما وله تصانيف كثيرة لا تحصى ، منها شرحان على البداية للغزالي) [٤].
٤. محمد بن عبدالله بن علي الشيخ العلاّمة الشنشوري المصري الشافعي[٥]، أخذ عن الجلال السيوطي والقاضي زكرياً والديمي والقلقشندي، وله مؤلفات في الفرائض "[٦].
٥. الشيخ شهاب الدين أحمد الطيبي الإمام العلامة، كان إماما بجامع بني أمية، علامة محدثاً فاضلا [٧].

1- عامر، أ د. محمد علي. تاريخ الامبراطورية العثمانية : دراسة تاريخية اجتماعية، ط١، ام، دار الصفدي، ٢٠٠٤م. ص٢٤٦.
2- الشذرات ، ص٥٨٣ .
3- المصدر نفسه ، ص٥٨٢ .
4- المصدر نفسه ، ص٥٨٢ .
5- المصدر نفسه ، ص٥٨٢ .
6- المصدر نفسه ، ص٥٧٨.
7- المصدر نفسه ، ص٥٧٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- حياته العلمية:

عاش أبو السعود في القرن العاشر الهجري في عهد الدولة العثمانية، ونشأ في بيت عرف أهله بالعلم والفضل، حتى قال بعضهم فيه: تَربَّى فى حجر العلم حتى رَبَا، وارتضع ثدى الفضل إلى أن ترعرع وحَبَا، ولا زال يخدم العلوم الشريفة حتى رحب باعه، وامتد ساعده واشتد اتساعه.

فوالده صاحب الإرشاد محيي الدين محمد بن مصطفى العمادي ، ولقد قرأ أبو السعود عليه حاشية التجريد وشرح المفتاح وشرح المواقف من أوله إلى آخره، وهو رغم تأثره به في العلوم لم يسلك مسلكه في التصوف، حيث كان والده ينتمي إلى إحدى الطرق الصوفية في زمانه، إلا أن أبا السعود لم ينشغل بالتصوف ألبتة، بل كان على الطرف الآخر منهم، وفتاويه فيهم مشهورة.

وقرأ أيضاً على غيره من علماء عصره الذين أفاد منهم علما جما.

عرف بين أقرانه بأنه (أبو حنيفة) الثاني والمعلم الثاني وخطيب المفسرين.

وعين لأول مرة مدرساً في مدرسة إسحاق باشاً ، ثم انتقل إلى عدة مدارس أخرى، ثم قلّد القضاء في بروسة ، ثم نُقل إلى قضاء القسطنطينية، ثم صار قاضياً للعسكر في الروم إيلي، ودام على قضائها مدة ثمان سنين، ثم ارتقى إلى منصب المفتي وشيخ الإسلام في الدولة العثمانية، وظل في هذا المنصب ثلاثين سنة، أظهر فيها الدقة العلمية التامة، والبراعة فى الفتوى والتفنن فيها.

وقد ذكروا عنه أنه كان يكتب جواب الفتوى على منوال ما يكتبه السائل من الخطاب، فإن كان السؤال منظوما، كان الجواب منظوما كذلك، مع الاتفاق بينهما فى الوزن والقافية، وإن كان السؤال نثراً مسجعاً، كان الجواب مثله، وإن كان بلغة العرب فالجواب بلغة العرب، وإن كان بلغة التُرْك، فالجواب بلغة التُرْك، وهكذا مما يشهد للرجل بسعة أُفقه وغزارة مادته.

وخلف أبو السعود عدة مصنفات في العقيدة والتفسير والفقه والشعر، وكان يكتب بثلاث لغات: العربية والتركية والفارسية، وتتميز كتاباته بالأسلوب العالي الرفيع، وكان يكثر من العبارات المسجوعة، وقد تفوق على علماء عصره وحقبته في الأدب ، وعظمة الأسلوب وتناسب البيان والأشعار العربية.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وهو ممن حارب الصوفية والشيعة محاربة شديدة ببيانه وسنانه، وقد أصدر الفتاوى ضدهم ، وجعل سيف السلطان مسلطاً عليهم ، وقد أفتى بقتل ثلاثة من غلاة الصوفية القائلين بوحدة الوجود ورفع التكليف.

وأفتى بأن فرق الشيعة كلها في النار، وأن الرافضة أخذوا من كل الفرق مقداراً من الشر والفساد بحسب أهوائهم ، فاخترعوا مذهباً كله كفر وضلالة ، ومن يشك في كفرهم فهو كافر.

وهو فوق ذلك شاعر مجيد ذو حس مرهف ونفس تقول الشعر منسابة انسياب الماء النمير، ومن شعره القصيدة المشهورة التي أولها: –من الطويل–

أبعد سليمى مطلب ومرام — وغير هواها لوعة وغرام
وفوق حماها ملجأ ومثابة — ودون ذراها موقف ومقام
وهيهات أن يثنى إلى غير بابها — عنان المطايا أو يشد حزام

ومن محاسنها، قوله:

فكم عسرة ما أورثت غير عسرة — ورب كلام مقتضاه كلام

ولقد خدمها الأفاضل، فمنهم من خمسها، ومنهم من شرحها.

- شيوخه :
  - والده : وقرأ عليه كثيراً ، ومن جملة ما قرأ " حاشية التجريد " للشريف الجرجاني بتمامها ، و " شرح المفتاح " للشريف أيضاً ، وشرح المواقف .
  - والشيخ سعدي جلبي.
  - والشيخ مؤيد زادة تلميذ الجلال الدواني.

- نتاجه العلمي :

يقول صاحب الشذرات : " وقد عاقه الدرس والفتوى والاشتغال بما هو أهم وأقوى عن التفرغ للتصنيف ، سوى أنه اختلس فرصاً وصرفها إلى التفسير الشريف، وقد أتى فيه بما لم تسمح به الأزمان ولم تقرع بمثله الآذان ، سماه بـ (إرشاد العقل السليم إلى مزايا

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

القرآن الكريم ...) وله حاشية على العناية من أول (كتاب البيع) وبعض حواش على بعض (الكشاف) جمعها حال اقرائه له "[١] .

قال عنها –أعني حواشيه على الكشاف– صاحب طبقات المفسرين: (وقد صنف المولى الفاضل المذكور أبو السعود حاشية على تفسير الكشاف بلغها إلى آخر سورة الفتح وكانت تقرأ عقيب درس التفسير وسماها معاقد النظر) [٢]

وفي التتمة الجلية لطبقات الحنفية أن من مؤلفاته: ((إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم))، و((بضاعة القاضي في الصكوك))، و((تهافت الأمجاد)) في الفقه، و((الفتاوى))، و((تحفة الطلاب في المناظرة)) [٣].

وزاد عليها في هدية العارفين[٤]:

١. ثواقب الأنظار في أوائل منار الأنوار –في الأصول.
٢. حسم الخلاف في المسح على الخفاف.
٣. غلطات العوام.
٤. غمرات المليح في أول مباحث قصد العام من التلويح.
٥. الفتاوى.
٦. قانون المعاملات.
٧. معاقد الطراز.
٨. موقف العقول في وقف المنقول.
٩. نهاية الأمجاد على كتاب الجهاد على الهداية للمرغياني.
١٠. قصيدته الميمية المشهورة.

- طلابه:

لم يقف الباحث في درسه إلا على تلميذ واحد له مسمى، وهو ما ذكره صاحب الكواكب السائرة ١–٣٧٠ حيث قال: (وقد اتفق لنا رواية هذه القصيدة –يعني الميمية–، وغيرها من كلامه، ورواية تفسيره الحافل عن أحد تلاميذه العلامة السيد الشريف المولى

[1]– الشذرات ، ص٥٨٥.
[2]– طبقات المفسرين (١: ١٣١).
[3]– التتمة الجلية لطبقات الحنفية (١: ٨)
[4]– هدية العارفين (٢: ٨١).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

محمد المعروف بالسعودي قاضي حلب، وآمد، وغيرها حين قدم علينا دمشق سنة ثمان وتسعين وتسعمئة) [١].

- وفاته :

توفي في القسطنطينية مفتياً في الثلث الأخير من ليلة الأحد خامس جمادى الأولى سنة اثنتين وثمانين وتسعمئة، وكانت جنازته حافلة وصُلي عليه في حرم جامع السلطان محمد الكبير في ملا عظيم، وجمع كثير، وتقدم للصلاة عليه فخر الموالي سنان محشّي تفسير البيضاوي، ودفن بمقبرته التي أنشأها بالقرب من تربة سيدي أبي أيوب الأنصاري رضي الله تعالى عنه[٢].

[1]- نجم الدين الغزي، أبو المكارم، محمد بن محمد، (١٠٦١هـ)، الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة، ط٢ ، دار الآفاق الجديدة، بيروت ١٩٧٩م (١: ٣٧٠).
[2]- الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة، (١: ٣٧٠)، الشذرات (٤: ٥٨٥)، طبقات المفسرين (١: ١٣١)، التتمة الجلية لطبقات الحنفية (١: ٨)، هدية العارفين (٢: ٨١).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المطلب الثاني: منزلته العلمية

وتظهر منزلة أبي السعود العلمية من خلال الوقوف على:

١. ثناء العلماء عليه.
٢. القيمة العلمية لكتابه.
٣. دوره في البلاغة.
٤. أثره في تشكيل صرح العلم والمعرفة.

وسيُقتصر الحديث هناً على ثناء العلماء عليه، وعلى ذكر القيمة العلمية لكتابه، أما دوره في البلاغة فسنعرض له في المبحث القادم بإذن الله، وأما أثره في تشكيل صرح العلم والمعرفة فله محله الخاص من الرسالة.

- ثناء العلماء عليه :

أثنى على أبي السعود كثير من العلماء، وشهد له بالفضل من يعتد بشهادته، ومما جاء في الثناء عليه:

ما قاله صاحب الشذرات: " كان ذا مهابة عظيمة ، واسع التقدير ، سائع النحرير يلفظ الدرر من كلمه وينثر الجوهر من حكمه "[١] .

وقال صاحب الفوائد البهية: "شيخ كبير وعالم نحرير لا في العجم له مثيل ولا في العرب له نظير، انتهت إليه رياسة الحنفية في زمانه وبقي مدة العمر في الجلالة وعلو الشأن"[٢].

وفي النور السافر: "الإمام الحبر الهمام العلامة أبو السعود محمد بن محمد بن مصطفى بن عماد الاسكليبي ... وحفظ كتباً منها : المفتاح للسكاكي ، فامتاز بفصاحة العرب العرباء ، واشتغل بفنون الأدب ، ودخل إلى القضاء وأخذ عن جماعة من علماء عصره وانتهت إليه رياسة الفُتْياَ والتدريس"[٣].

1- الشذرات ، ص٥٨٥ .

2- اللكنوي الهندي، العلامة أبي الحسنات محمد عبد الحي. الفوائد البهية في تراجم الحنفية مع التعليقات النسفية، تصحيح محمد بدر الدين النعساني، دار الكتاب الإسلامي ، بلا تاريخ، ص ٨١ .

3- المصدر نفسه. ص ٨٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

قال الشيخ قطب الدين : " اجتمعت به في الرحلة الأولى وهو قاضي استنبول سنة ٩٤٣ هـ ، فرأيته فصيحاً وفي الفن رجيحاً، فتعجبت من تلك العربية ممن لم يسلك ديار العرب ، ولا محالة أنها من منح الرب "[١].

وفي الكواكب السائرة: (محمد بن محمد الإمام العلامة، المحقق المدقق الفهامة، العلم الراسخ، والطود الشامخ، المولى أبو السعود العمادي الحنفي مفتي التخت السلطاني وهو أعظم موالي الروم، وأفضلهم لم يكن له نظير في زمانه في العلم، والرئاسة، والديانة) [٢].

وفيها أيضاً: (وكان المولى أبو السعود عالماً عاملاً، وإماماً كاملاً شديد التحري في فتاويه حسن الكتابة عليها، وقدراً مهيباً حسن المجاورة، وافر الأنصاف ديناً خيراً سالما مما ابتلي به كثير من موالي الروم من أكل المكيفات، سالم الفطنة جيد القريحة، لطيف العبارة، حلو النادرة..) [٣]

وقال الأدنوري (المولى الأعظم أبو السعود العمادي: هو الدين والدنيا هو اللفظ والمعنى هو الغاية القصوى هو الذروة العليا سلطان المفسرين مقدمة جيش المتأخرين مفتي الأنام مفني البدع والآثام صاحب أذيال الإفضال والإسعاد وصاحب الإرشاد ابن صاحب الإرشاد) [٤].

وقال الأستاذ محمد حسين الذهبي: (وكان – رحمه الله – كما قيل عنه من الذين قعدوا من الفضائل والمعارف على سنامها وغاربها، وسارت بذكره الركبان فى مشارق الأرض ومغاربها، ولقد حاز قصب السبق بين أقرانه، ولم يقدر أحد أن يجاريه فى ميدانه)[٥].

وفي هذا غنية للاحتجاج على فضله، والشهادة له بالتفوق بين أقرانه، ويكفيه بعد ذلك ما أكسبه من شرف الجوار، فضجيعه في القبر سيدنا أبو أيوب الأنصاري رضي الله تعالى عنه وأرضاه.

1- الفوائد البهية ، ص ٨٢.
2- الكواكب السائرة (١: ٣٧٠)
3- المصدر نفسه (١: ٣٧٠)
4- طبقات المفسرين (١: ١٣١)
5- الذهبي، محمد حسين.التفسير والمفسرون،ط١، ٣ج، دار الأرقم، بيروت (١: ٢٢٧).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- المكانة العلمية لكتابه:

تفسير أبي السعود المسمى بـــ (إرشاد العقل السليم إلى مزاياً القرآن الكريم) غايـــة فى بابه، ونهاية فى حسن الصوغ وجمال التعبير، كشف فيه صاحبه عن أســـرار البلاغـــة القرآنية، بما لم يسبقه أحد إليه، ومن أجل ذلك ذاعت شهرة هذا التفسير بين أهـــل العلـــم، وشهد له كثير من العلماء بأنه خير ما كُتب فى التفسير(١).

قال صاحب العقد المنظوم: يقول عنه فى كتابه: (وقد أتى فيه بما لـــم تـــسمح بـــه الأزمان، ولم تقرع به الآذان، فصدق المثل السائر: كم ترك الأول للآخر)(٢).

وقال صاحب الفوائد البهية: (وقد طالعتُ تفسيره وانتفعتُ به وهو تفـــسير حـــسن، ليس بالطويل الممل، ولا بالقصير المخل، متضمن لطائف ونكات، ومشتمل علـــى فوائـــد وإشارات)(٣).

وجاء عنه في كشف الظنون: (انتشرت نسخه في الأقطار، ووقع له التلقى بالقبول من الفحول الكبار، لحسن سبكه وصدق تعبيره، فصار يقال له: "خطيب المفسرين". ومـــن المعلوم أن تفسير أحد سواه بعد الكشاف والقاضي لم يبلغ إلى ما بلغه من رتبة الاعتبـــار) (٤).

وقال الأدنوري: (وصنف إرشاد العقل السليم إلى مزاياً القرآن العظيم في التفـــسير وكان تفسيره من أمثال الكشاف والبيضاوي من أكمل التفاسير وعليه تعليقة عظيمة للعـــالم الفاضل الشيخ رضي الدين بن الشيخ يوسف) (٥).

ورغم فضل هذا التفسير وتفوقه في فنه لم يحظ من العناية بما حظي به غيره مـــن التفاسير كالبيضاوي، قال الأستاذ محمد حسين الذهبي: (ولم يظفر هذا التفسير – كغيره من التفاسير – بكثرة الحواشي والتعليقات التى تكشف عن مراده، أو تتعقبه فى بعض ما يقول، ولم يقع تحت يدناً شيء من ذلك، غير أنناً نجد فى "كشف الظنون" عند الكلام عـــن هـــذا التفسير، ذكر ما كتب عليه من التعليقات "فمن ذلك: تعليقة الشيخ أحمد الرومى الآحصاري المتوفى سنة ١٠٤١ هـــ، من سورة الروم إلى سورة الدخان. وتعليقة الشيخ رضي الـــدين

1- التفسير والمفسرون (١: ٢٢٦)
2- العقد المنظوم في ذكر أفاضل الروم، مطبوع بذيل كتاب وفيات الأعيان، المطبعة الميمنية، القاهرة، ١٨٩٢م
3- الفوائد البهية في تراجم الحنفية (٨٢).
4- حاجي خليفة، مصطفى بن عبد الله، (١٠٦٧هـــ). كشف الظنون، دار الفكر، القاهرة، ١٩٨٢م (١: ٦٧)
5- طبقات المفسرين (١: ١٣١)

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بن يوسف القدسي، علّقها إلى قريب من النصف، وأهداها إلى المولى أسعد بن سعد الدين، حين دخل المقدس زائراً، وكان دأبه فيها نقل كلام العلامتــين الزمخــشرى والبيــضاوى، وكلام ذلك الفاضل (أبى السعود)، بقوله: قال الكشاف، وقال القاضي، وقال المفتــي، ثــم المحاكمة فيما بينهم"[1]، هذا ما ذكره صاحب كشف الظنون، ولا نعلم أحداً كتب عليه غير من ذكرهما) [2].

1– كشف الظنون (١: ٦٧) وانظر طبقات المفسرين (١: ١٣١)

2– التفسير والمفسرون (١: ٢٢٧)

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المبحث الثاني
منـهجه في التفسير

لم يُعرف أن أبا السعود أخرج تفسيره للناس دفعة واحدة، بل ذُكر بأنه ابتدأ فيه فلما وصل إلى آخر سورة (ص) عرض له من الشواغل ما جعله يقف فى تفسيره عند هذا الحد، ثم تيَّسر له بعد ذلك إتمامه، فأتمه في سنة.

وتفسير أبي السعود آية في بابه، قصد فيه صاحبه بيان وجه إعجاز القرآن على طريقة الزمخشري، فغداً به يكشف النقاب عما في القرآن من أسرار النظم، مضيفاً إليها ما يقف عليه من صنوف الفوائد الجلية والنكت البهية، من مختلف علوم البلاغة واللغة والدين، مودعاً فيه ما فتح الله به عليه وحباه إياه من ألوان الأعطيات الفكرية والعلمية، مظهراً ذلك بعبارة تمتاز بحسن السبك، وروعة النظم، ودقة التركيب، وهي فوق ذلك ذات إيقاع خاص، له وقع في النفس والفكر، ليسمو بما أودع فيها من الأسرار والأفكار بالروح والعقل معاً.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المطلب الأول: أصول المنهج

لقد اعتمد أبو السعود في تفسيره كما يحدثنا هو عن نفسه على كتابي الزمخشري والبيضاوي، قال أبو السعود في المقدمة: (وأما المتأخرون المدققون؛ فراموا مع ذلك إظهار مزاياه الرائقة وإبداء خباياه الفائقة، ليعاين الناس دلائل إعجازه ويشاهدوا شواهد فضله وامتيازه، عن سائر الكتب الكريمة الربانية، والزبر العظيمة السبحانية، فدونوا أسفاراً بارعة، جامعة لفنون المحاسن الرائعة، يتضمن كل منها فوائد شريفة تقر بها عيون الأعيان، وعوائد لطيفة يتشنف بها آذان الأذهان، لا سيما الكشاف وأنوار التنزيل؛ المتفردان بالشأن الجليل والنعت الجميل، فإن كلا منهما قد أحرز قصب السبق أي إحراز كأنه مرآة لاجتلاء وجه الإعجاز، صحائفهما مرايا المزايا الحسان وسطورهما عقود الجمان وقلائد العقيان، ولقد كان في سوابق الأيام وسوالف الدهور والأعوام أوان اشتغالي بمطالعتهما وممارستهما وزمان انتصابي لمفاوضتهما ومدارستهما، يدور في خلدي على استمرار آناء الليل وأطراف النهار أن أنظم درر فوائدهما في سمط دقيق وأرتب غرر فرائدهما على ترتيب أنيق، وأضيف إليها ما ألفيته في تضاعيف الكتب الفاخرة من جواهر الحقائق وصادفته في أصداف العيالم الزاخرة من زواهر الدقائق، وأسلك خلالها بطريق الترصيع على نسق أنيق وأسلوب بديع حسبما يقتضيه جلالة شأن التنزيل ويستدعيه جزالة نظمه الجليل.)[١]

وأبو السعود ورغم اعتماده فى تفسيره على تفسير الكشاف والبيضاوى وغيرهما ممن تقدمه، غير أنه لم يغتر بما جاء فى الكشاف من الإعتزالات، ولهذا لم يذكرها إلا على جهة التحذير منها، مع جريانه على مذهب أهل السُّنَّة فى تفسيره، ولكن نجده قد وقع فيما وقع فيه صاحب الكشاف، وصاحب أنوار التنزيل من أنه ذكر فى آخر كل سورة حديثاً عن النبى صلى الله عليه وسلم فى فضلها، وما لقارئها من الثواب والأجر عند الله، مع أن هذه الأحاديث موضوعة باتفاق أهل العلم جميعاً[٢].

---

[1]– العمادي، محمد بن محمد، (٩٨٢هـ). إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، ط١، ٩ج، دار إحيا التراث، بيروت، (١: ٤).

[2]– التفسير والمفسرون (١: ٢٢٩).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولقد امتاز تفسير أبي السعود بجملة من الأمور التي يمكن التنصيص عليها في منهجه، ومنها:

عدم إيراده لمصادره في ثناياً التفسير:

ولعل هذا كان شائعاً في زمانه، إذ الطوايا سليمة، والأمانة متحققة، والمقصد نبيل، فقلما تجد للعلماء أو لمصنفاتهم من ذكر في ثناياً تفسيره، أو لعله اكتفى بما أشار إليه في المقدمة من مصادر، على أنه وقع منه في بعض الأحيان تسمية بعض الأعلام ممن أفاد منهم، ولكن على نحو قليل يصعب معه عد مصادره والوقوف عليها.

إقلاله من التفسير بالمأثور وجنوحه إلى التفسير بالرأي:

لم يكن يعنى أبو السعود بنقل أقوال الصحابة والتابعين في التفسير، فهو وإن أوردها في كتابه في مواضع قليلة طوى الحديث عنها في أكثر المواضع، وكذا حاله أيضاً فيما له حكم المرفوع.

وهو كثيراً ما يسلك سبيل الرأي في بيان ما في الآية من وجوه التأويل، فتراه يقصد لذكر ما في الآية من المسائل اللغوية والبيانية، معقباً على ما فيها من الأحكام الفقهية والعقدية، منقباً عما احتوته من أسرار المعاني وجلائل التوجيهات المستنبطة بطريق النظر القائم على التدبر لا النقل.

تعداده لآراء مختلفة في الآية الواحدة:

يذكر أبو السعود ما تحمل الآية الواحدة من وجوه الأقوال المتعددة، سواء أكان هذا التعدد على سبيل التضاد أو التنوع، على أنه يورد ما يوهيه على طريقة التضعيف بقوله (وقيل)، أو بما يعقب به عليه في بعض الأحيان مما يشعر بتوهيته وتوهينه له، كما أنه يحتج لما يختار من الأقوال بما فتح الله به عليه من فنون المقال، وقوة الحجة والبرهان.

عنايته بذكر ما في الآية من وجوه القراءة دون تتبع لما صح منها:

يذكر أبو السعود ما في الآية من وجوه القراءة، ويورده بقوله (وقرئ) دون القصد لبيان صحة القراءة أو ضعفها، أو تتبع لها بذكر من قرأ بها من الأئمة، وهذا نمط غالب في تفسيره قد يتخلف بعض الأحيان، وهو في ذلك على طريقة الزمخشري في إيراده

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

القراءات، وهو مع هذا وفي كثير من الأحيان يذكر الوجه اللغوي للقراءة وإن كانت شاذة، أو يقصد لبيان المعنى المترتب على القراءة بها.

اهتمامه بذكر المناسبات:

يلحظ القارئ لأبى السعود فى تفسيره أنه كثيراً ما يهتم بإبداء وجوه المناسبات بين الآيات، محاولاً الوقوف على أسرار نظمها في السياق، كاشفاً ما يقتضيه إيرادها في محلها من ألوان الأغراض والمعاني، ذاكراً ما لترتيب الكلام على طريقته ووضعه في السياق من الأسرار، بل إنك لتجده في كثير من الأحيان يشد القارئ إلى النظر في سياق الكلام وسباقه على حد قوله، للوقوف به على نكتة ذلك السوق أو ذاك الترتيب.

إقلاله من رواية الإسرائيليات:

إن القارئ لتفسير أبي السعود ليجد أنه مُقِلٌ فى سرد الإسـرائيليات، غيـر مُولـع بذكرها، وإن ذكرها أحياناً فإنه لا يذكرها على سبيل الجزم بها، والقطـع بـصحتها، بـل يُصَدِّر ذكر الرواية بقوله: روي، أو قيل، مما يُشعر بضعفها، وإن كان لا يُعقِّب عليها بعد ذلك، ولعله يكتفى بهذه الإشارة[١].

روايته عن بعض مَن اشتهر بالكذب:

ورغم إعراض أبي السعود عن ذكر الإسرائيليات في كتابه إلا ما نـدر، تلاحـظ عليه أنه يروي بعض القصص عن بعض من اشتهر بالكذب، فهو مثلا يروي عن طريـق الكلبى عن أبى صالح، مع العلم بأن الكلبى مُتَّهم بالكذب، فقد قال السيوطي فى خاتمة الدر المنثور ما نصه: (الكلبي اتهموه بالكذب، وقد مرض فقال لأصحابه فى مرضه: كل شيء حدَّثتكم عن أبى صالح كذب)، ولكن نجد أبا السعود، يخلص من تبعة هذه الروايات التـى سردها بقوله أخيراً: (والله تعالى أعلم) وهذا يُشعر بأنه يشك فى صدقها وصحتها[٢].

1- التفسير والمفسرون (١: ٢٣٠).

2- المصدر نفسه (١: ٢٣٠).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إقلاله من ذكر المسائل الفقهية:

كذلك نجد أبا السعود يتعرض فى تفسيره لبعض المسائل الفقيهة، ولكنه مُقِلٌ جداً في ذكرها، ولا يكاد يدخل فى المناقشات الفقهية والأدلة المذهبية إلا في قليل، بل يكتفي يسرد الأقوال والمذاهب فى الآية معزوة إلى أصحابها، وهو إذ عرض لمذهب الحنفية – الذي غالباً ما ينزل الآية أو يحملها عليه– يورده بقوله (وعندنا).

وتراه أيضاً قليلاً ما يعرض في تفسيره لموضوعات أصول الفقه المختلفة.

عنايته ببعض موضوعات علوم القرآن:

يعنى أبو السعود في تفسيره بذكر ما يخدم النص من موضوعات علوم القرآن، فتراه يعرض في التفسير لبعض متعلقات علوم القرآن من موضوعات، ومما عني به أبو السعود منها في تفسيره:

١. أسباب النزول.
٢. المكي والمدني.
٣. أسماء السور وترتيبها وما يذكر لها من فضائل.
٤. فواتح السور.
٥. النسخ.

انتصاره لمذهب أهل السنة ورده للاعتزال:

لم يقصد أبو السعود في تفسيره للكشف عن أدلة العقائد من القرآن، ولم يكن متتبعاً لها في مواضعها، وهو مع ذلك يطوي في بعض ما تسنح له الفرص من مواضع رأيه في بعض مسائل الاعتقاد، أو يحذر عندها من مغبة الاعتزال، ملوحاً بفساد مذهبهم فيه، منتصراً لمذهب السنة دائماً.

وما ذُكر ههناً من أصول المنهج، فهو مع كونه مما يدرك بإدارة النظر في تفسيره ولو لمرة واحدة، لكونه طابعاً عاماً في جل الآيات، فليس من مقصود الباحث أيضاً في رسالته الإغراق في هذه المسائل بالتفصيل، ولا التتبع لها والتطويل، فاستغنى بعمومها – أي ما ذكر له من قضاياً أصول المنهج– في تفسيره عن تتبعها في المثال، فكل تفسيره يصلح ليكون مثالاً على ما أورد سالفاً.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

عنايته بمسائل اللغة والنحو وقضاياً البيان:

وهي أساس ما في تفسيره، وعليها مدار قصده، وبها قوام كلامه، بل لعل منزلة غيرها منها في تفسيره منزلة القشور للباب، ولأهميتها عنده أفرغنا لها مكاناً خاصاً نعرض له بعد قليل.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المطلب الثاني: عنايته بالقضايا النحوية والبلاغية

أولى أبو السعود جل اهتمامه في تفسيره لمسائل النحو والبيان، متحققاً بقول الزمخشري في مقدمته: (ثم إن أملا العلوم بما يغمر القرائح، وأنهضها بما يبهر الألباب القوارح، من غرائب نكت يلطف مسلكها، ومستودعات أسرار يدق سلكها، علم التفسير؛ الذي لا يتم لتعاطيه وإجالة النظر فيه كل ذي علم كما ذكر الجاحظ في كتاب نظم القرآن، فالفقيه وإن برز على الأقران في علم الفتوى والأحكام، والمتكلم وإن بز أهل الدنيا في صناعة الكلام، وحافظ القصص والأخبار وإن كان من أهل القرية أحفظ، والواعظ وإن كان من الحسن البصري أوعظ، والنحوي وإن كان أنحى من سيبويه، واللغوي وإن علك اللغات بقوة لحييه، لا يتصدى منهم أحد لسلوك تلك الطرائق، ولا يغوص على شيء من تلك الحقائق، إلا رجل برع في علمين مختصين بالقرآن، وهما علم المعاني وعلم البيان، وتمهل في ارتيادهما آونة، وتعب في التنقير عنهما أزمنة، وبعثه على تتبع مظانهما همّة في معرفة لطائف حجة الله، وحرص على استيضاح معجزة رسول الله، ...)[1].

وأبو السعود فارس مُجيد في هذا الميدان، تربع فيه على ذروة سنامه، وحاز فضائله من أطرافه وأكمامه، فإن تصدر للقول بمسائله قلناً أخذ القوس باريها، وإن أفاض النطق بوسائله أصاب فيها بما تنبي مبانيها.

وهو فوق ذلك ذو نظر جاد، لا يكتفي بذكر ما قاله غيره وترداده، بل لا بد له من الوقوف على ما فاتهم من أسراره وأغراضه، ثم يعرض له وفق طريقته على نهج التفنن بالعبارة.

قال عنه الأستاذ محمد حسين الذهبي تحت عنوان (عنايته بالكشف عن بلاغة القرآن وسر إعجازه): (قرأت فى هذا التفسير فلاحظت عليه أنه كثير العناية بسبك العبارة وصوغها، مولع كل الولوع بالناحية البلاغية للقرآن، فهو يهتم بأن يكشف عن نواحى القرآن البلاغية، وسر إعجازه فى نظمه وأسلوبه، وبخاصة في باب الفصل والوصل، والإيجاز والإطناب، والتقديم والتأخير، والاعتراض والتذييل، كما أنه يهتم بإبداء المعاني الدقيقة التي تحملها التراكيب القرآنية بين طيَّاتها، مما لا يكاد يظهر إلا لمن أوتى حظاً

---

[1]- الزمخشري، محمود بن عمر، (٥٣٨هـ). الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، ط١، ٤ج، دار الفكر، ١٩٧٧م، (١: ١٦ – ١٧).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وافراً من المعرفة بدقائق اللغة العربية، ويكاد يكون صاحبناً هو أول المفسِّرين المبــرزين فى هذه الناحية) [١].

وأبو السعود وإن كان متأثراً إلى حد كبير كمـا يظهـر مـن تفـسيره ببلاغـة الزمخشري، وهي الوجه التطبيقي لنظرية عبد القاهر، إلا أن سلوكه فيها كان على طريقة السكاكي المقولبة بالقوالب المنطقية.

وأياً ما يكن فلقد كان لأبي السعود رعاية لعلم البيان خاصة، تجلـت فـي تتبعـه لمسائله أينما وردت، ومما عني به في التفسير مما يدل على اهتمامه بهذا العلم ما يلي:

وقوفه عند النظم واحتكامه للسياق:

فترى أبا السعود في كثير من المواضع يقف على ما للنظم من أسرار ويتدرع بـه وبجزالته ليحتج على غرض بلاغي أو ليرد قولا في الآية، وهو مع ذلك يُعنـى بالـسياق عناية فائقة بوصفه معياراً يحكم به بين الأقوال والأغراض إذا تعددت.

النظر في المفردات:

ولأبي السعود نظرة في المفردات، تكاد تقترب من مذهب الزخشري فيهـا، فهـو ينظر إلى مدى ملاءمة الكلمة لسياقها من حيث مادتها من جهة ومن حيث هيئتها من جهة أخرى.

وهو مع ذلك يقف عند صيغ الأفعال مبيناً ما يترتب من إيثار صيغة على أخـرى من المعاني البلاغية، وما يترتب من المعاني البلاغية في أبنية المشتقات أيضا، وما يفيـده الجمع للمفردة أو إفرادها من الأغراض.

النظر في الحروف:

يعنى أبو السعود بذكر الأغراض البلاغية المترتبة على استعمال الحـروف فـي مواضعها، مبيناً ما أفاده إيثار حرف على آخر من النكت الرائقة.

بحثه في علم المعاني:

[1]– التفسير والمفسرون (١: ٢٢٩).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولأبي السعود عناية خاصة بمفردات علم المعاني كالاستفهام والتقديم والتأخير والأمر والنهي والنداء والقسم والتوكيد والحذف والذكر والقصر إلى غير ذلك من مفردات علم المعاني، مبيناً ما لكل منها في موضعه من أغراض بيانية.

بحثه في الجمل:

فلأبي السعود وقفات مع الفصل والوصل، والاعتراض والاختصار والفواصل وترتيب الجمل، إلى غير ذلك من المباحث المتعلقة بالجملة.

وقوفه عند صور البيان:

إن المتتبع لأبي السعود ليلمح عنايته بذكر ما في الآية من صور بيانية، فهو ذو عناية خاصة بالتشبيه وما يندرج فيه من التخييل والتمثيل إلى غير ذلك مما يتعلق به.

وهو أيضاً ذو عناية بالمجاز بشقيه العقلي واللغوي، وما ينطوي عليه من فنون القول كالاستعارة بأنواعها، والمجاز المرسل.

اهتمامه بألوان البديع:

وكثيراً ما يذكر أبو السعود في كتابه المشاكلة واللف والنشر والاستطراد والتورية والمقابلة إلى غير ذلك من المحسنات اللفظية أو المعنوية في القول.

وتناول أبي السعود لما أسلف من القضايا، يقرب من تناول الزمخشري لها، إلا أنه يمتاز في كثير من المواضع بتعداد ضروب من الأغراض البلاغية المترتبة على استعمال القرآن لها بما لم يسبق إليه.

وهو فوق ذلك ذو نظر خاص، يناقش ما يرد من هذه المسائل والقضايا ليختار ما رآه منها، محتكماً في كثير من الأحيان للنظم، ولياقتها به أو قبوله لها.

هذا بالنسبة لعنايته بمسائل علوم البلاغة، أما بالنسبة للنحو، فلقد تناول ما تحتمله الآيات من وجوه الإعراب المختلفة، فتراه عند عرضه للمسائل النحوية وخصوصاً إذا ما كانت الآية تحتمل أوجها من الإعراب مختلفة، يذكر ما فيها من تلك الوجوه، ويُنزل الآية على اختلاف الأعاريب، ويُرَجِّح واحداً منها ويدلل على رجحانه.

ومن كل ما سبق تقف على ما لتفسير أبي السعود من قيمة بلاغية، وما لتناول موضوعات البلاغة بالدرس في تفسيره من أهمية.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومما كان لأبي السعود عناية بذكره في كتابه موضوع الالتفات، وسترى ما له فيه من عجيب النظرات التي تشهد لما أسلف له من القول في بيان الميزة والفضيلة.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الثاني

تاريخ الالتفات وتعريفه

- **المبحث الأول:** الالتفات نشأته وتطوره
  - المطلب الأول: تاريخ الالتفات
    - الالتفات في الاستعمال العربي القديم
    - الالتفات في كتابات العلماء
  - المطلب الثاني: معنى الالتفات ومدى صلته بعلمي المعاني والبديع
    - الالتفات لغة.
    - تعريف الالتفات في الاصطلاح البلاغي واستقراره.
    - صلة الالتفات بعلمي المعاني والبديع
    - منزلة الالتفات البلاغية
- **المبحث الثاني:** أقسام الالتفات وأغراضه البلاغية
  - المطلب الأول: أقسام الالتفات
    - أقسام الالتفات عند من توسع في المصطلح
    - أقسام الالتفات وفق المصطلح المختار
  - المطلب الثاني: أغراض الالتفات البلاغية عند العلماء

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المبحث الأول

الالتفات: نشأته وتطوره

المطلب الأول: تاريخ الالتفات

يعد الوقوف على تاريخ هذا العلم في الاستعمال والنشوء قبل استقرار المصطلح وبعده، من أجلِّ المطالب التي يعنى بها الباحث ويوليها اهتمامه، لما في ذلك من أثر في درس الموضوع والوقوف على أغراضه، ولعل أهميتها في هذا الموضوع أجلى منها في غيره، لما وقع في هذا العلم من اختلاف بين أهل الفن في تصنيفه وتحديده من جهة، ولغياب تاريخه في المصنفات التي أفردت لتناول مثل هذه الفنون من جهة أخرى، قال الأستاذ محمد أبو موسى: "وقد كَلِفتُ بهذا الأسلوب وتابعت أقوال العلماء فيه، وهي كثيرة كثرة تدل على أهميته وعنايتهم به، ثم إن هذه الكثرة من الدراسة والأقوال حوله ربما كانت لوناً من الصعوبة عند التصدي لدراسته، إلا أنني سوف أحاول استخلاص زبدة أقوالهم في بيان ضروبه ومزاياه، معرضاً عما توارد عليه من آراء في نشأته ونضجه، لأنني هنا كما أشرت لست معنياً بالنشأة والتطور، لأن لهذا درساً ينبغي أن يكون جاداً وحافلاً نرجو أن نفرغ له يوما، وغياب تاريخ هذا العلم بصورة جادة يعد نقصاً ظاهراً في المكتبة البلاغية"[١].

ولعل الدكتور هاشم محمد هاشم قد عُني بذكر نبذة عن تاريخ هذا الفن وتطوره في كتابه (الالتفات في حاشية الشهاب الخفاجي) [٢]، وكذا الدكتور أحمد مطلوب في (معجم المصطلحات البلاغية وتطورها)[٣]، والدكتور حسن طبل في كتابه (أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية) [٤] والباحث قاسم فتحي سليمان في أطروحته (فن الالتفات في البلاغة

1- أبو موسى، محمد محمد ، خصائص التراكيب. ط٧، مكتبة وهبة، القاهرة، ٢٠٠٦م، ص(٢٤٩).

2- هاشم، هاشم محمد. الالتفات في حاشية الشهاب الخفاجي، الطبعة الأولى، مطبعة الأمانة، القاهرة، ١٩٨٦م، ص(٢٦)

3- مطلوب، أحمد، معجم المصطلحات البلاغية وتطورها ، ١٩٨٣م، مطبعة المجمع العلمي العراقي، العراق، (١: ٢٩٤ - ٣٠٣).

4- طبل، د.حسن. أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية، (٤ - ١٢)

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

العربية) [١] ولكن على نحو أضيق، وسيحاول الباحث في هذا المبحث أن يعرض لذكر نبذة عن تاريخ هذا الفن عند العرب في الاستعمال، وعند أهله في المقال، مستفيداً مما كتبه في ذلك أهل الشأن، على أنه ليس من غرضه استيعاب ما قيل فيه أو التأصيل له، فإنما قدم ما قدم ليبين عزة ذلك الشيء وصعوبة مناله، خصوصاً في هذه الدراسة؛ التي تعنى أصلاً بدرس هذا الفن عند إمام جليل؛ هو أبو السعود العمادي، إلا أن ما لا يدرك كله لا يترك جله.

1- سليمان، قاسم فتحي، فن الالتفات في البلاغة العربية، رسالة ماجستير مقدمة في كلية الآداب بجامعة الموصل سنة (١٩٨٨م)، ص(١٣).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الالتفات في الاستعمال العربي القديم:

بات من المعلوم ضرورة أن أي علم من علوم اللغة أو البلاغة وحتى غيرها من مختلف ألوانها، إنما ينشأ بعد ملاحظته في الاستعمال، وعلى هذا فاستعمال الأساليب البليغة في الكلام أسبق وأقدم من تأطيرها بمصطلحاتها اللفظية أو قوالبها المنطقية، وما يجري على مختلف أضرب فنون القول يجري على الالتفات.

فقد ورد الالتفات في شعر امرئ القيس[1](٨٠ ق.هـ) حيث قال (من المتقارب):

تطاول ليلك بالأثمد   و نام الخليُّ و لم ترقد

وبات وباتت له ليلة   كليلة ذي العائر[2] الأرمد

وذلك من نبأ جاءني   وخُبِّرتُهُ عن أبي الأسود

إذ خاطب في البيت الأول وانصرف عن الخطاب إلى الإخبار في البيت الثاني، وانصرف عن الإخبار إلى التكلم في البيت الثالث

ومنها قول جرير[3] (١١٤هـ) (من الوافر):

متى كان الخِيام بذي طُلُوحٍ   سُقيتِ الغيثَ أيتُها الخيامُ

حيث التفت عن الإخبار إلى المخاطبة بالدعاء في قوله (سُقيتِ الغيثَ).

وقوله أيضاً[4] (من الكامل):

طرب الحمام بذي الأراك فهاجني   لا زلتَ في ظَلَل وأيكٍ ناضر[5]

فالتفت عن الإخبار إلى الخطاب.

1- (ديوان امرئ القيس (١٨٥))، (النويري، شهاب الدين بن عبد الوهاب (٧٣٣هـ). نهاية الأرب في فنون الأدب، المؤسسة المصرية العامة للتغليف والترجمة والطباعة والنشر، مصر (٧: ١١٧))، (والمصري، ابن أبي الإصبع. تحرير التحبير ، تقديم وتحقيق الدكتور حفني محمد شرف، ، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية – لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة ،١٣٨٣ هـ، ص(١٢٤-١٢٥))، و(المدني، السيد علي صدر الدين بن معصوم. أنوار الربيع في أنواع البديع، الطبعة الأولى، تحقيق شاكر هادي شكر ، مطبعة النعمان، ١٩٦٨م، ص(١: ٣٦٢).

2- العائر: كل ما أعل العين. (لسان العرب)

3- (جرير، جرير بن عطية (ت ١١٤هـ). ديوان جرير، دار صادر، بيروت ص(٤١٦))، و(نهاية الإرب (٧: ١١٦))، و(تحرير التحبير (١٢٤))، و(ابن المعتز، عبد الله. البديع، دار المسيرة، بيروت، ص(٥٩)).

4- ديوان جرير٢٣٦، و (ياسين، مأمون محمود. من روائع البديع، الطبعة الأولى، مطبعة دبي، دبي، ١٩٩٧م، ص(٢٤٦)).

5- ذوالأراك: مكان ينبت فيه شجر الأراك، الأيك: الشجر الملتف، ورواه بعضهم (غُلَل) مكان ظلل، والغلل: المكان الخصب الذي يجود بالغلة. (لسان العرب)

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وكذلك قول عنترة[١] (٢٢ ق. هـ) (من الكامل):

ولقد نَزلْتِ فلا تَظُنِّــي غَيرَه   منّي بمنزلة المُحبِّ المُكرِم

كيف المَزارُ وقد تربَّع أهلُها   بعُنَيْزَتَينِ وأهلُنا بالغَيلَمِ[٢]

حيث التفت عن الخطاب في البيت الأول إلى الغيبة في قوله (وقد تربع أهلها) من البيت الثاني.

ومنه أيضاً قول علقمة بن عبدة العجلي[٣] (٢٠ق.هـ) (من الطويل):

طحاً بك قلب في الحِسان طَرُوبُ   بُعَيد الشباب عَصْرَ حَانَ مَشِيبُ

يُكلّفني ليـــلى وقد شـــطَّ وَليــُها   وعادت عوادٍ بيننا وخُطُوبُ[٤][٥]

وكان مقتضى الظاهر أن يقول: يكلفك –أي القلب– ليلى، يعني وصالها، فالتفت عن الخطاب في البيت الأول إلى التكلم في البيت الثاني.

ومنها قول أبي الطيب المتنبي[٦] (٣٥٤هـ)، (من البسيط):

لولا مُفارقة الأحباب ما وَجَدَت   لها المنايا إلى أرواحنـــا سُبُــلا

بما بِجفنَيكِ من سِحر صِلِي دَنِفاً   يَهوَى الحياة وأما إن صَدَدت فلا[٧]

حيث التفت عن حكاية مفارقة الأحباب في الأول إلى خطابهم في الثاني.

وغير ذلك كثير، مما لم يُقصد إليه في هذا المبحث، إذ ليس الغرض هنا الإســهاب والتطويل، ولا الإطناب والتفصيل، بل الإيجاز والتمثيل، فاكتُفي مما ذُكر منه عند العلمــاء

1- الزوزني، الحسين بن أحمد (٤٨٦هـ). شرح المعلقات السبع، ط١، ١ج، دار المعرفة، بيروت ، ٢٠٠٣م، ص(٢٠٣)، وتحرير التحبير ص(١٢٤).

2- العنيزتان والغيلم اسما موضعين.

3- شاعر جاهلي واسمه علقمة بن النعمان بن ناشرة بن قيس، كان معاصراً لامرئ القيس وله معه مساجلات.

4- المراغي، أحمد مصطفى، علوم البلاغة، الطبعة الخامسة، المكتبة المحمودية ص(١٤٥).

5- طحا: ذهب، حان: قرب، الولي: القرب

6- المتنبي، أبو الطيب أحمد بن الحسين (٣٥٤هـ). ديوان المتنبي بشرح أبي البقاء العكبري، طبعة الأفست، ٤ج، دار المعرفة، بيروت، ١٩٧٨م، (٣: ١٦٣)، و عواد، الخوري بولس، العقد البديع في فن البديع، الطبعة الأولى، دار المواسم، بيروت، ٢٠٠٠م، ص(٨٤)

7- الباء في بما بجفنيك للقسم، أي بالذي بجفنيك من السحر صلي دنفا، والدنف هو الذي أثقله المرض.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بالقليل، فضلا عما جاء منه على اختلاف أنواعه في النظم الجليل، والذي أفرد الباحث لــه ثبتاً في هذه الرسالة يبين فيه مواضع الالتفات في القرآن مع ذكر نوعه في كل موضع[١].

ومما تجدر الإشارة إليه هنا أن أهل العلم في كتاباتهم وعند تمثيلهم للالتفات بشعر السابقين أدخلوا فيه ما ليس منه، وعذرهم في ذلك حاضر لا يغيب، فالمصطلح عندهم لــم يكن قد استقر بعد، أو استقر عند بعضهم على نهج الاتساع، فأدخل في الالتفات مـا عــده غيره من الاعتراض أو غيره، فهذا قدامة بن جعفر (٣٣٧هـ) يمثل للالتفات بقول الرمـاح بن ميادة[٢] (من الطويل):

فلا صَرمُه[٣] يبدو وفي اليأس راحةٌ   ولا وصله يبدو لنا فنُكارمُه

ويقول: (فكأنه وهو يقول: وفي اليأس راحة، التفت إلى المعنى لتقدير أن معارضاً يقول له ما تصنع صرمه؟ فقال: لأن في اليأس راحة)[٤]، وذكر أبياتـاً أُخـر جلهـا مـن الاعتراض، وبهذا يكون قد خلط بين الاعتراض والالتفات[٥]، أو توسع في الالتفـات فعـدَّ منه الاعتراض.

ومثل ذلك كثير، وإن رمت دليلاً على هذا فانظر إلـى مـا مثـل بـه البـاقلاني (٤٠٣هـ) في كتاب (إعجاز القرآن)[٦]، أو اقرأ إن شئت تعريـف يحيـى بـن معطـي (٦٢٨هـ) له إذ عرفه بقوله: (والالتفات هو اعتراض مجمل)[٧]، وعرفـه ابـن رشـيق القيرواني (٤٦٣هـ) بما يشبه تعريف الاستطراد، ومثّل له بمـا يـدل علـى التتمـيم أو الاعتراض[٨].

على أنه قد وقع عند بعضهم الشيء من ذلك، وكان عذرهم فيـه عـدم اسـتقرار المصطلح، وسيأتي ذكر ذلك والتمثيل عليه في المطلب القادم بإذن الله.

1- في آخر الفصل الثالث.
2- من شعراء القرن الثاني الهجري واسمه محمد بن لاجين بن ميادة (١٤٩هـ).
3- بعده وقطيعته.
4- البغدادي، قدامة بن جعفر (٣٣٧هـ). نقد الشعر، تحقيق محمد عبد المنعم خفاجي، طبعة الكليات الأزهرية، القاهرة، جـ١، ص ١٥٠.
5- الالتفات في حاشية الشهاب الخفاجي (٣٠).
6- الباقلاني، أبو بكر محمد بن الطيب، إعجاز القرآن ، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٦م، (٧٤-٧٥) .
7- ابن معطي، يحيى، البديع في علم البديع (١٦٧)، الطبعة الأولى، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، ٢٠٠٣م، ص(١٦٧).
8- انظر (القيرواني، ابن رشيق. العمدة في صناعة الشعر ونقده، دار الكتب العلمية، بيروت، ص٢٧٥-٢٧٨) و(علان، إبراهيم محمود، البديع في القرآن أنواعه ووظائفه، الطبعة الأولى، دائرة الثقافة والإعلان، الشارقة، ٢٠٠٢م، ص(٢٣٤-٢٣٥)).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وعلى النقيض من ذلك ما وقع عند بعضهم من التمثيل بأبيات من الالتفات وإدراجها تحت غيره من فنون البلاغة، ومن ذلك ما كان من القاضي علي بن عبد العزيز الجرجاني (٣٩٢هـ) صاحب الوساطة إذ خلط بينه وبين الكناية، حيث قال تحت باب (ما عاب العلماء على أبي الطيب): (وعابوا قوله:

وإني لمن قوم كأن نفوسنا بها أنف أن تسكن اللحم والعظما

فقالوا: قطع الكلام الأول قبل استيفاء الكلام وإتمام الخبر، وإنما كان يجب أن يقول: (كأن نفوسهم) ليرجع إلى القوم، فيتم به الكلام"[١]، ثم اعتذر عن أبي الطيب بأمور ذكرها، ثم قال مبدياً رأيه مشاركاً الذين عابوا على المتنبي هذا البيت وما ماثله من شعره: (وأقول: إن هذه القضية إذا استمرت على ظاهرها، واقتصر على القدر المذكور منها، اختلطت الكنايات، وتداخلت الضمائر، ولم ينفصل غائب عن حاضر، ولم يتميز مخاطب، وله مواضع تختص بالجواز وأخرى تبعد عنه، وبينهما فصول تدق وتغمض، ولذكرها موضع هو أملك بهما، وأبيات أبي الطيب عندي غير مستكرهة في قسم الجواز، وقد بلغ هذا المحتج منه مبلغاً، غير أن أبا الطيب عندي غير معذور بتركه الأمر القوي الصحيح إلى المشكل الضعيف الواهي لغير ضرورة داعية ولا حاجة ماسة، إذ موقع اللفظتين من الوزن واحد، ولو قال: (نفوسهم) لأزال الشبهة ودفع القالة، وأسقط عنه الشغب، وعناء العنت)[٢].

والذي يُفهم من كلامه أنه لا يرى اللجوء إلى (الالتفات) – وإن كان لم يسمه التفاتاً بل عده من باب الكنايات – إلا إذا دعت لذلك ضرورة وأفاد فائدة لم نستفدها إذا ترك، وإلا كان ذلك ضرباً من التكلف، واحتمال التعب بلا طائل، ومن هنا وجه اللوم إلى أبي الطيب وقال: "غير معذور بتركه الأمر القوى الصحيح إلى المشاكل الضعيف لغير ضرورة"[٣].

وعذر القاضي الجرجاني ومن كان على شاكلته مع ذلك حاضر، فالمصطلحات لم تكن قد استقرت بعد، ومثل هذا يرد عليهم لعدم انضباط الحد وتقريره.

1- الجرجاني، علي بن عبد العزيز. الوساطة بين المتنبي وخصومه، مطبعة عيسى الحلبي، ص ٤٤٦-٤٤٩.

2- انظر الجرجاني، القاضي عبد العزيز، الوساطة بين المتنبي وخصومه، مطبعة عيسى الحلبي، مصر، ١٩٦٦م . من ص ٤٤٦-٤٤٩.

3- وانظر في ذلك الالتفات في حاشية الشهاب الخفاجي (٣١).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الالتفات في كتابات العلماء

فن الالتفات من الفنون العريقة، التي تحدث عنها الكثير من الدارسين قبل استقرار مصطلحات علوم البلاغة، لما تمتلكه من خصوصية في حيوية الأسلوب ودقة أدائه للوظيفة المعنوية، ولذا وجدناً بعض العلماء تحدث عنها دون أن يسميها، ووجدناً بعضهم الآخر سماها وعد منها ما ليس منها، أو استشهد عليها بما ينطبق على غيرها من فنون القول.

وقد عمد الباحث في هذا المطلب إلى ذكر من ذكرها أو أشار إليها من العلماء قبل استقرار المصطلح البلاغي، بادئاً بمن أشار إليها دون أن يسميها، ومثنياً بمن ذكرها باسمها، أو سماها باسم آخر كالصرف.

ولعل أول من ذكرها من العلماء وأشار في ثنايا كلامه إلى الصورة العامة لها وإن كان لم يسمها (أبو زكرياً يحيى بن زياد الفراء المتوفى سنة ٢٠٧ هـ) في كتابه (معاني القرآن) عند الحديث عن الآيتين الكريمتين: ﴿كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ ﴿٢٠﴾ وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ ﴿٢١﴾﴾ [١]، قال: (رُويت عن علي بن أبي طالب –رضي الله عنه– (بل تحبون – وتذرون) بالتاء، وقرأها كثير (بل يحبون)[٢] بالياء، والقرآن يأتي على أن يُخاطِب المُنزل عليهم أحياناً، وحيناً يُجعلون كالغُيَّب كقوله: ﴿هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم﴾[٣]) [٤].

وممن تنبه إلى أسلوب الالتفات دون أن يسميه (أبو عبيدة معمر بن المثنى المتوفى سنة ٢٠٩هـ)، قال في مقدمة كتابه (مجاز القرآن): (ومن مجازه ما جاءت مخاطبته مخاطبة الشاهد ثم تركت، وحولت هذه إلى مخاطبة الغائب: قال الله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ

1- القيامة : ٢٠-٢١.

2- وهي قراءة مجاهد، والحسن، وقتادة، والجحدرى وابن كثير وأبي عمرو بياء الغيبة فيهما، انظر (أبو حيان، محمد بن يوسف بن علي (٧٤٥هـ). البحر المحيط، دار الفكر، بيروت، (٧: ٣٨٨)) وانظر (ابن الجزري، شمس الدين محمد بن محمد بن علي بن يوسف (٨٣٨هـ). تحبير التيسير، تحقيق الدكتور أحمد القضاة، الطبعة الأولى، دار الفرقان، عمان، ٢٠٠٠م، ص٥٩٨ .

3- يونس: ٢٢.

4- الفراء، يحيى بن زياد بن عبد الله، معاني القرآن، تحقيق أحمد يوسف نجاتي، محمد علي النجار، الهيئة المصرية، جـ ٣، ص ٢١١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

﴿ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۖ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمۡ فِي ٱلۡفُلۡكِ وَجَرَيۡنَ بِهِم ﴾ [١] أي بكم، ومما جاء خبراً عن الغائب ثم خوطب الشاهد، قال تعالى: ﴿ ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ يَتَمَطَّىٰٓ ٣٣ أَوۡلَىٰ لَكَ فَأَوۡلَىٰ ٣٤ ﴾ [٢]، ﴿ الٓمٓ ١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ ﴾ [٣] ذلك الكتاب معناه القرآن، وقد يخاطب العربي الشاهد فتظهر له مخاطبة الغائب، قال خفاف بن ندبة[٤]: -من الطويل-

وإن تك خيلي قد أصيب صميمها فعمداً على عيني تيممت مالكاً[٥]

وتكلم عن الالتفات دون أن يذكر اسمه أيضاً، (أبو محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري المتوفى سنة ٢٧٦هـ) في كتابه (تأويل مشكل القرآن) تحت باب (مخالفة ظاهر اللفظ معناه)، حيث حشد في هذا الباب فنوناً كثيرة من الأساليب، ومنها قوله: (ومنه أن تخاطب الشاهد بشيء ثم تجعل الخطاب له على لفظ الغائب كقوله عز وجل: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمۡ فِي ٱلۡفُلۡكِ وَجَرَيۡنَ بِهِم بِرِيحٖ طَيِّبَةٖ وَفَرِحُواْ بِهَا ﴾ [٦] وقوله: ﴿ وَمَآ ءَاتَيۡتُم مِّن زَكَوٰةٖ تُرِيدُونَ وَجۡهَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُضۡعِفُونَ ٣٩ ﴾ [٧] وقوله: ﴿ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمۡ ﴾ ثم قال: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ﴾ [٨] وقال الشاعر: -من البسيط-

يا دار مية بالعلياء فالسند أقوت وطال عليها سالف الأبد[٩]

وكذلك أيضاً تجعل خطاب الغائب للشاهد كقول الهذلي[١٠]: -من الكامل-

---

1- يونس: ٢٢.
2- القيامة: ٣٣، ٣٤.
3- البقرة: ١-٢، (هكذا ذكره ولعله أراد الالتفات في يا أيها الناس على اعتبار أن السورة من مطلعها بدأت بذكر تصانيف الناس على طريقة الإخبار ثم التفتت إليهم على طريقة الخطاب عند قول الحق يا أيها الناس، وهذا مذهب الزمخشري).
4- شاعر في صدر الإسلام توفي في (٢٠هـ).
5- أبو عبيدة، معمر بن المثنى، مجاز القرآن، مكتبة الخانجي، مصر، ص ١١.
6- يونس: ٢٢.
7- الروم: ٣٩.
8- الحجرات: ٧.
9- أقوت: خلت من أهلها، والأبد: الدهر. (لسان العرب)
10- هو أبو كبير عامر بن حليس.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يا ويح نفسي كان جدة خالد وبياض وجهك للتراب الأعفر[١]

ومنه أن يخاطب الرجل بشيء ثم يجعل الخطاب لغيره كقوله:

﴿ فَإِلَّمۡ يَسۡتَجِيبُواْ لَكُمۡ ﴾ الخطاب للنبي – صلى الله عليه وسلم، ثم قال للكفار: ﴿ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلۡمِ ٱللَّهِ وَأَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ ﴾ يدلك على ذلك قوله: ﴿ فَهَلۡ أَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴾ [٢])[٣].

وقد تطرق المبرد (٢٨٥ هـ) إلى ظاهرة الالتفات وساق لها بعض الشواهد من القرآن والشعر، حيث قال: (والعرب تترك مخاطبة الغائب إلى مخاطبة الشاهد ومخاطبة الشاهد إلى مخاطبة الغائب. قال الله عز وجل: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمۡ فِي ٱلۡفُلۡكِ وَجَرَيۡنَ بِهِم بِرِيحٖ طَيِّبَةٖ وَفَرِحُواْ بِهَا ﴾ [٤]، كانت المخاطبة للأمة ثم انصرفت إلى النبي – صلى الله عليه وسلم – إخباراً عنهم)[٥].

ويحتمل أن بذور الالتفات عنده نثرت عند غيره، ونبتت ولكن دون أن تستوي على سوقها عندهم، فمما يلفتنا في قول المبرد استعماله لفظ الصرف للتعبير عن الالتفات حين قال (كانت المخاطبة للأمة ثم انصرفت إلى النبي) ولعل غيره من العلماء ممن عاصره أو جاء بعده أخذ عنه هذا المفهوم فسمى الالتفات صرفا، كابن المعتز وابن وهب وأسامة بن منقذ، فقد استعملوا الصرف أو الانصراف عند تعريفهم للالتفات، ويحتمل أنهم قد تأثروا بالمبرد .

وممن أشار إليه دون ذكر اسمه (أبو محمد عبدالله بن محمد بن سعيد بن سنان الخفاجي المتوف سنة ٤٦٦هـ) عند كلامه على (الكلام في الألفاظ المؤلفة) قال: (وأما الخامس: وهو أن تكون الكلمة جارية على العرف العربي الصحيح... على أننا في تغير

1- ديوان الهذليين، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٦٥م، (٢: ١٠١).
2- هود: ١٤.
3- الدينوري، عبد الله بن مسلم ابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن، دار إحياء الكتب، ص ٢٧٥-٢٩٨.
4- يونس: ٢٢.
5- المبرد، أبو العباس محمد بن يزيد، الكامل، تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم، مطبعة نهضة مصر، القاهرة ، ج٣، ص ٢٢-٢٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الكنايات، وعدول الضمائر عن النسق في إيرادها ما يزيل شطراً من الفصاحة، وطرفاً من الرونق، ومن تأمل قول عبيد الله ابن قيس الرقيات: -من الطويل-

فتاتان أما منهما فشَبيهُ الـــ   هلال وأخرى منهما تُشبه الشمسا

فتاتان بالنجم السعيد وُلِدتُما   ولم تَلقياً يوما هَواناً ولا نحسا[١]

عَلِمَ أن بين قوله: (منهما) و(ولدتما) فرقاً واضحاً، ومزية بينة، ووَجَدَ الكلام الثاني كالمنقطع من الأول. وكذلك قول المتنبي: -من الكامل-

قومٌ تفرَّست المنايا فيكُمُ   فَرأت لكم في الحرب صَبْرَ كِرام

لأن وجه الكلام قوم تفرست المنايا فيهم، فرأت لهم.

فهذا في جانب التأليف مذكور، وفي شعبه معدود، واتباع العرف في إيراد الظاهر المعروف دون الشاذ النادر واجب لمن آثر مشاركتهم في فصاحة النظم، وسلامة النسج، فإنما بهم يقتدى، وعلى منارهم يهتدى)[٢].

وأما أول ورود لكلمة (الالتفات) كما يرى الدكتور عبد العزيز عتيق في كتابه (علم البديع)[٣] والدكتور هاشم محمد هاشم في كتابه (الالتفات في حاشية الشهاب)[٤] والدكتور أحمد مطلوب في (معجم المصطلحات البلاغية وتطورها) [٥] كان على لسان الأصمعي المتوفى سنة ٢١٧هـ، فقد ذكر كثير من الدارسين ما رواه محمد بن عبد الله الصولي عن يحيى بن علي المنجم عن أبيه عن إسحاق بن إبراهيم[٦] قال: (قال الأصمعي: أتعرف التفاتات جرير؟ قلت: لا، فما هي؟ قال: -من الوافر-

أتنسى إذ تُوَدِّعُنا سُليمى   بِعُود بَشامَة سُقِيَ البَشام [٧]

ألا تراه مقبلا على شعره، ثم التفت إلى البشام، فدعاً له، وقوله: -من الكامل-

طرب الحمام بذى الأراك فشاقني   لا زال في ظل وأيك ناضر[٨]

1- فتاتان: خبر مبتدأ محذوف تقديره هما وقوله: أما منهما، تقديره أما واحدة منهما، وقوله: ولدتما فيها انتقال من الغيبة إلى الخطاب.

2- الخفاجي، عبد الله بن محمد، سر الفصاحة، تحقيق الدكتور عبد المتعال الصعيدي، طبعة محمد علي صبيح، ص ١٢٠-١٢٢.

3- عتيق، عبد العزيز، علم البديع، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٧٤م، ص(١٣٥).

4- الالتفات في حاشية الشهاب (٢٦ - ٢٧)

5- معجم المصطلحات البلاغية وتطورها (١: ٢٩٥).

6- رويت القصة ذاتها بإسناد آخر عند بعض الكتاب، وهو عن محمد بن يحيى الصولي عن أبي العيناء عن الأصمعي، انظر الالتفات في حاشية الشهاب (٢٧).

7- البشام: شجر طيب يستاك به.

8- سبق الحديث عنه.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فالتفت إلى الحمام فدعاً له)[١].

ولعل أول من ذكر للالتفات تعريفاً وأفرده بالذكر في باب مستقل (عبد الله بن المعتز المتوفى سنة ٢٩٦هـ)، حيث ذكر الالتفات وأطلقه على ما عُرِّف به الآن فقال: (هو انصراف المتكلم عن المخاطبة إلى الإخبار، وعن الإخبار إلى المخاطبة وما يشبه ذلك، ومن الالتفات الانصراف عن معنى يكون فيه إلى معنى آخر قال الله جل ثناؤه: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمۡ فِي ٱلۡفُلۡكِ وَجَرَيۡنَ بِهِم بِرِيحٖ طَيِّبَةٖ وَفَرِحُواْ بِهَا ﴾ [٢] وقال: ﴿إِن يَشَأۡ يُذۡهِبۡكُمۡ وَيَأۡتِ بِخَلۡقٖ جَدِيدٖ ١٩ ﴾ ثم قال: ﴿ وَبَرَزُواْ لِلَّهِ جَمِيعٗا ﴾ [٣])، ثم ذكر من الشعر ما يشهد لذلك[٤].

وتحدث عنه (قدامة بن جعفر المتوفى سنة ٣٣٧هـ)، وعرفه بقوله: (هو أن يكون الشاعر آخذا في معنى فكأنه يعترضه إما شك فيه أو ظن بأن راداً يرد عليه قوله، أو سائلا يسأله عن سببه فيعود راجعاً على ما قدمه، فإما أن يؤكده أو يذكر سببه، أو يحل الشك فيه، مثال ذلك قول المعطل في بنى رهم من هذيل: -من الطويل-

تبين صلاة الحرب مناً ومنهم   إذا ما التقيناً والمسالم بادن

فقوله: (بادن) رجوع عن المعنى الذي قدمه، حين بين أن علامة صلاة الحرب أن المسالم يكون بادناً، والمحارب ضامراً. وقول الرماح بن ميادة: -من الطويل-

فلا صَرمُه يبدو وفي اليأس راحةٌ   ولا وصله يبدو لناً فنُكارمَه[٥]

فكأنه وهو يقول: وفي اليأس راحة، التفت إلى المعنى لتقدير أن معارضاً يقول له ما تصنع صرمه؟

فقال: لأن في اليأس راحة)[٦]، وذكر أبياتاً أخر جلها من الاعتراض، وبهذا يكون قد خلط بين الاعتراض والالتفات[٧].

1- إعجاز القرآن للباقلاني (٧٣-٧٤)، العسكري، أبو الهلال (٣٩٥هـ). كتاب الصناعتين للكتابة والشعر، ط١، مطبعة عيسى البابي الحلبي، ١٩٥٢م ، جـ ٤٠٧.
2- يونس: ٢٢.
3- إبراهيم: ١٩، ٢١.
4- البديع (٥٨ - ٥٩).
5- قد تقدم ذكر هذا البيت.
6- نقد الشعر جـ١، ص ١٥٠.
7- انظر الالتفات في حاشية الشهاب (٢٩-٣٠).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وسماه (أبو الحسين إسحق بن إبراهيم بن سليمان بن وهب) في كتابه (البرهان في وجوه البيان) الصرف، فقال: (وأما الصرف فإنهم يصرفون القول من المخاطب إلى الغائب، ومن الواحد إلى الجماعة، كقوله عز وجل: (حتى إذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح طيبة).

وكقول الشاعر:–من الطويل–

وتلك التي لا وَصْلَ إلا وِصالُها   ولا صَرْمَ إلا ما صَرَمْتِ يَضير

وقال آخر: –من الكامل–

ياً لهف نفسي كان جدة خاله   وبياض وجهك للتراب الأعفر)[١]

وتكلم عنه أيضاً (أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري المتوفى سنة ٣٩٥هـ)، وعقد له فصلا خاصاً وجعله على ضربين:

(فواحد أن يفرغ المتكلم من المعنى، فإذا ظننت أنه يريد تجاوزه، يلتفت إليه فيذكره بغير ما تقدم ذكره به)[٢]، وذكر في ذلك كلام الأصمعي، وبعض الأبيات الأخرى، والضرب الثاني هو الذي ذكره قدامة[٣].

وممن ذكر الالتفات باسمه (القاضي أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني المتوفى سنة ٤٠٣هـ)، وعرفه بالاعتراض والرجوع، قال: (ومن البديع الالتفات ... ومثل ذلك لجرير: –من الوافر–

متى كان الخيام بذي طُلُوح[٤]   سُقيتِ الغيث أيتُها الخيامُ

ومعنى الالتفاتات أنه اعترض في الكلام، قوله: (سقيت الغيث)، ولو لم يعترض لم يكن ذلك التفاتاً، وكان الكلام منتظما، وكان يقول: متى كان الخيام بذي طلوح أيتها الخيام، فمتى خرج عن الكلام الأول، ثم رجع إليه على وجه يلطف، كان ذلك التفاتاً)، ثم مثل عليه بشواهد من الذكر الحكيم والشعر، ثم قال: (ومنهم من لا يعد الاعتراض والرجوع من هذا الباب، ومنهم من يفرده عنه)[٥]، ثم مثل لكل منهما –أعني الاعتراض والرجوع–.

1– الكاتب، أبو الحسين إسحاق بن إبراهيم، البرهان في وجوه البيان، تحقيق الدكتور أحمد مطلوب والدكتورة خديجة الحديثي، جامعة بغداد، بغداد، ص(١٥٢).

2– الصناعتين، ص ٤٠٧.

3– عكاوي، إنعام فوال، المعجم المفصل في علوم البلاغة، دار الكتب العلمية، بيروت ص(٢٠٧)، وانظر الالتفات في حاشية الشهاب (٣٣).

4– ذي طلوح: اسم موضع.

5– إعجاز القرآن (٧٤ –٧٥)

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وذكره باسمه المعروف أيضاً تحت باب مستقل، (أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني المتوفى سنة ٤٦٣هـ)، حيث قال: (باب الالتفات، وهو الاعتراض عند قوم، وسماه آخرون الاستدراك، ... وجعله ابن المعتز بأبا مستقلاً وسائر الناس يجمع بينه وبين الاعتراض، وقد عده جماعة من الناس تتميما، والالتفات أشكل وأولى بمعناه، ومنزلة الالتفات في وسط البيت كمنزلة الاستطراد في آخر البيت، وإن كان ضده في التحصيل، لأن الالتفات تأتي به عفوا وانتهازاً، ولم يكن لك في خلد فتقطع له كلامك ثم تصله بعد إن شئت، والاستطراد تقصده في نفسك وأنت تحيد عنه في لفظك حتى تصل به كلامك عند انقطاع آخره، أو تلقيه إلقاء وتعود إلى ما كنت فيه، وقد جاء الالتفات في آخر البيت نحو قول امرئ القيس –من الوافر–:

أبعد الحارث الملك بن عمرو   له ملك العراق إلى عمان
مجاورة بني شجمي بن جرم   هواناً ما أتيح من الهوان
ويمنحها بنو شمجي بن جرم   معيزهم حنانك ذا الحنان

فقوله: (ما أتيح من الهوان) وقوله: (حنانك ذا الحنان) التفات)[١].

وسماه أسامة بن منقذ(٥٨٤هـ) (الانصراف) وقال: (وهو أن يرجع من الخبر إلى الخطاب، ومن الخطاب إلى الخبر)[٢]، ثم مثل له بآيات من الذكر الحكيم وشواهد من الشعر العربي، ولكن على نهج الاتساع فأدخل فيه الاعتراض ومثل له، وعد منه الرجوع ومثل له كذلك.

وعرّف التبريزي (٥٠٢هـ) الالتفات بقوله: (أن يكون الشاعر في كلام فيعدل عنه إلى غيره قبل أن يتم الأول، ثم يعود إليه فيتمه، فيكون فيما عدل إليه مبالغة في الأول، وزيادة في حسنه)[٣].

وعنه نقل الشاعر والأديب أبو طاهر محمد بن حيدر البغدادي (٥١٧هـ) هذا التعريف نصاً دون أن يلمح إليه[٤].

وممن فصل القول في الالتفات وذكر مقاصده البلاغية وأغراضه العامة والخاصة (أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي المتوفى سنة ٥٣٨ هـ) في

1- انظر العمدة، ص٢٧٥-٢٧٨.
2- ابن منقذ، أسامة بن مرشد بن علي. البديع في نقد الشعر، تحقيق أحمد بدوي وحامد عبد الحميد، ص ٢٠٠.
3- القنائي، أبو العباس أحمد، الكافي في العروض والقوافي، الناشر محمد علي صبيح، القاهرة ، ص ٢٧٨ .
4- انظر معجم المصطلحات البلاغية (١: ٢٩٩) نقلا عن قانون البلاغة، ص ١١٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تفسيره الكشاف، الذي يعد لأهل اللغة مقصدا، والذوق محجا، والبلاغة مطلبا، إذ غداً يجلي فيه إعجاز النظم الجليل على وفق الوجه الذي استقر أهل الفن على عده إعجازا، وهو ما ضَبط قواعده وجمع فوائده ونظم درره بأحسن عبارة وألطف إشارة الإمام العالم الفذ عبد القاهر الجرجاني في كتابه دلائل الإعجاز، حيث أرجع فيه إعجاز القرآن إلى سر النظم، ووضع المبادئ وقعّد القواعد التي يُعرف بها إعجاز القرآن من هذا الوجه، وقد كرَّ الزمخشري على تلكم النظرية مطبقاً لها في تفسيره الكشاف ليكون بحق كما قال عنه (من البسيط):

إن التفاسير في الدنيا بلا عدد   وليس فيها لعمري مثل كشافي

إن كنت تبغي الحجاً فالزم قراءته   فالجهل كالداء والكشاف كالشافي

وقد أخذ عنه وأفاد منه كل من جاء بعده ولكن على تفاوت، وليس الغرض هنا التفصيل في ذلك، وإنما أطنب الباحث فيما قدّم اعترافاً بحقهما علينا فجزاهم الله عنا كل خير.

والزمخشري وإن كان لم يضع كتأبا مستقلا في فنون البلاغة نعرف منه قوله في الالتفات، إلا أنه في تفسيره كشف عن فوائده وأغراضه وحدد من مصطلحه في الاستعمال من خلال التمثيل بآيات النظم الجليل ما لم يصنعه غيره، فقال – وهو يفسر قوله تعالى: (إياك نعبد وإياك نستعين)، (فإن قلت: لم عدل عن لفظ الغيبة إلى لفظ الخطاب؟ قلت: هذا يسمى: الالتفات في علم البيان[1] قد يكون من الغيبة إلى الخطاب، ومن الخطاب إلى الغيبة ومن الغيبة إلى التكلم كقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمۡ فِي ٱلۡفُلۡكِ وَجَرَيۡنَ بِهِم﴾[2] وقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابٗا فَسُقۡنَٰهُ﴾[3] وقد التفت امرؤ القيس ثلاثة التفاتات[4] في ثلاثة أبيات:

تطاول ليلك بالأثمد   ونام الخلى ولم ترقد

وبات وباتت له ليلة   كليلة ذي العائر الأرمد

1- المقصود: بعلم البيان: معناه العام الشامل لعلوم البلاغة الثلاثة، وليس البيان الذي ضبطه السكاكي بتعريفه.

2- يونس: ٢٢.

3- فاطر: ٩.

4- اختلف في عدد الالتفاتات في قول امرئ القيس هذا بناء على الاختلاف في مصطلحها، وسيأتي بيان ذلك عند التعريف الاصطلاحي للالتفات، والحق أن قول امرئ القيس هذا فيه التفاتان وليس ثلاثة كما ذهب الزمخشري وتبعه في ذلك السكاكي.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وذلك من نبأ جاءني   وخبرته عن أبي الأسود[١]

وذلك على افتتانهم في الكلام، وتصرفهم فيه، ولأن الكلام إذا نقل من أسلوب إلى أسلوب كان ذلك أحسن تطرية لنشاط السامع، وإيقاظاً للإصغاء إليه من إجرائه على أسلوب، وقد تختص مواقعه بفوائد، ومما اختص به هذا الموضع ...) [٢]، ثم ذكر ما للالتفات في هذا الموضع من فوائد وأغراض خاصة، وعلى نفس الطريقة تراه يجلي ويبين الفوائد الخاصة للالتفات في مواقعها كلما لاحت له فرصة، فارجع البصر في كتابه لتقف على طرف منها، وستنطوي هذه الأطروحة على طرف آخر بإذن الله.

و قوله: (وقد تختص مواقعه بفوائد، ومما اختص به هذا الموضع) يفيد أن الفائدة المختصة به لا تنحصر فيما ذكره، بل هناك فوائد جمة[٣].

ويكتفي الباحث بهذا القدر من الاستشهاد على ورود الالتفات في أقوال العلماء السابقين من أعيان القرون الخمسة الأولى، إذ إن الكلام عن الالتفات عند من جاء بعد الزمخشري له محل آخر، وهو عند الحديث عن التعريف الاصطلاحي له.

إلا أنه مما لابد من الإشارة إليه والتنبيه عليه، ما أفاده العلماءُ اللاحقون من كلام الزمخشري في الالتفات، حيث إن الزمخشري فصّل فيه ووضّح بنحو لم يسبق إليه، وبه تبعه كثير من علماء البلاغة فضلا عن المفسرين، وفي مقدمتهم السكاكي (٦٢٦هـ)، فالرأى المنسوب إليه هو رأي الزمخشري، انظر إليه يقول: (واعلم أن هذا النوع – أعني نقل الكلام عن الحكاية، والخطاب، والغيبة ثلاثتها ينقل كل واحد منها إلى الآخر، ويسمى هذا النقل التفاتاً عند علماء المعاني، والعرب يستكثرون منه، ويرون الكلام إذا نقل من أسلوب إلى أسلوب أدخل في القبول عند السامع، وأحسن تطرية لنشاطه، وأملا باستدرار إصغائه، وهم أحرياء بذلك..."[٤]، وهذا لا يخرج عما ذكره الزمخشري، وإن كان السكاكي أكثر من الشواهد الشعرية، وذكر منها ما لم يذكره الزمخشري، ثم قال: "وأمثال ما ذكر أكثر من أن يضبطها القلم، وهذا النوع قد يختص مواقعه بلطائف معان قلما تتضح إلا لأفراد بلغائهم، أو للحذاق المهرة في هذا الفن، والعلماء النحارير، ومتى اختص موقعه

1- تقدم الحديث عن هذه الأبيات.
2- الكشاف (١: ٦٢-٦٥).
3- الجرجاني، السيد الشريف علي بن محمد الحسيني. حاشية السيد على الكشاف، مطبوع بهامش الكشاف، ط١، ٤ج ، دار الفكر، ١٩٧٧م، جـ١، ص ٦٤.
4- السكاكي، يوسف بن أبي بكر بن محمد، مفتاح العلوم، طبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ص٩٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بشيء من ذلك كساه فضل بهاء ورونق، وأورث السامع زيادة هزة ونشاط، ووجد عنده من القبول أرفع منزلة ومحل إن كان مما يسمع ويعقل....)[١].

1- مفتاح العلوم ، ص٩٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المطلب الثاني : معنى الالتفات ومدى صلته بعلمي المعاني والبديع

- الالتفات لغة.

قال ابن فارس (٣٩٥هـ): (اللام والفاء والتاء كلمة واحدة تدل على اللّي وصرف الشيء عن جهته المستقيمة، ومنه لفتُّ الشيء: لويته، ولفتُّ فلاناً عن رأيه: صرفته.

والألفت: الرجل الأعسر، في لغة بني قيس: الأحمق.

واللفيتة: الغليظة من القصائد، لأنها تُلفّت ، أي تُلوي، وامرأة لفوت: لها زوج ولها ولد من غيره فهي تلفت إلى ولدها، ومنه الالتفات وهو أن تعدل بوجهك)[1].

وجاء في اللسان: (لفت وجهه عن القوم: صرفه، والتفت التفاتاً، والتَّلفُّت أكثر منه، وتلفَّت إلى الشيء والتفت إليه: صرف وجهه إليه، ... ولَفَتَه يلفِته لفتا: لواه على غير جهته)[2].

ويقال: التفت بوجهه يمنة أو يسرة: مال به، والتفت عنه: أعرض[3].

وقال الفراء عند قوله تعالى: ﴿ قَالُوٓاْ أَجِئۡتَنَا لِتَلۡفِتَنَا عَمَّا وَجَدۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَا ﴾ [4]:

(اللفت : الصّرف، يقال: ما لفتك عن فلان أي ما صرفك عنه؟ واللفت: لي الشيء عن جهته، كما تقبض على عنق إنسان فتلفته، وأنشد –من الكامل–: ولفَتْنَ لَفْتاتٍ لهنّ خَضاد)[5].

ومن أقدم الإشارات التي تحدثت عن معنى الالتفات في اللغة أيضاً ما جاء عند أبي عبيدة (٢٠٩هـ) في مجاز القرآن، عندما عرض للآية السابق ذكرها، قال: (أي لتصرفنا عنه، وتميلنا عنه، ويقال: لفت عنقه، كقول رؤبة: –من الرجز–

1- ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكرياً القزويني، معجم مقاييس اللغة، ، ط٢، تحقيق عبد السلام هارون، مطبعة مصطفى الحلبي، مصر، ١٩٧٢م (٥: ٢٥٨).

2- ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب، دار صادر ، بيروت، ص(٨٤ – ٨٦).

3- الجوهري أبو النصر إسماعيل بن حماد (٣٩٣هـ). الصحاح، ط٢، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٧٩م . والزمخشري، محمود بن عمر، أساس البلاغة، دراً ومطابع الشعب، القاهرة ص(٨٦١) و(زايد، عبد الرزاق أبو زيد، المصطلحات البلاغية والنقدية في كتاب الطراز، مطبعة الشباب، المنيرة، مصر، ص(١٦)).

4- يونس: ٧٨.

5- معاني القرآن: ج٢، ص ٨٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يدق صلبات العظام لفتى   لفتاً وتهزيعاً سواء اللفت[١])

وعند الراغب (٥٠٢ هـ): (يقال لَفَتَه عن كذا: صرفه عنه، قال تعالى: ﴿ قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَا ﴾ [٢]، أي تصرفنا، ومنه التفت فلان إذا عدل عن قِبَلِه بوجهه، وامرأة لفوت تلفت من زوجها إلى ولدها من غيره، واللفِيتَة ما يغلظ من القصيدة)[٣].

وممن أشار إلى تعريف الالتفات في اللغة ابن الأثير (٦٣٧هـ) ، حيث قال: (وحقيقته مأخوذة من التفات الانسان عن يمينه وشماله، فهو يقبل بوجهه تارة كذا وتارة كذا)[٤]، وعنه نقل ذلك العلوي (٧٤٥هـ)[٥]،وابن معصوم المدني (ت ١١٢٠هـ) [٦].

وعلى هذا فالالتفات مستعمل في عدة معان، فقد يقصد منه:

- الصرف، وقد تقدم.
- ليُّ الشيء عن جهته، وقد تقدم في كلام الفراء وأبي عبيدة.
- العدول، وقد تقدم في كلام ابن فارس والراغب.
- الميل عن الشيء أو الإعراض عنه، وقد تقدم أيضاً.
- الإقبال على الشيء، وهو ما أفاده كلام ابن الأثير، وظاهر هذا يوهم التناقض مع ما قبله وليس كذلك، فالالتفات إذا عدي (بإلى) أفاد ما ذكر ابن الأثير، وإذا عدي (بعن) أفاد الإعراض.

- ومنه: "لَفَتَ اللحاء عن العود: قشره"[٧].
- ومنه: "لفتُّ ردائي على نفسي إذا عطفته"[٨].

1- التهزيع: الدّق، واللفت اللي.
2- يونس: ٧٨.
3- الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد، المفردات، الطبعة الثانية، دار المعرفة، بيروت، ١٩٩٩م، ص(٤٦٥)
4- ابن الأثير، ضياء الدين، المثل السائر، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، مصر، (٢: ١٦٧).
5- العلوي، يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم، الطراز، مطبعة المقتطف، مصر، ١٩١٤م،(٢: ١٣١).
6- أنوار الربيع (١: ٣٦٢)
7- أساس البلاغة، ص ٨٦١.
8- ابن دريد، محمد بن الحسن، جمهرة اللغة، ط١، مكتبة المثنى ، ج٢، ص ٢٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- ومنه: " لفتُّ الريش على السّهم وضعه غير متلائم بل كيف اتفق"(١).
- وجعل بعضهم الالتفات بمعنى الترك(٢)، أخذا من قوله تعالى : ﴿ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ ﴾ (٣)، والآية لا تدل على ذلك، قال الزمخشري: "روي أنه أخرجها معهم، وأمر أن لا يلتفت منهم أحد إلا هي، فلما سمعت هدة العذاب، التفتت وقالت: ياْ قوماه، فأدركها حجر فقتلها" (٤)، وهو كما ترى، ولم أنقله هناً لأحتج به، بل لأبين أن الآية محتملة لوجوه، وإنما تؤخذ معاني اللغة من الاستعمالات الصريحة أو القطعية للألفاظ فيها، وليس الأمر هنا كذلك، وكما ثبت عند الأصوليين من كون الدليل إذا تطرق إليه الاحتمال سقط به الاستدلال، لا يصح أن نستدل بهذه الآية على هذا المعنى، على أن الباحث نفسه بعد أن أورد هذا المعنى نقل كلام الزمخشري هذا ولم يعقب.

والحاصل من ذكر هذه المعاني أن الالتفات إنما يستعمل حقيقة في الصرف أو العدول أو اللّيّ، وما ذُكِر له من معان على خلاف ذلك فهي إنما ترجع إلى واحدة من هذه الثلاثة، وإن شئت فارجع البصر فيها كرتين أو مراراً، لتقف على هذه الحقيقة والله تعالى أعلم.

والأوفق من هذه المعاني بالدراسة هو كون الالتفات عدولا، والله أعلم.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

---

1- الفيروزآبادي، القاموس المحيط ، ج١، ص ١٥٧.
2- فن الالتفات في البلاغة العربية (١١).
3- هود: ٨١.
4- الكشاف (٢: ٢٨٤)

تعريف الالتفات في الاصطلاح البلاغي واستقراره:

سبق ومر في الدراسة الحديث عن التعريف الاصطلاحي للالتفات قبل استقرار المصطلح[١]، ووقف الباحث هنالك على عدة تعريفات للالتفات نقلها دون أن يختار أو يرجح، بل إنه أرجأ الحديث عن الالتفات عند من جاء بعد الزمخشري إلى موضع تال، ووُعِد هنالك أن يكون التمام في مبحث آخر، وهذا تنجيز ما وُعِد.

إلا أنه تجدر الإشارة هنا إلى أن حديث العلماء عن هذا الفن في هذه المرحلة، وبعد الزمخشري بالتحديد امتاز عن المرحلة السابقة بتبلور المصطلح بصورة أجلى، فلم يعد الاعتراض أو التتميم أو غيره جزءاً منه، إلا أنه ورغم تبلوره أيضاً لم يستوعب عند بعضهم كافة أطرافه، ولم يصدق على كل أفراده.

وممن تجدر الإشارة إليه في هذه المرحلة ممن ضبط للالتفات تعريفاً –وإن لم يكن جامعاً مانعا–، الإمام الرازي (ت ٦٠٦هـ) حيث عرفه بأنه: (العدول عن الغيبة إلى الخطاب أو على العكس)[٢].

وعرض له السكاكي (٦٢٦هـ) عند حديثه عن علم المعاني وألمح إليه في علم البديع، وأشار إليه بما يمتاز به وإن كان لم يضع له تعريفاً منضبطاً وفق اصطلاح المناطقة، حيث قال: (اعلم أن هذا النوع أعني نقل الكلام عن الحكاية إلى الغيبة لا يختص المسند إليه ولا هذا القدر، بل الحكاية والخطاب والغيبة ثلاثتها بنقل كل واحد منها إلى الآخر ويسمى هذا النقل التفاتاً عند علماء علم المعاني)[٣].

كما ذكره مرة أخرى في موضع آخر في طي حديثه عن علم المعاني أيضاً وقال: (إنه قد ينتقل بالصيغة من الماضي إلى المضارع)[٤]، وذكره مرة ثالثة عند حديثه عن علم البديع، وأحال القارئ إلى الموضعين السابقين[٥]، ومما يلاحظ هنا دخول التغاير بين صيغ الأفعال على مصطلح الالتفات ومفهومه.

أما ابن الأثير (٦٣٧هـ) فقد وقف عند الالتفات طويلا، ووضع له تعريفاً لغوياً وآخر اصطلاحيا، قال: (وحقيقته مأخوذة من التفات الانسان عن يمينه وشماله فهو يقبل

1- عند الكلام عن الالتفات في دراسات العلماء السابقين.
2- الرازي، فخر الدين، نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز، مطبعة الآداب، القاهرة، مصر، ١٣١٧هـ ، ص ١١٢.
3- مفتاح العلوم، ص ٩٥.
4- المصدر نفسه، ص ١١٨.
5- المصدر نفسه، ص ٢٠٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بوجهه تارة كذا وتارة كذا، وكذلك يكون هذا النوع من الكلام خاصة لأنه ينتقل فيه عن صيغة إلى صيغة كالانتقال من خطاب حاضر إلى غائب أو من خطاب غائب إلى حاضر، أو من فعل ماض إلى مستقبل أو من مستقبل إلى ماض)[١].

وقد حذا الزملكاني (٦٥١ هـ) حذو الرازي في تعريفه واستخدام صيغة العدول وزاد عليه (من الغيبة إلى التكلم)[٢].

أما (حازم القرطاجني المتوفى سنة ٦٨٤هـ) فقد سماه وضبطه بما يُعرَف به دون أن يقصد إلى تعريفه على الطريقة المعتادة، حيث قال: (وهم يسأمون الاستمرار على ضمير متكلم، أو ضمير مخاطب، فينتقلون من الخطاب إلى الغيبة، وكذلك يتلاعب المتكلم بضميره، فتارة يجعله ياء على جهة الإخبار عن نفسه، وتارة يجعله كافاً، أو تاءً فيجعل نفسه مخاطباً، وتارة يجعله هاء فيقيم نفسه مقام الغائب، فلذلك كان الكلام المتوالي فيه ضمير متكلم أو مخاطب لا يستطاب، وإنما يحسن الانتقال من بعضها إلى بعض...)[٣].

وتابع بدرُ الدين بن مالك (٦٨٦هـ) السكاكي[٤]، وكذا القزويني (٧٣٩هـ) إلا أنه عدّ الالتفات من علم المعاني[٥]، ثم تابع القزويني شراح التلخيص (السبكي (٧٧٣هـ) والتفتازاني (٧٩٢هـ) والمغربي (٨٣٠هـ) والدسوقي (١٢٣٠هـ)) [٦].

وهذا القرطبي (٦٧١هـ) يورد الالتفات بما يُعرف به دون أن يسميه، بل أورده على أنه تلوين، حيث قال عند قول الحق (إياك نعبد): ((إياك نعبد) رجع من الغيبة إلى

1- المثل السائر، ج٢، ص ١٦٧ - ١٦٨.
2- الزملكاني، كمال الدين بن عبد الكريم، التبيان في علم البيان المطلع على إعجاز القرآن، ط١، مطبعة العاني، بغداد، ١٩٦٤م ، ص ١٧٣، الزملكاني، كمال الدين بن عبد الكريم، البرهان الكاشف في إعجاز القرآن، ط١ ، تحقيق خديجة الحديثي والدكتور أحمد مطلوب، مطبعة العاني، بغداد، ١٩٧٤م ، ص ٣١٣.
3- القرطاجني، أبو الحسن حازم بن محمد بن حسن، منهاج البلغاء ،ط٣، دار الغرب، بيروت، ١٩٨٦م ، وسراج الأدباء، ص٣٣٨.
4- ابن مالك، بدر الدين بن عبد الله، المصباح في علم المعاني والبيان والبديع، ط١، ١٣٤١هـ ص ١٤-١٥.
5- القزويني، جلال الدين محمد بن عبد الرحمن، الايضاح في علوم البلاغة، ط١، ١ج، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٥م، ص ٧٤.
6- شروح التلخيص وهي مختصر العلامة سعد الدين التفتازاني على تلخيص المفتاح للخطيب القزويني، ومواهب الفتاح في شرح تلخيص المفتاح لابن يعقوب المغربي وعروس الأفراح شرح تلخيص المفتاح لبهاء الدين السبكي، وبهامشه كتاب الإيضاح للقزويني ومعه حاشية الدسوقي على شرح السعد، مطبعة عيسى البابي الحلبي، مصر، ج١، ص ٤٦٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الخطاب على التلوين)[١]، وقال عند قوله تعالى: (وجرين بهم): (خروج من الخطاب إلى الغيبة وهو في القرآن وأشعار العرب كثير، قال النابغة: -من البسيط-

يا دار مية بالعلياء فالسند   أقوَت وطال عليها سالف الأمد[٢]

قال ابن الأنباري: وجائز في اللغة أن يرجع من خطاب الغيبة إلى لفظ المواجهة بالخطاب)[٣]، ولم يسمه أيضاً بالالتفات، بل قد نص على تسميته بالتلوين في العديد من المواضع[٤]، واكتفى بذكر تغاير الضمائر، أو خروج بعضها عن أصل الاستعمال في مواضع أخرى، ولم يقف الباحث على موضع واحد له في التفسير سما فيه تغاير الضمائر بالالتفات.

وقد نقل الباحث قاسم فتحي سليمان في رسالته[٥] عن مجلة آداب المستنصرية ما جاء فيه:(ومما يحملنا على أن نجعل التلوين مصطلحاً آخر للالتفات أن القرطبي حين شخّص الظاهرة لم يذكر الالتفات مع أنه كان معروفاً عند من قبله ولو عرفه لذكره، ومما يعزز اعتدادنا للتلوين مصطلحاً آخر للالتفات ما ذكره الزركشي من أن أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي (٤٢٧هـ) سمّاه المتلون).

وعرفه العلوي (٧٤٥هـ) بقوله: (العدول من أسلوب في الكلام إلى آخر مخالف للأول، وهذا أحسن من قولنا : هو العدول من غيبة إلى خطاب، ومن خطاب إلى غيبة لأن الأول يعمّ سائر الالتفاتات كلها، والحد الثاني إنما هو مقصور على الغيبة والخطاب لا غير، ولا شك أن الالتفات قد يكون من الماضي إلى المضارع)[٦]، وهو مقارب لمذهب السكاكي.

وممن عرض لتعريفه أيضاً أبو حيان، عند تفسيره لقوله تعالى: "إياك نعبد وإياك نستعين"، قال أبو حيان: (و "إياك": التفات لأنه انتقال من الغيبة، إذ لو جرى على نسق واحد لكان إياه، والانتقال من فنون البلاغة، وهو الانتقال من الغيبة للخطاب أو التكلم، ومن

1- القرطبي، محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ج١، ص ١٤٥.
2- سبق الحديث عنه
3- الجامع لأحكام القرآن (٨ : ٣٢٤)
4- انظر الجامع لأحكام القرآن (١٠: ٢١٢) ، (١٢: ٣٢٣) ، (١٤ : ٣٢٧)
5- فن الالتفات في البلاغة العربية (٢٠-٢١) نقلا عن فن الالتفات في مباحث البلاغيين، مجلة آدّاب المستنصرية، بغداد، العدد (٩) ، ١٩٨٤ م
6- الطراز، ج٢، ص ١٣٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الخطاب للغيبة أو التكلم، ومن التكلم للغيبة أو الخطاب، والغيبة تارة تكون بالظاهر، وتارة بالمضمر، وشرطه أن يكون المدلول واحداً) [١].

وتعريف أبي حيان من أجلى التعريفات وأكثرها تحديداً للمقصود، إلا أنه في تطبيقه توسع في المصطلح عما قصره عليه في البداية، فقال عند قوله تعالى: ﴿ قُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ مِنْهَا جَمِيعًا ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾ ﴾ [٢]: ("مني": متعلق بيأتينكم، وهذا شبيه بالالتفات ، لأنه انتقل من الضمير الموضوع للجمع ، أو المعظم نفسه ، إلى الضمير الخاص بالمتكلم المفرد)[٣] .

وقوله هذا مشعر بأن ذلك ليس من الالتفات، وإنما يشبهه، لكنه صرح عند قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ ... يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ ﴾ [٤]، بأن ذلك نوع من الالتفات.

قال أبو حيان: (في قوله: "نعمتي" نوع التفات، لأنه خروج من ضمير المتكلم المعظم نفسه في قوله: "آياتنا" إلى ضمير المتكلم الذي لا يشعر بذلك)[٥].

أما الإمام الزركشي (٧٩٤ هـ) فقد عرفه في برهانه بقوله: "وهو نقل الكلام من أسلوب إلى أسلوب آخر تطرية واستدراراً للسامع، وتجديداً لنشاطه، وصيانة لخاطره من الملال والضجر بدوام الأسلوب الواحد على سمعه كما قيل: -من البسيط-

لا يُصلِحُ النفسَ إن كانت مصرَّفة ... إلا التنقل من حال إلى حال)[٦]

وهو في ذلك تابع للقرطاجني، ولكن على نهج الاتساع كما يوهم تعريفه وليس الأمر كذلك، فقوله نقل الكلام من أسلوب إلى أسلوب أعم وأشمل من أن يُقصر على التنقل بين الغيبة أو الخطاب أو التكلم؛ وهي ما عناه، إذ قال في تضاعيف كلامه عن الالتفات: (واعلم أن للتكلم والخطاب والغيبة مقامات، والمشهور أن الالتفات هو الانتقال من أحدها

1- البحر المحيط (١: ١٣ – ١٤)
2- البقرة: ٣٨.
3- البحر المحيط: (١: ٢١٣).
4- البقرة : ٣٩ – ٤٠.
5- البحر المحيط: (١: ٢٢١).
6- الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله، البرهان في علوم القرآن، دار الجيل، بيروت، ١٩٨٨م، ج٣، ص٣١٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إلى الآخر بعد التعبير بالأول، وقال السكاكي: إما ذلك وإما التعبير بأحدهما فيما حقه التعبير بغيره[١]، وهي كثيرة)[٢].

وقد أخذ عنه تعريفه مع تحديد المقصود دون سلوك طريق الاتساع المُتوهم فيه الإمام السيوطي (٩١١ هـ)، حيث قال في الاتقان ومعترك الأقران: "وهو نقل الكلام من أسلوب إلى أسلوب آخر، أعني من التكلم أو الخطاب أو الغيبة إلى آخر منها، بعد التعبير بالأول، وهذا هو المشهور، وقال السكاكي: إما ذلك وإما التعبير بأحدهما فيما حقه التعبير بغيره"[٣].

ولعل في ما ذُكر كفاية وغنية، فما ورد عن غيرهم إما نقل عنهم أو مشاركة لهم فيما ذهبوا إليه وإن تغايرت القوالب أحيانا.

إلا أنه تجدر الإشارة هناً إلى ما أورد الباحث قاسم فتحي سليمان في رسالته عقب ذكر طائفة من تعريفات السابقين، حيث قال: "وبعد هذه الوقفة مع تعريفات الالتفات عند الدارسين يمكن أن أخرج بملاحظتين:

١. إن تعريف الالتفات من الناحية الاصطلاحية مرّ بثلاث مراحل:

أ- مرحلة النشوء (تطور الملاحظات) : وبدأت من التفاتات امرئ القيس إلى ابن المعتز.

ب- مرحلة الارتقاء (أو الذروة): بدأت من ابن المعتز إلى ابن الأثير.

ت- مرحلة الاستقرار، ما بعد ابن الأثير واستمرت إلى يومناً هذا.

٢. إن جميع التعريفات التي وقفناً عندها لم تكن لتحيط بجميع أنواع الالتفات – التي ستأتي- ويمكن من استخلاص تعريف اصطلاحي مستنداً على تعريفات البلاغيين من مرحلة القمة . أزعم – أنه شامل ... فالالتفات هو :

أسلوب يتسم بالعدول عن صيغة إلى صيغة، كأن يعدل عن التكلم إلى الخطاب، أو عن التكلم إلى الغيبة، أو عن الخطاب إلى الغيبة... وبالعكس.

أو أن يعدل المتكلم عن المفرد إلى المثنى أو عن المفرد إلى الجمع أو عن المثنى إلى الجمع – وبالعكس.

1- سيأتي الكلام عن الفرق بين التعريفين مع التمثيل له لاحقا.
2- البرهان في علوم القرآن، ج٣، ص٣١٥.
3- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن، الاتقان في علوم القرآن، ط١، ٥ج، مؤسسة النداء، أبو ظبي، ٢٠٠٣م، ج٣، ص٣٦١، ومعترك الأقران (١: ٣٧٧)

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أو أن يعدل المتكلم عن الفعل المضارع إلى الأمر وعن المضارع بالماضي أو العدول عن الفعل المضارع إلى اسم المفعول.

لفائدة تقتضي ذلك العدول كأن يكون لتأكيده أو إزالة الشك عنه أو غير ذلك"[١].

والذي يود الباحث الوقوف عنده هنا الأمران، أعني المراحل التي مر بها التعريف والتعريف الذي استقر عليه الباحث.

أما من حيث المراحل، فإن الذي يبدو أن الباحث قد راعى القضية التاريخية في التصنيف، فجعل الالتفات من حيث الاستعمال عند العرب أو الورود عند العلماء دون تحديد أيّما مصطلح له مرحلة، ثم عد ذكر العلماء له مع تخصيصه بتعريف وإن تباينوا فيما يصدق عليه هذا التعريف مرحلة أخرى، كما عد ابن الأثير فيصلاً بين مرحلتين، هما التطور عند من سبقه والاستقرار عنده وعند من جاء بعده.

والذي يشكل على هذا التقسيم ما يلي:

١. أنه جعل مرحلة الاستعمال عند العرب والذكر له عند العلماء مرحلة واحدة.
٢. أنه جعل ذكر العلماء له مع تباينهم في التحديد لمصاديقه مرحلة واحدة، فمن عد الاعتراض أو التتميم من الالتفات ومن قصره على تغاير الأسلوب بين الضمائر، ومن توسع فيه لينتظم غيرها، سلكهم جميعاً نظم واحد أو مرحلة واحدة، وهي الثانية عنده.
٣. ما جاء به ابن الأثير تأطير لما ذكره الزمخشري وإبراز له في قوالب جديدة من اللفظ.
٤. ليس الأمر كذلك فحسب، بل إن السكاكي أيضاً كان سابقاً لابن الأثير في إقرار المصطلح إلى حد كبير، نعم فصّل ابن الأثير فيه أكثر من غيره، وناقش الزمخشري في بعض ما ذهب إليه(٢)، إلا أنه رغم ذلك كان مسبوقاً في إقرار المصطلح.
٥. بقي الخلاف قائما عند بعض العلماء فيما يعد من الالتفات بعد ابن الأثير، فهذا ابن أبي الإصبع المصري (٦٥٤هـ) يذكر تعريف قدامة للالتفات، قال المصري: (فسّره قدامة بأن قال: هو أن يكون المتكلم آخذا في معنى فيعترضه إما شك فيه،

1- فن الالتفات في البلاغة العربية (٢٠ -٢١)
2- سنعرض لها في مبحث خاص بإذن الله.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أو ظن أن راداً ردّه عليه، أو سائلا سأله عنه أو عن سببه، فيلتفت قبل فراغه من التعبير عنه، فإما أن يجلي شكّه ، أو يؤكده ويقرّره أو يذكر سببه)[١].

وكذلك فعل شهاب الدين الحلبي (٧٢٥هـ) والنويري (٧٣٣هـ) ونجم الدين ابن الأثير الحلبي (٧٣٧هـ) وابن حجة الحموي (٨٣٧هـ) [٢] فكلهم قد تبع قدامة في تعريفه للالتفات، وكذلك المظفر العلوي (٦٥٦ هـ) [٣] حيث تبع ابن المعتز في تعريفه، وكلهم جاء بعد ابن الأثير، ولا يعني ذلك أن ابن الأثير لم يؤثر في من جاء بعده، فقد تبعه ابن أبي الحديد (٦٥٥هـ) وابن معصوم المدني (١١٢٠ هـ) [٤]، وغيرهم كثير كذلك.

وليس ما ورد هنا لجحد فضل ابن الأثير أو إنكار جهده في هذا الميدان فضلا على أن يكون مراداً أو مقصوداً إليه، وإنما المراد هنا إثبات حق تاريخي دون حيف على أحد من أهل العلم الأجلاء.

ويا ليت الأستاذ أبو موسى كفانا مؤنة التأريخ لهذا العلم ولم يضرب عنها صفحا، فإن مثله إن خاض الغمار يستل كبد الحقائق، ويضع الأمور في موضعها التي هي حقيقة بها وهو متحقق بذلك، لكنه ضرب عنها صفحاً مبيناً عذره في ذلك، من كثرة الأقوال في الالتفات واختلاف العلماء فيه[٥]، فجزاه الله عنا خيراً.

وما هو معتذر به نحن أولى بالاعتذار به، إلا أن طبيعة الدراسة تقتضي منا المحاولة، ونحن فيها مترددون بين الخطأ والصواب والله الموفق والمعين.

1- تحرير التحبير، ص ١٢٣، والمصري، ابن أبي الأصبع، بديع القرآن، تحقيق حفني شرف، ص ٤٢.

2- الحلبي، شهاب الدين محمود الحلبي (٧٢٥هـ)، حسن التوسل إلى صناعة الترسل، تحقيق د. أكرم عثمان، دار الرشيد للنشر، ١٩٨٠م ، ص ٢٢٤، ونهاية الأرب في فنون الأدب، ج٧، ص ١١٦. و ابن الأثير الحلبي، نجم الدين إسماعيل، جوهر الكنز تلخيص كنز البراعة في أدوات ذي البراعة، تحقيق د. محمد زغلول سلام، منشأة المعارف، الإسكندرية ، ص ١١٩. والحموي، ابن حجة (٨٣٧هـ). خزانة الأدب وغاية الأرب، دار القاموس الحديث، بيروت ، ص ٥٩.

3- العلوي، مظفر الفضل، (٦٥٦هـ). نضرة الإغريض في نصرة القريض، تحقيق د. نهى عارف الحسن، الجامعة اللبنانية، ١٩٧٦م ، ص ١٠٥.

4- ابن أبي الحديد، الفلك الدائر على المثل السائر، تحقيق د. أحمد الحوفي، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، مصر ، ص ٢٢٤. وأنوار الربيع، ج١، ص ٣٦٢.

5- سبقت الإشارة إلى ذلك.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والذي يراه الباحث من التقسم هو أن يكون وفق التالي:

١. طور الاستعمال في الكلام العربي القديم، ويمتد ذلك حتى نهاية عصر الاحتجاج[١].

٢. طور الإشارات لها في كتابات العلماء دون تسميتها أو تحديدها، وهذا وإن كان طابع القرن الثالث، فإن الذي يراه الباحث أن لا يقصر ذلك بزمن، فقد جاء ذكرها دون تسميتها عند المبرد وهو من أعيان القرن الرابع، وكذا ابن سنان وهو من أعيان القرن الخامس، وعند غيرهما كذلك.

٣. طور الارتقاء، وبدأً بتسمية العلماء للالتفات في تصانيفهم، وإفراده بالذكر عند بعضهم في مباحث خاصة، ويمتد هذا الطور من أواخر القرن الثالث وحتى مجيء الزمخشري في منتصف القرن السادس تقريبا، والذي يلاحظ في هذا الطور اختلاف العلماء في تسميته من ناحية، واختلاطه بغيره من فنون البلاغة من ناحية أخرى.

٤. طور الاستقرار، وهو ما بدأه الزمخشري وتبعه فيه غيره ممن جاء بعده، ومنهم ابن الأثير، ويمتاز هذا الطور بتبلور المصطلح وتحديد مصاديقه وأفراده إلى حد كبير، مع ذكر أغراضه البلاغية العامة، والخاصة في بعض المواضع، كما فعل الزمخشري في تفسيره الكشاف عند حديثه عن بعض الآيات التي جاء فيها، ويمتد هذا الطور على مدى القرنين السادس والسابع.

٥. طور التهذيب والتطبيق، ويمتد من أواخر القرن السابع وحتى يومناً هذا، ويمتاز بما يلي:

أ- كثرة المحاولات التي سلكها بعض العلماء في ضبط المصطلح على ما استقر عليه في الطور السابق.

ب- توسع بعضهم في المصطلح وأدخل فيه ما ليس منه كالتغاير بين صيغ الأفعال[٢] وغير ذلك مما سيرد الحديث عنه لاحقا، وهم بذلك مستفيدون مما بذره السكاكي وابن الأثير من الطور السابق.

ت- التطبيق لهذه الظاهرة في كثير من الكتابات ولا سيما التفسيرية منها.

1- أي حتى عام (١٣٢ هـ) وهو تاريخ وفاة مالك ابن الريب آخر شعراء الاحتجاج، وهو ذات التاريخ الذي سقطت فيه الدولة الأموية.

2- هذا وفق رأي الباحث.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ث- جهود الباحثين في التنقيب عن أغراضه الخاصة، لا سيما في النظم الجليل.

ج- كثرة النقولات لأقوال السابقين -وحتى قبل استقرار المصطلح- والعكوف عليها مع وجود بعض المحاولات لقولبتها بقوالب لفظية جديدة، وهو ما يسميه بعضهم بالجمود.

ح- الاضطراب في تصنيفه بين علمي المعاني والبديع، وهذا مشترك بين هذه المرحلة والمرحلة السابقة.

ومما تجدر الإشارة إليه أن هذا العلم ما زال بحاجة للخدمة في أكثر من باب، فهو بحاجة:

- لضبط تاريخه بصورة أكثر دقة وأشمل استقراء.
- ضبط موضعه من علوم البلاغة فلا زال بعضهم يعده من المعاني وبعضهم يعده من البديع.
- ضبط مصطلحه، فبعضهم يجعله خاصاً بالضمائر، وآخرون يدخلون فيه التغاير بين صيغ الأفعال، وصيغ الإفراد والتثنية والجمع.

وقد يَرِد على الباحث بعض ما أورده على زميله، إلا أن هذا ما وصل إليه في دراسته، وهو في ذلك كما أسلف متردد بين الخطأ والصواب، فإن كانت الثانية فهي غاية المطلب ونهاية المقصد، وفيها من الله الأجران، وإن كانت الأولى؛ فهذا شأن من كان على أعتاب الطلب، أن يخطئ ليُقوَّم، ويزل ليصوب، ولولا سواد الخطأ ما ظهرت إشراقة الصواب، وهو على كل حال لن يعدم من الله الأجر ومنكم الرفق والتقويم.

أما من حيث التعريف الذي اختاره الباحث (قاسم فتحي سليمان)، فقد سلك فيه طريق الاتساع، وهو بذلك موافق لما اختاره الدكتور حسن طبل في كتابه أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية[١]، وفي بعضه (أعني بين صيغ الأفعال) لما ألمح إليه السكاكي، وذكره ابن الأثير.

إلا أن الملاحظ على هذا التعريف، هو التوسع في عد مصاديق الالتفات من جهة، والتحكم في ذلك من جهة أخرى، فليس ما ذكروا وعدوا من وجوه الالتفات بأحق من غيره، فإذا كان الالتفات هو الانتقال من أسلوب إلى أسلوب، فليس العدول من صيغة فعل إلى آخر بأولى من العدول من أسلوب إلى آخر، كما هو الحال بين الإنشاء والإخبار، أو

1- أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية (٦٣).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الاستفهام والتعجب، أو الدعاء والنداء، وغير ذلك من الأساليب الكثيرة والتي يصلح في المقال العدول من أحدها إلى الآخر.

فإما أن يكون ما ذكروه على سبيل التمثيل، والتعريف عندئذ وإن كان جامعاً لا يعد مانعاً، لصلوحية أي عدول أو تحول في الأسلوب أن يكون منه، وليس الأمر كذلك، ولما بين التعريف الاصطلاحي واللغوي من تماثل إلى حد كبير خلا المحسوسات.

أو على طريقة الاعتداد، وفي التعريف عندئذ تحكم غير معلل، فضلا عن خروجه على أصل الاستعمال في عصر الاحتجاج والقرون الأولى.

والذي يراه الباحث أن ما ذكر للالتفات من تعريف، وإن كان منسجما مع معناه اللغوي في العدول والصرف، إلا أن له حقيقة مغايرة لما اصطلح عليه أهل الفن وقت النشوء والاستقرار.

نعم قد ورد عند بعضهم إدخال التغاير بين صيغ الأفعال فيه، ونقله عنهم أفذاذ كالزركشي وغيره، إلا أن ضرورة ضبط المصطلح وفق ما استقر عليه عند الأكثر؛ ليكون جامعاً لكل أفراده الذين يصدق عليهم، مانعاً لغيرهم أن يكون مما يرد عليه، تقتضي ضبطه بالأمر الذي به عرف عندهم من جهة، وبما يتبادر الذهن إليه عند الإطلاق من جهة أخرى، وعلى هذا يرى الباحث قصر الالتفات في الاصطلاح على الضمائر، وهو بذلك آخذ بمذهب الزمخشري، وقد سبق التنويه على مكانته البلاغية، ومذهب أبي السعود العمادي، وهو ما اختار أصلاً أن تكون الدراسة فيه، فضلا عن موافقته لأقوال كثير من العلماء المعتد بهم في هذا الشأن، وهم له أئمة في ذلك، وهو على دربهم بإذن الله سائر، والله يعصمنا وإياهم عن الخطأ والزلل.

وعلى هذا يكون تعريف الالتفات عند الباحث ما اختاره الجمهور[١]، وهو:

التعبير عن معنى بطريق من الطرق الثلاثة –أعني التكلم والخطاب والغيبة– بعد التعبير عنه بطريق آخر منها.

ومما تجدر الإشارة إليه، هو ما بين هذا التعريف وأحد تعريفي السكاكي من فرق، إذ عرفه السكاكي بهذا التعريف ثم قال : (أو أن يكون مقتضى الظاهر التعبير عنه بطريق

1– انظر خصائص التراكيب (٢٥٠)، وأنوار الربيع (١: ٣٦٢).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

منها، فعدل إلى آخر)[١]، وبين تعريف السكاكي الأخير هذا وتعريف الجمهور عموم وخصوص مطلق[٢]، ويظهر الخلاف في مثل قول امرئ القيس:

تطاول ليلك بالأثمد ... ونام الخلّيُّ ولم ترقد

وبات وباتت له ليلة ... كليلة ذي العائر[٣] الأرمد

وذلك من نبأ جاءني ... وخُبِّرتُهُ عن أبي الأسود[٤]

ففيه عند السكاكي ثلاثة التفاتات: أحدها (ليلك)، لأنه خطاب ومقتضى الظاهر (ليلي) بالتكلم، والثاني (بات) لأنه غيبة ومقتضى الظاهر (بت) بالتكلم، والثالث في (جاءني) لأنه تكلم ومقتضى الظاهر (جاءك) بالخطاب، وعند الجمهور فيه التفاتان وهما الثاني والثالث، وأما الأول فليس عندهم بالتفات، لأنه لم يقع بعد التعبير عنه بطريق آخر من الطرق الثلاثة بخلاف الآخرين.

ومثله في النظم الجليل، قوله تعالى: ﴿ ۞ وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓاْ إِلَٰهَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِۖ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ فَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ ﴿٥١﴾ ﴾[٥]، ففي الآية التفاتان على مذهب السكاكي، وهما (إنما هو) لأنه غيبة ومقتضى الظاهر أن يكون تكلماً، والثاني في قوله (فإياي)، وهذا لا خلاف فيه عندهم.

والذي تجدر الإشارة إليه أن الزمخشري على هذا المذهب، وأن السكاكي فيه سار على سيره، لذا فالزمخشري أحق من السكاكي في النسبة، قال الزمخشري: (وقد التفت امرؤ القيس ثلاثة التفاتات في ثلاثة أبيات...)[٦]، وذكر بعد ذلك أبيات امرئ القيس السابق ذكرها.

والمختار في هذا المقام هو ما سار عليه الجمهور، لا ما انفرد به الزمخشري وتبعه عليه السكاكي، وذلك لما يلي:

1- الشربيني، عبد الرحمن، فيض الفتاح على حواشي شرح تلخيص المفتاح، ط١، مطبعة مدرسة والدة عباس الأول، القاهرة، ١٩٠٦م، (٢: ٤٦٠).

2- العموم والخصوص المطلق: هو أن يشترك الأمران في شيء وينفرد الأعم منهما في شيء آخر، ويقابله العموم والخصوص الوجهي، أو من وجه.

3- العائر: كل ما أعل العين.

4- تقدم ذكرها.

5- النحل : ٥١.

6- الكشاف (١: ٦٣)

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

١. عُرِّف الالتفات في اللغة بالعدل أو الصرف، وهذا يقتضي ضرورة أن يكون هناك طرفان أحدهما معدول عنه والآخر إليه، وجعل المعدول عنه لفظاً في حال والمعدول إليه لفظاً في حال آخر أولى من جعل المعدول عنه حالاً والمعدول إليه مقالاً.

٢. إن الذي اختصت دراستنا فيه لا يرى مثل هذا النوع من الالتفات، قال أبو السعود عند قوله تعالى السالف ذكره من سورة النحل: "وفيه التفات من التكلم إلى الغيبة على رأي من اكتفى في تحقق الالتفات بكون الأسلوب الملتفت عنه حق الكلام ولم يشترط سبق الذكر على ذلك الوجه"(١).

ولعل الأوفق للدراسة ما اختاره الباحث، إذ هو كما بين رأي أبي السعود، والدراسة فيه، والله الموفق والهادي إلى الصواب.

1- تفسير أبي السعود (٦: ١١٩).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

صلة الالتفات بعلمي المعاني والبديع

سبق وذُكر أن موقع الالتفات في البلاغة من الموضوعات الحرية بالدرس القمينة بالتتبع الجديرة بالاهتمام، وقد اختلف الدارسون قديما وحديثاً في الالتفات من حيث موقعه في هذه العلوم، فحين عدَّه بعضهم في تقاسيم علم المعاني جعله آخرون من أضرب علم البديع، ولما لهذا الاختلاف من دلالات معنوية وفنية لا مناص للباحث من الوقوف عندها، وتبيين بواعثها وآثارها في الدرس البلاغي، جعل الحديث عنها من مطالب بحثه، ولكن على طريقة الإيجاز.

إلا أن الذي يعني الباحث في هذه المسألة دراسة موقع الالتفات من هذه العلوم بعد استقرارها في المصطلح، ولا مانع للإشارة إليه قبل استقرار المصطلح.

فهذا ابن المعتز يصنف كتأبا في البلاغة سماه البديع، ويذكر من موضوعاته الالتفات حيث عدَّه من محسنات الكلام[1]، وعندما نقف عند ابن المعتز وقفة فاحصة نوقن بأن هذا الكتاب لم يكن في علم البديع وفق المصطلح البلاغي المعهود، بل هو يقصد به علوم البلاغة، ويتضح ذلك مليَّاً في موضوعاته، فقد عرض لفنون عدة كالاستعارة والطباق والمذهب الكلامي وغيرها، فالاستعارة من البيان والطباق من البديع، وهذا يعني أنه لا يريد به البديع بمعناه الخاص المحدد، فالتحديد متأخر عن عصر ابن المعتز بأمد بعيد.

وعندما نعرض لأبي هلال العسكري ونطلع على كتابه الصناعتين نجد الباب التاسع عنده، قد حوى شرح البديع، وصور البديع عنده خمس وثلاثون، ولم تكن نظرة العسكري حين عدَّ الالتفات منها رامية إلى تقسيم البلاغة، بل لعله قد استلهم فكرة أنواع البديع من ابن المعتز وزاد عليها فكلّ منهما قد عدّ الاستعارة من البديع، وكذا الالتفات[2].

ومن الذين تناولوا الالتفات قبل استقرار علوم البلاغة الباقلاني فقد عرض له وعدّه من البديع، قال: (ومن البديع الالتفات)[3].

ولعل الباقلاني قد تبع في ذلك سابقيه، ولربما أخذه عن العسكري، إذ نقل فيه رواية الأصمعي التي أوردها العسكري في الالتفات، وقد سبقت الإشارة إليها، وهذا النقل يدلّ على تأثر الباقلاني بمذهب العسكري في التصنيف.

1- البديع (٥٨).
2- الصناعتين (٣٩٢).
3- إعجاز القرآن (٧٥).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وعدّ الزمخشري الالتفات من البيان وهو يعرض لتفسير قوله تعالى: (إياك نعبد) من سورة الفاتحة، قال الزمخشري: (فإن قلت: لم عدل عن لفظ الغيبة إلى لفظ الخطاب؟ قلت: يسمى الالتفات في علم البيان قد يكون من الغيبة إلى الخطاب، ومن الخطاب إلى الغيبة، ومن الغيبة إلى التكلم ،كقوله تعالى: (حتى إذا كنتم في الفلك وجرين بها)، وذلك على عادة افتنانهم في الكلام وتصرفهم فيه...)[١].

وفي نص الزمخشري إشارة إلى أن الالتفات من علم البيان، وليس الأمر كذلك، بل لعل ما يعنيه الزمخشري في كلامه علم البيان بمدلوله العام، إذ إن الزمخشري لم يضع حداً لهذا العلم، ولا لغيره، وهو لم يعنِ بعلم البيان القسم الثاني من علوم البلاغة، فالتقسيم – وإن أشار إليه الزمخشري في مقدمة الكشاف– لم يظهر إلا على يد السكاكي بموضوعاته ومصطلحاته، والبيان عند الزمخشري ليس إلا الظاهرة البلاغية التي تؤدي مهمة فنية للتعبير عن معنى معين، ولم يضع الزمخشري فواصل أو قواعد ليُعرَف بها العلمان.

وبالجملة فإن علوم البلاغة وتقسيماتها لم تظهر إلا في القرن السادس، ومن هنا فإن عدَّ ابن المعتز والعسكري والباقلاني والزمخشري وغيرهم مما لم نورد ذكرهم، الالتفات من أبواب البديع أو البيان، إنما تقسيم ارتأوه لكتاباتهم، ونهج ساروا عليه في تصانيفهم، دون أن يقصدوا فيه بداهة وضرورة البديع بمصطلحه الحالي، إذ إنه استقر على هذا المصطلح عقب السكاكي، وكل من أوردناً من العلماء ممن جاء قبله.

إلا أنه تجدر الإشارة هناً إلى أن ابن أبي الأصبع المصري (ت ٦٥٤هـ) وإن كان جاء عقب استقرار الفنون وتحديد المصطلحات، إلا أنه سلك في التصنيف في الالتفات سلوك ابن المعتز وقدامة، فقد أخذ عنهم ما قالاه في هذا الميدان، كما ألف كتابه (بديع القرآن)[٢] على طريقة ابن المعتز في كتابه البديع، حيث قصد به علوما شتى، ولم يرد علم البديع المحدد في الاصطلاح، بل وجدناه أيضاً في كتابه (تحرير التحبير)[٣] ينقل تعريف ابن المعتز وقدامة للالتفات، وينقل أيضاً ما ذكراه هنالك، وإن كان زاد شيئاً فإنما هو الاستشهاد للالتفات بالآيات القرآنية والتعليق عليها.

الالتفات بعد استقرار المصطلح:

1- الكشاف (١: ٦٣).
2- بديع القرآن (٤٢) .
3- تحرير التحبير (١٢٣) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أما بعد استقرار المصطلح فللعلماء فيه اتجاهان، فمنهم من تأرجح به فعده تارة من علم المعاني وعده أخرى من علم البديع، ومنهم من قطع به في أحدهما:

وممن تأرجح به السكاكي والقزويني (٧٣٩هـ) وشرّاح التلخيص السبكي (٧٧٣هـ) والتفتازاني (٧٩٢هـ) والمغربي (١١١٠هـ) والدسوقي (١٢٣٠هـ).

وقبل الحديث عن تأرجح السكاكي في تصنيفه لا بد من الإشارة إلى أنه أول من قسّم البلاغة إلى علومها الثلاثة وذلك حينما قال: "البلاغة: هي بلوغ المتكلم في تأدية المعاني حداً له اختصاص بتوفية خواص التراكيب حقها وإيراد أنواع التشبيه والمجاز والكناية على وجهها"[١].

ويقصد بالبلاغة علم المعاني والبيان، وبعد أن فرغ من المعاني والبيان، قال: (وإذا قد تقرر أن البلاغة بمرجعيها، وأن الفصاحة بنوعيها مما يكسو الكلام حلّة التزيين ويرقيه أعلى درجات التحسين، فها هنا وجوه مخصوصة كثيراً ما يصار إليها لقصد تحسين الكلام، فلا علينا أن نشير إلى الأعرف منها وهي قسمان: قسم يرجع إلى المعنى، وقسم يرجع إلى اللفظ)[٢].

فالسكاكي لم يطلق على القسم الثالث البديع، وإنما أطلقه عليه بدر الدين بن مالك عندما لخّص القسم الثالث من مفتاح العلوم في كتابه المصباح، وقال عن المحسنات "هو معرفة توابع الفصاحة"[٣].

وجاء القزويني وفصل البديع عن المعاني والبيان، قال القزويني: "إن البلاغة في الكلام مرجعها إلى الاحتراز عن الخطأ في تأدية المعنى المراد، وإلى تمييز الكلام الفصيح من غيره، والثاني – أعني التمييز – منه ما يثبت في علم متن اللغة أو التصريف أو النحو، أو يدرك بالحس؛ وهو ما عدا التعقيد المعنوي، وما يحترز به عن الأول– أعني الخطأ– هو علم المعاني، وما يحترز به عن الثاني – أعني التعقيد المعنوي– هو علم البديع"[٤].

وبذلك استقرت البلاغة على التقسيم الثلاثي: المعاني والبيان والبديع ، إلى يومنا هذا[٥].

1- مفتاح العلوم، ص ١٩٦ .
2- المصدر نفسه، ص ٢٠٠.
3- المصباح ، ص ٧٥.
4- الايضاح، ص ١٤.
5- وممن فصل في بيان تاريخ علوم البلاغة الدكتور فضل حسن عباس، انظر: عباس، فضل حسن، البلاغة فنونها وأفنانها: علم المعاني، ط٢، دار الفرقان، عمان، ١٩٨٩م، ص ٧٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المتأرجحون:

وقد درس السكاكي الالتفات في موضعين، حيث عرض له في حديثه عن علم المعاني، وقال: (واعلم أن هذا النوع أعني نقل الكلام عن الحكاية إلى الغيبة لا يختص بالمسند إليه ولا بهذا القدر، بل الحكاية والخطاب والغيبة ثلاثتهن ينقل كل واحد منها إلى الآخر، ويسمى هذا النقل التفاتاً عند علماء المعاني"[١]، كما عرض له عند حديثه عن البديع، وإن كان البديع مصطلحاً ظهر عقب السكاكي كما تقدم، فبعد أن ذكر ما عدّه بدر الدين بن مالك بديعاً –وقد تقدم نقله–، قال: "ومنه –يعني المحسنات المعنوية– (الالتفات) وقد سبق ذكره في علم المعاني)[٢].

ولعل السكاكي كان يرى أن الالتفات ألصق بعلم المعاني منه بالمحسنات المعنوية، ولذلك فصّل الحديث فيه عند عرضه لعلم المعاني، إلا وإنه لِما كان يرى له من قيمة في المحسنات المعنوية، ذكره هناك واكتفى بالإشارة إليه في موضعه من علم المعاني والله تعالى أعلم.

ويعلل المغربي تأرجح السكاكي بين عدّ الالتفات من المعاني مرة ومن البديع أخرى بقوله: (وذكر الالتفات في علم المعاني صحيح؛ لأن المقام قد يقتضي كثرة الإصغاء إلى الكلام واستحسانه، فيتوصل إلى ذلك بالالتفات، فإن أريد مجرد تحسين الكلام من غير مراعاة المطابقة كان من – البديع)[٣].

وفيه نظر، فقد جعل المغربي تقسيم الالتفات عند السكاكي راجعاً إلى بواعثه، مستنداً لما ذكره السكاكي عقب حديثه عن الالتفات في علم المعاني، حيث قال: (والعرب يستكثرون منه ويرون الكلام إذا انتقل من أسلوب إلى أسلوب أدخل في القبول عند السامع وأحسن تطرية لنشاطه واملا باستدرار أصغائه)[٤] .

فإذا كان الباعث على الالتفات واحداً مما ذكرنا، عُدّ من المعاني، أما إذا كان باعثه مجرد تحسين الكلام فإنه يُعدُّ من البديع.

وهذا التعليل فضلا على أن طبيعة التقسيم المنطقي للعلوم تأباه، إذ هي تعتمد في تصنيفها على قواعد منضبطة، وعلل ظاهرة، فإن لم تكن مستغرقة لجميع أفرادها، روعي

1- مفتاح العلوم، ص ٨٧.
2- المصدر نفسه، ص ١٨١.
3- مواهب الفتاح، من شرح التلخيص، ج ١، ص ٤١٣.
4- مفتاح العلوم، ص ٨٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فيها الأغلب، ولكن لا يترك الأمر هكذا وفق البواعث أو كيفما اتفق، فإنه يؤخذ عليه ما يلي:

١. لو كان الأمر مجرد تحسين للكلام دون مراعاة لأثره في المعنى، فلا داعي ولا معنى لعده من المحسنات المعنوية.

٢. عاب بعضهم أن يكون الالتفات لغير ضرورة تقتضيه، واقرأ إن شئت كلام القاضي علي بن عبد العزيز الجرجاني صاحب الوساطة، حيث قال تحت باب (ما عاب العلماء على أبي الطيب)، وعقب ذكره لبيته: -من الطويل-

وإني لمن قوم كأن نفوسنا   بها أنف أن تسكن اللحم والعظما

قال: (إن هذه القضية إذا استمرت على ظاهرها، واقتصر على القدر المذكور منها، اختلطت الكنايات، وتداخلت الضمائر، ولم ينفصل غائب عن حاضر، ولم يتميز مخاطب، وله مواضع تختص بالجواز وأخرى تبعد عنه، وبينهما فصول تدق وتغمض، ولذكرها موضع هو أملك بهما، وأبيات أبي الطيب عندي غير مستكرهة في قسم الجواز، وقد بلغ هذا المحتج منه مبلغاً، غير أن أبا الطيب عندي غير معذور بتركه الأمر القوي الصحيح إلى المشكل الضعيف الواهي لغير ضرورة داعية ولا حاجة ماسة، إذ موقع اللفظتين من الوزن واحد، ولو قال: (نفوسهم) لأزال الشبهة ودفع القالة، وأسقط عنه الشغب، وعناء العنت)[١].

والذي يُفهم من كلامه أنه لا يرى اللجوء إلى (الالتفات) – وإن كان لم يسمه التفاتاً بل عده من باب الكنايات – إلا إذا دعت لذلك ضرورة وأفاد فائدة لم نستفدها إذا ترك، وإلا كان ذلك ضرباً من التكلف، واحتمال التعب بلا طائل، ومن هنا وجه اللوم إلى أبي الطيب وقال: (غير معذور بتركه الأمر القوى الصحيح إلى المشاكل الضعيف لغير ضرورة)[٢].

فكيف تفعل بعد ذلك بكلام المغربي.

ومن المتأرجحين الذين تناولوا الالتفات أيضاً القزويني، فإنه قد تابع السكاكي في رأيه، وعدّ الالتفات من علم المعاني مرة ومن البديع أخرى، ونقل كلام السكاكي في الموضعين[٣].

1- انظر الوساطة من ص ٤٤٦-٤٤٩.
2- وانظر في ذلك الالتفات في حاشية الشهاب الخفاجي (٣١).
3- الايضاح، ج١، ص ٧١، شراح التلخيص، ج١، ص ٤٦٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد تابع من تصدر لشرح التلخيص وهم بهاء الدين السبكي وسعد الدين التفتازاني وابن يعقوب المغربي والدسوقي، والقزويني فيما ذهب إليه في عد الالتفات من المعاني والبديع وكلهم في ذلك تبع للسكاكي، وقد كانت لبعضهم محاولات لتعليل هذا الاتجاه عند السكاكي، نقلناً منها كلام المغربي، ونثني هناً بكلام الدسوقي، حيث قال: "(قوله -يعني السكاكي- عند علماء المعاني) اعتُرض بأن فائدة الالتفات كما يأتي أنه يورث الكلام ظرافة وحسن تطريه -أي تجديد وابتداع- فيُصغى إليه لظرافته وابتداعه، ولا يكون الكلام بذلك مطابقاً لمقتضى الحال، فلا يكون البحث عنه من علم المعاني بل من علم البديع، وحينئذ فالذي يسميه بهذا الاسم أهل البديع لا أهل المعاني، وأُجيبَ بأنه من مباحث علم المعاني؛ باعتبار اقتضاء المقام لفائدته من طلب فريد الإصغاء، لكون الكلام سؤالا أو مدحاً أو إقامة حجة أو غير ذلك، ومن مباحث علم البديع من جهة كونه يورث الكلام ظرافة، وتسمية ذلك النقل بالالتفات عند علماء المعاني لا تنافي تسميته بذلك أيضاً عند غيرهم" [١].

ولعل هذا قريب مما ذكره المغربي وأجيب عنه.

1- شروح التلخيص، ج١، ص ٤٦٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

من عد الالتفات من المعاني:

وممن عد الالتفات من علم المعاني دونما تأرجح أو شك، العلوي، حيث قال: (اعلم أن الالتفات من أجلّ علوم البلاغة وهو أمير جنودها، والواسطة في قلائدها، وسمّى بـذلك أخذا له من التفات الإنسان يميناً وشمالاً، فتارة يقبل بوجهه كذا وتارة كذا، فهكذا حال هـذا النوع من علم المعاني) [١].

وكذا الشوكاني (١٢٥٠هـ) في فتح القدير، قال عند قوله تعالى: "إياك نعبد وإياك نستعين": (وعدل عن الغيبة إلى الخطاب لقصد الالتفات ، لأن الكلام إذا نقل من أسلوب إلى آخر كان أحسن تَطرية لنشاط السامع ، وأكثر إيقاظاً له كما تقرر في علم المعاني)[٢].

وسار على هذا النهج في عده من علم المعاني الأستاذ (عبد المتعال الصعيدي) في كتابه (بغية الإيضاح) [٣].

ومن المحدثين أيضاً الدكتور (حسن طبل) في كتابه (أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية) [٤]، والأستاذ محمد محمد أبو موسى في كتابه (البلاغة القرآنية في تفسير الإمام الزمخشري) [٥]، وهو أيضاً ما رجحه الباحث (قاسم فتحي سليمان) في أطروحته (فن الالتفات في البلاغة العربية) [٦].

1- الطراز، ج٢، ص١٣١.
2- الشوكاني، محمد بن علي، فتح القدير، ط٢، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٣م، (١: ٣٥).
3- الصعيدي، عبد المتعال، بغية الإيضاح، مكتبة الآداب ومطبعتها، (١: ١٥٩).
4- أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية (٢٨ – ٢٩).
5- أبو موسى، محمد محمد، البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري، ط٢، مكتبة وهبة، القاهرة، ١٩٨٨م، ص(٤٤٣).
6- فن الالتفات في البلاغة العربية (١٥٧ – ١٥٨)

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

من عده من البديع:

وممن عده من البديع، الزملكاني (٦٥١هـ) حيث جعل البديع ستة وعشرين قسما، جعل الالتفات القسم السابع منها بعد التجنيس والترصيع والاشتقاق والتطبيق ولزوم ما لا يلزم والتضمين المزدوج ثم الالتفات، وقال عنه: "وهو من أساليب الافتنان في الكلام، ولأنه إذا نقل الكلام من أسلوب إلى أسلوب كان ذلك أنشط للاصغاء وأيقظ للسامع مما لو أجرى الكلام على أسلوب واحد"(١).

ومعنى قوله (وهو من أساليب الافتنان بالكلام)، أي أن وظيفته التحسين والتزيين، وهذا ما يسعى إليه الذين عدّوا الالتفات من علم البديع.

وممن عده من البديع كذلك المظفر العلوي (٦٥٦هـ)، حيث جعل الالتفات من النوع الثالث من البديع، وقال عنه: (هو انصراف عن مخاطبة إلى إخبار وعن إخبار إلى مخاطبة، وهو بديع البديع) (٢).

إلا أن الذي يؤخذ على المظفر العلوي، هو أنه جعل من البديع مع الالتفات الكناية والاستعارة والتشبيه وغيرها، وهذا إن دل على شيء فإنه يدل على أنه لا يريد البديع بمعناه الخاص المحدد الذي عُرف بعد استقرار مصطلحات علوم البلاغة.

ومنهم كذلك حازم القرطاجني (٦٨٤هـ) الذي وجدناه تناول الالتفات على أنه من البديع، قال حازم : (وأصناف الالتفاتات كثيرة، وأكثر ما يعني المتكلمون في البديع من ضروبه، ثلاثة أصناف) (٣).

وكذا فعل ابن الأثير الحلبي (٧٢٥هـ) حيث عرض إلى تعريف البديع لغة، وأشار إلى ابن المعتز، ونوّه إلى أقسام البديع وقال: (وأما أقسام البديع وأنواعه الملخّصة من أقاويل علماء الأدب، فهي سبعون نوعاً ولكل نوع اسم (مختص به)) (٤).

وقد عدّ أنواع البديع وذكر منها شجاعة العربية (٥) وعدّ الالتفات من شجاعة العربية.

1- التبيان في علم البيان، ص ١٧٣، ١٧٤.
2- نضرة الاغريض في نصرة القريض، ص ١٠٥.
3- منهاج البلغاء، ص ٣١٥.
4- جوهر الكنز، ص ٤٩.
5- المصدر نفسه، ص ١١٧..

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وممن عده من البديع أيضاً أبو حيان عند عرضه لقوله تعالى﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾ [1]، قال في البحر: (وفي قوله: "قُلْنَا" التفات ، وهو من أنواع البديع) [2].

وممن عد الالتفات من البديع كذلك، يحيى بن معطي في منظومته (البديع في علم البديع)[3]، وكذا (ابن معصوم المدني) في كتابه (أنوار الربيع في أنواع البديع)[4].

ومن المحدثين (الخوري بولس عواد) في كتابه (العقد البديع في فن البديع) [5]، والدكتور (عبد العزيز عتيق) في كتابه (علم البديع)[6]، والدكتور (مأمون محمود ياسين) في كتابه (من روائع البديع) [7]، والدكتور (إبراهيم محمود علان) في كتابه (البديع في القرآن أنواعه ووظائفه)[8]، ولعل غيرهم كذلك ممن لم يقف الباحث عليهم.

١- البقرة: ٣٤
٢- البحر المحيط (١: ١٨٩).
٣- البديع في علم البديع (١٦٧).
٤- أنوار الربيع في أنواع البديع (١: ٣٦٢)
٥- العقد البديع في فن البديع (٨٣).
٦- علم البديع (١٣٥).
٧- من روائع البديع (٢٤٦)
٨- البديع في القرآن (٢٣٣).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

من عد الالتفات من البيان:

وانفرد ابن الأثير في عد الالتفات من البيان، قال ابن الأثير عن الالتفات: (وهذا النوع وما يليه، هو خلاصة علم البيان التي حولها يدندن وإليها تستند البلاغة وعنها يعنعن، وحقيقته مأخوذة من التفات الانسان عن يمينه وشماله، فهو يقبل بوجهه تارة كذا، وتارة كذا)(١).

وقال عنه في موضع آخر: (وهو نوع من البيان تتكاثر لطائفه، وتتوفر محاسنه، لأن معظم البلاغة مندرجة في أثنائه ومنطوية تحت ضروبه، إلا أني لم أجد شيئاً منه عند أرباب هذه الصناعة، ولا وجدته في كتاب مصنف في هذا الفن، سوى أني رأيت أبا الفتح بن جني قد ذكر في كتابه الموسوم بالخصائص شيئاً من التقديم والتأخير والحمل على المعنى لا غير، وقد ذكرنا نحن في هذا النوع أشياء عجيبة، ونكتاً طريفة وعثرنا عليها في أثناء القرآن الكريم، واعلم أن هذا النوع يقسم ستة أقسام، القسم الأول في الالتفات)(٢).

واضطرب كلام الباحث (قاسم فتحي سليمان) في فهم كلام ابن الأثير، فبعد أن جزم أن الالتفات عنده من علم البيان وفق ما استقر في المصطلح، حين قال: (وإشارة ابن الأثير للالتفات هنا اشارة قاطعة، على أن الالتفات من البيان)(٣)، عاد وقال إن هذا قد يكون راجعاً إلى تأثر ابن الأثير بالزمخشري.

والذي يراه الباحث في هذا المقام، أن ابن الأثير لم يقصد البيان وفق اصطلاح السكاكي، بل لعله كان في ذلك تابعاً للزمخشري، ألم تر أنه عند كلامه عن توكيد الضميرين وبعد أن عرفه بقوله: (أن يؤكَّد المتصل بالمنفصل كقولك (إنك أنت)، أو يؤكد المنفصل بمنفصل مثله كقولك (أنت أنت)، ...) (٤)، قال: (وإنما يؤتى بمثل هذه الأقوال في معرض المبالغة، وهو من أسرار علم البيان)(٥).

ولا يخفى على حاذق أن الالتفات إن كان فات ابنَ الأثير تصنيفُه فجعله من علم البيان، فلا يفوته التأكيد كذلك، فإن الأول إن كان مما اختلف فيه فليس الثاني كذلك.

الأمر الذي يحملنا على القول بأن الذي أراده ابن الأثير من ذكر البيان هو ما أراده الزمخشري من ذكره، وهما يعنيان بذلك أوجه البلاغة لا تقسيمها، والله أعلم.

١- المثل السائر، ج٢، ص ١٧٠.
٢- الجامع الكبير، ص ٨٩.
٣- فن الالتفات في البلاغة العربية (١٤٩).
٤- المثل السائر (٢: ١٨٧).
٥- المصدر نفسه (٢: ١٨٧).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

القول المختار:

والمختار في ذلك هو أن إلحاق الالتفات في علم المعاني لا البديع ولا البيان، قال الدكتور حسن طبل: (على أننا لو نظرنا إلى طبيعة الميدان الذي حدده هؤلاء البلاغيون أنفسهم لكل علم من تلك العلوم الثلاثة لما وجدنا ما يبرر نسبة الالتفات إلى غير علم المعاني، فميدان هذا العلم حسب تعريفهم له (خواص تراكيب الكلام) أو (أحوال اللفظ العربي) ومدلول هذا أو ذاك هو بعينه مدلول مصطلح (معاني النحو) الذي أدار عليه عبد القاهر الجرجاني نظريته الشهيرة في النظم، فبتأمل المباحث التي حدد بها هؤلاء البلاغيون نطاق هذا العلم؛ كالتقديم والتأخير والذكر والحذف ...، نجدها تنضوي بشكل أو بآخر في دائرة معاني النحو بالمفهوم الواسع لها عند عبد القاهر الجرجاني، الأمر الذي يبدو معه ترددهم في عد الالتفات من بين تلك المباحث أمراً غريبا، إذ إن الضمائر أو الصيغ أو الأدوات أو ما إلى ذلك مما تتحقق فيه صورة الالتفات في نظرهم هي من معاني النحو بهذا المفهوم)[١]، وقال الباحث قاسم فتحي سليمان: (أما الذين عدّوا الالتفات من البديع فلا أرى أن الالتفات تزيين وتجميل، إن كان يمتلك هذه الخاصية فإن خاصيته المعنوية أوسع من ذلك.

وبواعث الالتفات أصدق دليل على أن الالتفات ليس من علم البديع فلا يبقى إلا أن نقول أن الالتفات في علم المعاني، إذ إن الالتفات له خصوصيته في الأداء المعنوي، مثله كمثل التقديم والحذف والفصل والوصل والحذف والذكر، والالتفات نسق أدائي له علاقة وشيجة في بناء الجملة، ومن هنا يتضح أن موقع الالتفات في علم المعاني، هو أقرب إلى طبيعة هذا الموضوع)[٢].

وإذا كان من أغراض علم المعاني دراسة أسباب تقديم ما حقه التأخير، أو الوقوف على أسباب التأكيد، وغير ذلك من الفنون المنطوية فيه، فإن دراسة خطاب الحاضر بضمير الغائب، أو إيراد ما حقه أن يكون بضمير المتكلم بضمير المخاطب أو غير ذلك مما عُدّ في الالتفات، ينبغي أن يكون من أغراض علم المعاني كذلك.

وليس ما لهذا الأسلوب من رونق جمالي بداعٍ لعده في علم البديع، إذ إن كل كلام بليغ لا بد له من طراوة وحلاوة عند سامعيه، وبهذا امتاز الكلام البليغ عن غيره أصلا، ألم

١- أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية (٢٨ – ٢٩)
٢- فن الالتفات في البلاغة العربية (١٥٨).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تر إلى تعريف الرماني للبلاغة بقوله: (وإنما البلاغة إيصال المعنى إلى القلب في أحسن صورة من اللفظ)[١].

وعلى هذا فجعل أسلوب الالتفات في تقاسيم علم المعاني أولى من عدّه في غيره والله أعلم.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

١- الرماني، علي بن عيسى، النكت في إعجاز القرآن، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، ط٤، تحقيق محمد خلف الله، ود. محمد زغلول سلام، دار المعارف القاهرة، ص (٧٦).

منزلة الالتفات البلاغية:

تظهر منزلة الالتفات البلاغية من كثرة حديث العلماء عنه واختلافهم فيه، قال الأستاذ محمد أبو موسى: (وقد كَلِفتُ بهذا الأسلوب وتابعت أقوال العلماء فيه، وهي كثيرة كثرة تدل على أهميته وعنايتهم به)(١).

ومما يدلك على منزلته البلاغية قول العلوي، حيث قال منوها على شأن هذا العلم: (اعلم أن الالتفات من أجلّ علوم البلاغة وهو أمير جنودها، والواسطة في قلائدها، وسمّى بذلك أخذا له من التفات الانسان يميناً وشمالا)(٢).

وقال المظفر العلوي في ثناياً حديثه عنه: (وهو بديع البديع)(٣).

وكذا ذكره ابن الأثير، حيث قال: (وهذا النوع وما يليه، هو خلاصة علم البيان التي حولها يدندن وإليها تستند البلاغة وعنها يعنعن)(٤).

وقال أبو حيان في البحر عند قوله تعالى: ﴿ ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِۖ فَإِمۡسَاكُۢ بِمَعۡرُوفٍ أَوۡ تَسۡرِيحُۢ بِإِحۡسَٰنٖۗ وَلَا يَحِلُّ لَكُمۡ أَن تَأۡخُذُواْ مِمَّآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ شَيۡـًٔا إِلَّآ أَن يَخَافَآ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِۖ فَإِنۡ خِفۡتُمۡ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَا فِيمَا ٱفۡتَدَتۡ بِهِۦۗ ﴾ (٥): (هذا من باب الالتفات ، وهو في القرآن كثير ، وهو من محاسن العربية)(٦)

وقد لُقّب الالتفات بشجاعة العربية(٧)، بل إن الطوفي (٧١٦هـ) قد وضعه تحت هذا الباب –أعني شجاعة العربية–(٨)، ولعل السبب في ذلك هو أن الشجاعة هي الإقدام، والرجل الشجاع يركب ما لا يستطيعه غيره، ويتورد ما لا يتورد سواه، وكذا الالتفات في الكلام(٩).

١- خصائص التراكيب (٢٤٩).
٢- الطراز، ج٢، ص١٣١.
٣- نضرة الاغريض في نصرة القريض، ص ١٠٥.
٤- المثل السائر، ج٢، ص ١٦٧.
٥- البقرة: ٢٢٩
٦- البحر المحيط (٢: ٤٠٤)
٧- المثل السائر (٢: ١٦٨)، والطراز جـ٢ ص ١٣١.
٨- الطوفي، سليمان بن عبد القوي، الأكسير في علم التفسير، تحقيق الدكتور عبد القادر حسين، المطبعة النموذجية، ص ١٤٠.
٩- المثل السائر (٢: ١٦٨)، والطراز جـ٢ ص ١٣١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويوضح الدكتور محمد أبو موسى هذا المعنى بقوله: (والذي نراه أن الشجاعة هنا إقدام على أنماط من التعبير مخالفة لما يقتضيه الأصل، لأنها تعبير بأسلوب الخطاب في سياق الغيبة، وذكر الغيبة في سياق الخطاب، وهكذا، والمعتمد عليه في ذلك سياق الكلام وشفافية الدلالة، وهذا إن تأملته ضرب من الشجاعة واقتحام سبيل غير السبيل المألوف، وتفسيرنا هذا لشجاعة العربية هو ما يتلاءم مع ما ذكره ابن جنى في باب سماه: (شجاعة العربية) وأراد به الحذف والتقديم والحمل على المعنى، وغير ذلك مما هو خلاف الأصل، ولا ضير في أن يقودنا هذا التفسير إلى أن نعد كثيراً من فنون التعبير من شجاعة العربية)[١].

وأظهر من ذلك كله ورود هذا الأسلوب وفق التعريف المختار في القرآن الكريم بصورة كبيرة[٢]، فهذا إن دل فإنما يدل على أصالة هذا الأسلوب في البلاغة، وعراقته في الإعجاز.

وحسبك بالذي نُقل هنا –فضلا عما أورد في المبحث السابق من نقولات تدل على اهتمام العلماء بهذا العلم–، بياناً لفضله وإدراكاً لمنزلته البلاغية.

١- خصائص التراكيب، ص ٢٥٠.

٢- ينظر الجدول المرفق في الرسالة.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المبحث الثاني
أقسام الالتفات وأغراضه البلاغية

المطلب الأول: أقسام الالتفات

وقبل الخوض في تعداد أقسام الالتفات البلاغية، لابد من الإشارة إلى أن الذي يعني الباحث في دراسته من أقسامها ما كان جارياً وفق المصطلح الذي اختاره في دراسته، وهو ما سماه بعضهم الالتفات في الضمائر.

إلا أنه لا بأس من التعريج قبل الخوض في ذكر أقسام الالتفات في الضمائر –وفق تسميتهم– على بقية الأقسام عند من توسع في المفهوم، ولكن على طريقة الذكر والاختصار، دون تفصيل أو تمثيل إلا وفق ما تقضي به الحاجة.

- أقسام الالتفات عند من توسع في المصطلح(١)

١. الالتفات في الصيغ: ويتحقق هذا الالتفات كلما تخالفت صيغتان –في نسق واحد– من مادة معجمية واحدة، ومنه المخالفة بين صيغ الأفعال، أو بين صيغة من صيغ الاسم وأخرى من صيغ الفعل، إلى غير ذلك مما قد يقع في الكلام الواحد من تغاير بين كلمتين فيه تشتركان في مادتهما، وعلى هذا يكون مثلا التغاير بين كلمتي (اسطاع واستطاع) (٢) و(ضلال وضلالة) (٣) و(الحياة والحيوان) (٤) في النظم الجليل من هذا الباب.

٢. الالتفات في العدد: ويتحقق بالتنقل بين الإفراد والجمع، وبين الإفراد والتثنية، وبين التثنية والجمع.

٣. الالتفات في الأدوات: ويتحقق ذلك بإحدى صورتين:

- المخالفة بين الأدوات المتماثلة: أي التحول في التعبير أو السياق الواحد من أداة إلى أخرى تماثلها في أداء وظيفتها العامة، وتفترق عنها في

---

[1]– انظر أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية (٦٣ – ٢١٠) بتصرف.
[2]– الكهف (٩٧).
[3]– الأعراف (٦٠ – ٦١).
[4]– العنكبوت (٦٤).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

خصوصية هذا الأداء، ومن ذلك العدول عن حرف (اللام) إلى (في) في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلۡفُقَرَآءِ وَٱلۡمَسَٰكِينِ ... وَفِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [(١)].

- حذف الأداة وذكرها: وهو التحول من ذكر الأداة إلى حذفها أو العكس في السياق الواحد لقيمة تعبيرية تقتضي ذلك التحول، ومنه ذكر الواو بعد حذفها في قوله تعالى: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًاۖ ... وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ ... وَفُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا ﴿٧٣﴾﴾ [(٢)].

٤. البناء النحوي: وهو التحول أو الانكسار في نسق المكونات النحوية للتعبير، كبناء الفعل للمفعول بعد بنائه للفاعل، أو إيراده لازما بعد إيراده متعديا، أو التحول في بناء الجملة من نمط الفعلية إلى الاسمية، وغير ذلك.

٥. الالتفات المعجمي: ويتمثل الالتفات في هذا المجال بين الألفاظ التي تتداخل دوائرها الدلالية بحيث تتلاقى في مساحة أو قدر مشترك، وينفرد كل منهما بإيحاء آخر، لا يشاركه فيه سواه، ولعل هذا ما عدّه المناطقة من باب العموم والخصوص الوجهي –أو من وجه وفق اصطلاح بعضهم–[(٣)]، ومنه لفظ الإسلام والإيمان، وفي التنزيل ﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمۡ أَلۡفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمۡسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمۡ ظَٰلِمُونَ ﴿١٤﴾﴾ [(٤)]، فلفظ سنة وإن كان مشاركاً لعام في قدر مشترك من المعنى، إلا أن لكل منهما دلالة خاصة لا تعرفها من الآخر.

---

[1]– التوبة (٦٠).

[2]– الزمر (٧١ – ٧٣).

[3]– العموم والخصوص الوجهي: هو أن يشترك الأمران في شيء وينفرد كل منهما في شيء آخر، ويقابله العموم والخصوص المطلق وهو: أن يشترك الأمران في شيء وينفرد الأعم منهما في شيء آخر.

[4]– العنكبوت (١٤).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- أقسام الالتفات وفق المصطلح المختار

وللالتفات وفق المصطلح المختار ستة أقسام، أو صور إن شئت، وهي:

١. الصورة الأولى: الانتقال من التكلم إلى الخطاب، ومنها قوله تعالى: ﴿وَمَا لِيَ لَآ أَعۡبُدُ ٱلَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ٢٢﴾ [(١)]، فجاء بكلامه على طريقة التكلم ثم انتقل إلى الخطاب في (وإليه ترجعون).

٢. الصورة الثانية: الانتقال من التكلم إلى الغيبة، ومنها قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنۡحَرۡ ٢﴾ [(٢)]، فانتقل من التكلم في (أعطينا) إلى الخطاب في (فصل لربك).

٣. الصورة الثالثة: الانتقال من الخطاب إلى التكلم، ومنه قول القائل (من الطويل):

طحاً بك قلب في الحسان طروب   بُعَيد الشباب عَصرْ َحَانَ مَشِيب

يُكلّفني ليلى وقد شطّ وَلِيُها   وعادت عوادٍ بيننا وخُطُوبُ[(٣)(٤)]

وكان مقتضى الظاهر أن يقول: يكلفك –أي القلب– ليلى، يعني وصالها، فالتفت عن الخطاب في البيت الأول إلى التكلم في البيت الثاني.

٤. الصورة الرابعة: الانتقال من الخطاب إلى الغيبة، ومنها قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِي يُسَيِّرُكُمۡ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۖ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمۡ فِي ٱلۡفُلۡكِ وَجَرَيۡنَ بِهِم بِرِيحٖ طَيِّبَةٖ﴾ [(٥)]، فانتقل من الخطاب في (كنتم) إلى الغيبة في (بهم).

---

[1]– يس: ٢٢.
[2]– الكوثر : (١ – ٢).
3– علوم البلاغة (١٤٥)، وخصائص التراكيب (٢٥٤)
4– طحا: ذهب، حان: قرب، الولي: القرب
5– يونس : ٢٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٥. الصورة الخامسة: الانتقال من الغيبة إلى التكلم، ومنها قــول الحــق: ﴿ وَٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَٰهُ ﴾ [١]، حيث عدل عن ضمير الغيبة في (أرسل) إلى ضمير التكلم في (فسقناه).

٦. الصورة السادسة: الانتقال من الغيبة إلى الخطاب، ومنها قول أبي الطيب المتنبي (من البسيط)[٢]:

لولا مُفارقة الأحباب ما وَجَدَت لها المنايا إلى أرواحنا سُبُلا

بما بِجفنَيكِ من سِحر صِلِي دَنِفاً يَهوَى الحياة وأما إن صَدَدت فلا[٣]

حيث التفت عن الغيبة في (مفارقة الأحباب) من البيت الأول إلى خطابهم في الثاني في قوله (بجفنيك)، كما التفت من التكلم في (أرواحنا) إلى الغيبة في (دنفاً يهوى الحياة).

وليس الغرض هنا إلا التمثيل لكل واحد بمثال، وقد أفرد في موضع خاص ثبــت حاول الباحث فيه استقراء كل ما جاء في النظم الجليل من التفاتات.

1- فاطر : ٩

2- ديوان المتنبي (٣: ١٦٣)، و العقد البديع في فن البديع ص(٨٤)

3- الباء في بما بجفنيك للقسم، أي بالذي بجفنيك من السحر صلي دنفا، والدنف هو الذي أثقله المرض.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المطلب الثاني: أغراض الالتفات البلاغية عند العلماء:

الالتفات فناً بلاغياً له بواعثه الخاصة وأغراضه البلاغية المتنوعة، منها ما هو عام يلمحه القارئ في كل موضع من مواضعه، ومنها ما هو خاص في الموضع الذي ورد فيه، وقد أشار إلى هذا المعنى الزمخشري، فبعد أن بين الأغراض العامة للالتفات، أشار إلى أن له كذلك أغراضاً خاصة، قال جار الله: (فإن قلت: لم عدل عن لفظ الغيبة إلى لفظ الخطاب؟ قلت: هذا يسمى: الالتفات في علم البيان[١]، ... وذلك على افتنانهم في الكلام، وتصرفهم فيه، ولأن الكلام إذا نقل من أسلوب إلى أسلوب كان ذلك أحسن تطرية لنشاط السامع، وإيقاظاً للإصغاء إليه من إجرائه على أسلوب، وقد تختص مواقعه بفوائد، ومما اختص به هذا الموضع ...) [٢]، ثم ذكر ما للالتفات في هذا الموضع من فوائد وأغراض خاصة.

و قوله: (وقد تختص مواقعه بفوائد، ومما اختص به هذا الموضع" يفيد أن الفائدة المختصة به لا تنحصر فيما ذكره، بل هناك فوائد جمة)[٣].

وممن أشار أيضاً إلى أن للالتفات أغراضاً عامة، وأخرى خاصة بمكان ورودها السكاكي، انظر إليه وهو يقول: (واعلم أن هذا النوع – أعنى نقل الكلام عن الحكاية، والخطاب، والغيبة ثلاثتها ينقل كل واحد منها إلى الآخر، ويسمى هذا النقل التفاتاً عند علماء المعاني، والعرب يستكثرون منه، ويرون الكلام إذا نقل من أسلوب إلى أسلوب أدخل في القبول عند السامع، وأحسن تطرية لنشاطه، وأملا باستدرار إصغائه، وهم أحرياء بذلك) ثم انتقل إلى التمثيل على الالتفات وقال: (وأمثال ما ذكر أكثر من أن يضبطها القلم، وهذا النوع قد يختص مواقعه بلطائف معان قلما تتضح إلا لأفراد بلغائهم، أو للحذاق المهرة في هذا الفن، والعلماء النحارير، ومتى اختص موقعه بشيء من ذلك كساه فضل بهاء ورونق، وأورث السامع زيادة هزة ونشاط، ووجد عنده من القبول أرفع منزلة ومحل إن كان مما يسمع ويعقل....)[٤].

1- المقصود: بعلم البيان: معناه العام الشامل لعلوم البلاغة الثلاثة، وليس البيان الذي ضبطه السكاكي بتعريفه.
2- الكشاف (١: ٦٣)
3- انظر حاشية السيد على الكشاف جـ١، ص ٦٤.
4- مفتاح العلوم ، ص٩٦، ط الحلبي.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وهذا أيضاً ما أشار إليه ابن الأثير بقوله: (والذي عندي في ذلك أن الانتقال من الخطاب إلى الغيبة، أو من الغيبة إلى الخطاب لا يكون إلا لفائدة اقتضته، وتلك الفائدة أمر وراء الانتقال من أسلوب إلى أسلوب، غير أنها لا تحد بحد، ولا تضبط بضابط، لكن يشار إلى مواضع منها ليقاس عليها غيرها)[١].

وأبو حيان بقوله: (وقالوا فائدة هذا الالتفات إظهار الملكة في الكلام ، والاقتدار على التصرف فيه، وقد ذكر بعضهم مزيداً على هذا، وهو إظهار فائدة تخص كل موضع موضع، ونتكلم على ذلك حيث يقع لنا منه شيء) [٢].

وكذا فعل السيوطي، انظر إليه وهو يقول عقب ذكره أغراض الالتفات العامة: (ويختص كل موضع بنكت ولطائف باختلاف محله كما سنبينه)[٣].

وليس غرض الباحث هنا التفصيل بذكر هاتيك الأغراض، سواء العامة أو الخاصة، وإنما قصد الباحث للاحتجاج على ذلك بذكر أقوال أهل الشأن، وللتفصيل موضعه من الفصل القادم بإذن الله.

1- المثل السائر (١٦٩- ١٧٠)
2- البحر المحيط (١: ١٣-١٤)
3- الاتقان في علوم القرآن، ج٣، ص٣٦٢، ومعترك الأقران (١: ٣٧٧)

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الثالث

بين النظرية والتطبيق

❖ **المبحث الأول:** الالتفات عند أبي السعود

- المطلب الأول: مصادر أبي السعود البلاغية.
- المطلب الثاني: مفهوم الالتفات عند أبي السعود.

❖ **المبحث الثاني:** الدراسة التطبيقية لأقسام الالتفات وأغراضه عند أبي السعود.

- المطلب الأول: الأغراض العامة
- المطلب الثاني: الأغراض الخاصة

❖ **المبحث الثالث:** القيمة العلمية لدراسة أبي السعود للالتفات

- المطلب الأول: اعتماده على أئمة هذا العلم.
- المطلب الثاني: التجديد عند أبي السعود في دراسة الالتفات
  - استدراكات أبي السعود على سابقيه من العلماء في مواضع الالتفات.
  - استدراكاته على سابقيه في الأغراض والمقاصد.
- المطلب الثالث: تأثر من جاء بعده به في هذا العلم.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المبحث الأول
الالتفات عند أبي السعود

المطلب الأول: مصادر أبي السعود البلاغية

بات من المعلوم بداهة ضرورة الإلمام بعلوم البلاغة بأقسامها الثلاثة (المعاني والبيان والبديع) لمن أراد أن يتصدر لتفسير كتاب الله، بل عدها بعضهم شرطاً من شروط المفسر التي لا يجوز أن تتخلف فيه[١]، ولقد أشار إلى هذه الحقيقة الإمام الزمخشري عندما قال: "ثم إن أملا العلوم بما يغمر القرائح، وأنهضها بما يبهر الألباب القوارح، من غرائب نكت يلطف مسلكها، ومستودعات أسرار يدق سلكها، علم التفسير؛ الذي لا يتم لتعاطيه وإجالة النظر فيه كل ذي علم كما ذكر الجاحظ في كتاب نظم القرآن، فالفقيه وإن برز على الأقران في علم الفتوى والأحكام، والمتكلم وإن بز أهل الدنيا في صناعة الكلام، وحافظ القصص والأخبار وإن كان من أهل القرية أحفظ، والواعظ وإن كان من الحسن البصري أوعظ، والنحوي وإن كان أنحى من سيبويه، واللغوي وإن علك اللغات بقوة لحييه، لا يتصدى منهم أحد لسلوك تلك الطرائق، ولا يغوص على شيء من تلك الحقائق، إلا رجل برع في علمين مختصين بالقرآن، وهما علم المعاني وعلم البيان، وتمهل في ارتيادهما آونة، وتعب في التنقير عنهما أزمنة، وبعثه على تتبع مظانهما همّة في معرفة لطائف حجة الله، وحرص على استيضاح معجزة رسول الله، ..."[٢]، فإذا كان هذا شرطاً فيمن أراد أن يقدم على تفسير كتاب الله، وإن لم يكن لكشف إعجازه قاصداً، ولا للوقوف على أسراره جاهداً، فكيف بك لعمرك فيمن أراد أن يسبر أغوار المعاني فيه، ويقف على دقائق الإعجاز في ألفاظه ومبانيه، فهو لحذق هذا العلوم أولى، وبإدارك هذه الفنون أحرى، وممن تصدر لهذه المهمات الجليلات، القاضي أبو السعود العمادي، فاقتضى ذلك منه تتبع علوم البلاغة من مظانها، والصدور عنها بعد ورودها من مجانها.

وللوقوف على مصادر أبي السعود البلاغية، سلك الباحث ثلاث طرائق:

أولا: ما نص أبو السعود على اعتماده عليه وأخذه منه، وهما مصدران:

١. تفسير الكشاف للزمخشري. (٥٣٨ هـ)

1- التفسير والمفسرون (١: ١٧٧).

2- الكشاف (١: ١٦ – ١٧).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٢. تفسير أنوار التنزيل للقاضي البيضاوي. (٦٩١هـ)

قال أبو السعود في مقدمته: (أما المتأخرون المدققون؛ فراموا مع ذلك إظهار مزاياه الرائقة وإبداء خباياه الفائقة، ليعاين الناس دلائل إعجازه ويشاهدوا شواهد فضله وامتيازه، عن سائر الكتب الكريمة الربانية، والزبر العظيمة السبحانية، فدونوا أسفاراً بارعة، جامعة لفنون المحاسن الرائعة، يتضمن كل منها فوائد شريفة تقر بها عيون الأعيان، وعوائد لطيفة يتشنف بها آذان الأذهان، لا سيما الكشاف وأنوار التنزيل؛ المتفردان بالشأن الجليل والنعت الجميل، فإن كلاً منهما قد أحرز قصب السبق أي إحراز كأنه مرآة لاجتلاء وجه الإعجاز، صحائفهما مرايا المزايا الحسان وسطورهما عقود الجمان وقلائد العقيان، ولقد كان في سوابق الأيام وسوالف الدهور والأعوام أوان اشتغالي بمطالعتهما وممارستهما وزمان انتصابي لمفاوضتهما ومدارستهما، يدور في خلدي على استمرار آناء الليل وأطراف النهار أن أنظم درر فوائدهما في سمط دقيق وأرتب غرر فرائدهما على ترتيب أنيق، وأضيف إليها ما ألفيته في تضاعيف الكتب الفاخرة من جواهر الحقائق وصادفته في أصداف العيالم الزاخرة من زواهر الدقائق، وأسلك خلالها بطريق الترصيع على نسق أنيق وأسلوب بديع حسبما يقتضية جلالة شأن التنزيل ويستدعيه جزالة نظمه الجليل.)[١].

وهذا نص من أبي السعود في اتكائه على التفسيرين في كتابه.

ثانياً: ما نص عليه المترجمون لأبي السعود، وما ذكره العلماء له من مراجع، ومنها:

١. تفسير الثعلبي (٤٢٧هـ) المسمى بالكشف والبيان عن تفسير القرآن.
٢. تفسير الواحدي (٤٦٨هـ)، الوجيز في تفسير الكتاب العزيز.
٣. تفسير البغوي (٥١٠هـ) المسمى بمعالم التنزيل.
٤. تفسير القرطبي المسمى بالجامع لأحكام القرآن.
٥. حاشية التجريد[٢] للشريف الجرجاني[٣] (٨١٦هـ).
٦. شرح مفتاح العلوم للشريف الجرجاني.

1- إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم (١: ٤).
2- لعل المقصود بالتجريد كتاب الطوسي في علم الكلام.
3- هو السيد الشريف أبو الحسن علي بن محمد بن علي الجرجاني.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

قال ابن عماد الحنبلي (١٠٨٩هـ): (وقرأ على والده كثيراً، ومن جملة ما قرأه: حاشية التجريد للشريف الجرجاني بتمامها، وشرح المفتاح للشريف أيضاً؛ قرأه عليه مرتين، ...)(١).

وقال في الكواكب السائرة: (أخذ عن علماء عصره منهم العلامة المولى قادري جلبي، وترقى في التداريس، والمناصب حتى ولي الإفتاء الأعظم، وألف المؤلفات الحافلة منها التفسير المشهور المسمى بالإرشاد، جمع فيه ما في تفسير البيضاوي، وزاد فيه زيادات حسنة من تفسير القرطبي، والثعلبي والواحدي، والبغوي، وغيرها...)(٢)

ثالثاً: ما ذكره في ثنايا تفسيره من مراجع وكتب تدل على اعتماده عليها أو أخذه منها، ومما ورد في تفسيره:

١. البحر المحيط لأبي حيان، ومثال ذلك ما نقله أبو السعود من كلام أبي حيان عند قوله تعالى: ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَـٰهَا مِنْهُ إِنَّهُۥ لَيَـُٔوسٌ كَفُورٌ ۝٩﴾ (٣)، قال أبو السعود: (قال أبو حيان: وقد تتبعت جملة من دواوين العرب فلم أظفر بتقديم خبر ليس عليها ولا بتقديم معموله إلا ما دل عليه ظاهر هذه الآية الكريمة وقول الشاعر:

فيأبى فما يزداد إلا لجاجة وكنت أبياً في الخنا لست أقدم)(٤).

٢. إعراب القرآن للزجاج ، وقد أشار إليه أبو السعود في تفسيره مرارا، ومن ذلك؛ عند قوله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ (٥)، (وقال الزجاج: أصل هذا الخطاب لأصحاب رسول الله وهو يعم سائر أمته)(٦).

1- شذرات الذهب (٨: ٣٩٨).
2- الكواكب السائرة (١-٣٧٠).
3- هود: ٩.
4- إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم (٤: ١٨٩).
5- آل عمران: ١١٠ .
6- إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم (٢: ٧١).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٣. أبو علي الفارسي؛ ولعله كان يرجع له في التذكرة، ومما نقله عنه من مواضع، ما ذكره عند قوله تعالى ذكره: ﴿ وَلَسَوۡفَ يُعۡطِيكَ رَبُّكَ فَتَرۡضَىٰٓ ۝٥ ﴾ [١] (وقال أبو علي الفارسي: ليست هذه اللام هي التي في قولك: إن زيداً لقائم، بل هي التي في قولك: لأقومن، ونابت سوف عن إحدى نوني التأكيد فكأنه قيل وليعطينك وكذلك اللام في قوله تعالى وللآخرة)[٢]

٤. الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٦٧١)، قال أبو السعود عند قوله تعالى: ﴿ وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِي كَيۡفَ تُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰۖ ﴾ [٣] (قال القرطبي: الاستفهام بكيف إنما هو سؤال عن حال شيء متقرر الوجود عند السائل والمسئول، فالاستفهام ههنا عن هيئة الإحياء المتقرر عند السائل أي بصرني كيفية إحيائك للموتى)[٤]، ولعله استفاد وصف الالتفات بالتلوين مما ذكره القرطبي، قال القرطبي عند قوله تعالى: (إياك نعبد): ((إياك نعبد) رجع من الغيبة إلى الخطاب على التلوين)[٥]، وقال أبو السعود: (إياك نعبد وإياك نستعين: التفات من الغيبة إلى الخطاب، وتلوين للنظم من باب إلى باب، جار على نهج البلاغة في افتنان الكلام ومسلك البراعة حسبما يقتضى المقام)[٦]، إلا أن لفظ التلوين عنده أوسع، وسيأتي بيان ذلك في مبحث قادم، بإذن الله.

٥. من استفاد منهم من العلماء وأشار إليهم، كما في قوله تعالى: ﴿ فَذَكِّرۡ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكۡرَىٰ ۝٩ ﴾ [٧]، قال أبو السعود: (وقيل (إن) بمعنى (إذ) كما في قوله تعالى: (وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين) أي إذ كنتم، وقيل: هي بمعنى ما؛ أي فذكر ما نفعت الذكرى، فإنها لا تخلو عن نفع بكل حال وقيل: هناك محذوف والتقدير إن نفعت الذكرى وإن لم تنفع كقوله تعالى سرابيل تقيكم الحر قاله الفراء والنحاس والجرجاني[٨] والزهراوي[١])[٢].

1- الضحى: ٥ .
2- إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم (٩: ١٧٠).
3- البقرة: ٢٦٠
4- إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم (١: ٢٥٦).
5- الجامع لأحكام القرآن، ج١، ص ١٤٥.
6- إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم (١: ١٦).
7- الأعلى: ٩ .
8- الجرجاني: يعني السيد.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وممن ذكرهم أيضاً على هذه الطريقة من أئمة اللغة والنحو والبيان والتفسير: الخليل(٣) (١٧٠هـ) وسيبويه(٤)(١٨٠هـ) والكسائي(٥) (١٨٩هـ) والفراء(٦) (٢٠٧ هـ) وأبي عبيدة معمر بن المثنى(٧) (٢٠٩هـ) وابن قتيبة(٨) (٢٧٦هـ)، والمبرد(٩)(٢٨٥هـ) والطبري(١٠) (٣١٠هـ) والأخفش(١١) (٣١٥هـ) والخطابي (٣٨٨هـ)(١٢)وابن جني(١٣) (٣٩٢هـ)، وابن فارس(١٤) (٣٩٥هـ)، والواحدي(١٥) (٤٦٨هـ)، وعبد القاهر(١٦) (٤٧١هـ) والراغب(١٧) (٥٠٢ هـ)، والرازي(١٨)(٦٠٦هـ) وابن مالك(١٩) (٦٧٢هـ) وغيرهم.

إلا أنه تجدر الإشارة هنا إلى أن أبا السعود لم يكن يُعنى كثيراً بذكر مصادره في ثنايا التفسير، بل جاء تفسيره على طريقة مختصرة، تمتاز بتفنن العبارة، ولعل من الصعوبة بمكان أن نعد غير ما عده هو في المقدمة مصدراً له، أما نقله عمن ذكرنا من أهل الشأن –وإن كان قليلاً– فيدل على اطلاعه على أقوالهم، وهذا يسجل له للاحتجاج على سعة علمه وكثرة اطلاعه، إلا أنه لا يعني ضرورة أنهم كانوا مصادراً له في التفسير، أما إن كانوا كذلك فدلالاته عليهم وإشاراته إليهم في تفسيره قليلة.

1- لعله يعني به علي بن سليمان الزهراوي، من أهل العلم بالتفسير والقراءات وله كتاب كبير في التفسير كما جاء عنه عند أصحاب التراجم.

2- إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم (٩: ١٤٥ - ١٤٦).

3- انظر مثلا: إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم (١: ٦٧).

4- المصدر نفسه (٩: ١٧٠).

5- المصدر نفسه (٥: ٢١٢).

6- المصدر نفسه (١: ٦٩).

7- المصدر نفسه (٣: ٢٤٤).

8- المصدر نفسه (٥: ٧١).

9- المصدر نفسه (١: ٣٥).

10- المصدر نفسه (٢: ٤٣).

11- المصدر نفسه (٩: ١٧٠).

12- المصدر نفسه (١: ٨).

13- المصدر نفسه (٤: ٢٦٠).

14- المصدر نفسه (٢: ١٢٧).

15- المصدر نفسه (٢: ١٠٥).

16- المصدر نفسه (١: ٣٧).

17- المصدر نفسه (٢: ٢١١).

18- المصدر نفسه (٧: ٢٠٨) أو (٥: ٢٤٠).

19- المصدر نفسه (٢: ٦١).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بل ورد في تفسيره ما يدل على حذقه لعلوم البلاغة وفق ما استقرت عليه عند السكاكي والقزويني، بل وحذقه لها في الفترة السابقة لهما، على وفق ما جاءت عند الشيخ عبد القاهر في أسرار البلاغة، ومن سار سيره، انظر إليه وهو يتحدث عن الاستعارة عند قوله تعالى: ﴿ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ ۖ وَعَلَىٰٓ أَبْصَـٰرِهِمْ غِشَـٰوَةٌ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۝٧ ﴾ [1]، قال أبو السعود: "ختم الله على قلوبهم: استئناف تعليلي لما سبق من الحكم وبيان لما يقتضيه، أو بيان وتأكيد له، والمراد بالقلب محل القوة العاقلة من الفؤاد، والختم على الشيء الاستيثاق منه؛ بضرب الخاتم عليه صيانة له أو لما فيه من التعرض له كما في البيت الفارغ والكيس المملوء، والأول هو الأنسب بالمقام؛ إذ ليس المراد به صيانة ما في قلوبهم، بل إحداث حالة تجعلهما بسبب تماديهم في الغي وانهماكهم في التقليد وإعراضهم عن منهاج النظر الصحيح، بحيث لا يؤثر فيها الإنذار ولا ينفذ فيها الحق أصلاً، إما على طريقة الاستعارة التبعية بأن يشبه ذلك بضرب الخاتم على نحو أبواب المنازل الخالية المبنية للسكنى، تشبيه معقول بمحسوس بجامع عقلي هو الاشتمال على منع القابل عما من شأنه وحقه أن يقبله، ويستعار له الختم ثم يشتق منه صيغة الماضي، وإما على طريقة التمثيل؛ بأن يشبه الهيئة المنتزعة من قلوبهم –وقد فعل بها ما فعل من إحداث تلك الحالة المانعة من أن يصل إليها ما خلقت هي لأجلة من الأمور الدينية النافعة، وحيل بينها وبينه بالمرة– بهيئة منتزعة من محال، معدة لحلول ما يحلها حلولاً مستتبعاً لمصالح مهمة، وقد منع من ذلك بالختم عليها، وحيل بينها وبين ما أعدت لأجله بالكلية، ثم يستعار لها ما يدل على الهيئة المشبه بها، فيكون كل من طرفي التشبيه مركباً من أمور عدة، قد اقتصر من جانب المشبه به على ما عليه يدور الأمر في تصوير تلك الهيئة وانتزاعها؛ وهو الختم، والباقي منوي مراد قصداً بألفاظ متخيلة، بها يتحقق التركيب، وتلك الألفاظ؛ وإن كان لها مدخل في تحقيق وجه الشبه الذي هو أمر عقلي منتزع منها؛ وهو امتناع الانتفاع بما أعد له بسبب مانع قوي، لكن ليس في شيء منها على الانفراد تجوز باعتبار هذا المجاز، بل هي باقية على حالها من كونها حقيقة أو مجازاً أو كناية، وإنما التجوز في المجموع، وحيث كان معنى المجموع مجموع معاني تلك الألفاظ التي ليس فيها التجوز المعهود، ولم تكن الهيئة المنتزعة منها مدلولاً وضعياً لها، ليكون ما دل على الهيئة المشبه بها عند استعماله في الهيئة المشبهة مستعملاً في غير ما وضع له، فيندرج تحت الاستعارة؛ التي هي قسم من المجاز اللغوي، الذي هو عبارة عن الكلمة المستعملة في غير ما وضعت له،

1- البقرة: ٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ذهب قدماء المحققين كالشيخ عبد القاهر وأضرابه إلى جعل التمثيل قسماً برأسه، ومن رام تقليل الأقسام عد تلك الهيئة المشبه بها من قبيل المدلولات الوضعية، وجعل الكلام المفيد لها عند استعماله فيما يشبه بها من هيئة أخرى منتزعة من أمور أخر من قبيل الاستعارة وسماه استعارة تمثيلية، وإسناد إحداث تلك الحالة في قلوبهم إلى الله تعالى لاستناد جميع الحوادث عندنا من حيث الخلق إليه سبحانه وتعالى"[١].

الأمر الذي يدلك على أن أسرار البلاغة -وبالتالي دلائل الإعجاز-، ومفتاح العلوم بل وتلخيصه وشروحه كانت من المصادر التي حذقها، وأفاد منها كثيراً في تفسيره.

إلا أن الذي يبدو والله أعلم أن أبا السعود قد اعتمد بشكل أساسي على عبارة الزمخشري، فنقلها على طريقة التفنن، إلا ما كان له في مواضع من مخالفات أو ترجيحات، فضلا عما تفرد به في مواضع أخرى، وأفاد في ذلك -أعني أثناء النقل أو الترجيح أو الاستدراك والتفرد- من مخزونه العلمي الواسع الذي حصلّه من تمهله في ارتياد كتابات السابقين، وتعبه في التنقير عنها، والتي كان يصدر عنها -أعني كتابات السابقين-، ولكن دون النقل منها، ولعل بعضها مما نُقل هنا.

قال الدكتور فضل عباس: (ومهما يكن من أمر، فلقد بقي الكشاف على مدى العصور مدرسة ينهل منها طلاب البيان، بين مختصر ومسهب ومعلق، فلقد أفاد منه النسفي في عبارته كلها، ولقد ضغط البيضاوي تلك العبارة وتفنن فيها أبو السعود.) [٢]

[1]- إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم (١: ٣٧).

[2]- عباس، فضل حسن، التفسير أساسياته واتجاهاته، ط١، مكتبة دنديس، عمان ٢٠٠٥م، ص(٤٥٥)

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المطلب الثاني: مفهوم الالتفات عند أبي السعود

عرض أبو السعود لمفهوم الالتفات والأغراض العامة له عند أول موضع ورد فيه من القرآن الكريم، وذلك عند تفسيره لقوله تعالى: (إياك نعبد وإياك نستعين)، قال أبو السعود: "التفات من الغيبة إلى الخطاب وتلوين للنظم من باب إلى باب جار على نهج البلاغة في افتنان الكلام ومسلك البراعة حسبما يقتضي المقام، لما أن التنقل من أسلوب إلى أسلوب أدخل في استجلاب النفوس واستمالة القلوب، يقع من كل واحد من التكلم والخطاب والغيبة إلى كل واحد من الآخرين، كما في قوله عز وجل: ﴿ وَٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ ﴾ [١]، وقوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم ﴾ [٢]، إلى غير ذلك من الالتفاتات الواردة في التنزيل، لأسرار تقتضيها ومزاياً تستدعيها"[٣].

وهو ما يشعر بأنه تابع للزمخشري مع بعض التقاليب في العبارة، وليس الأمر كذلك، فسبق وذُكر مذهب الزمخشري في الالتفات، وهو الذي جلاه السكاكي ونُسب إليه، وبُيِّن الرأي الذي يقابله هنالك، وهو المنسوب للجمهور[٤].

ولقد ألمح ابو السعود العمادي في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓا۟ إِلَٰهَيْنِ ٱثْنَيْنِ ۖ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَإِيَّٰىَ فَٱرْهَبُونِ ﴿٥١﴾ ﴾ [٥]، إلى أنه يرى رأي الجمهور، قال أبو السعود: "وفيه التفات من التكلم إلى الغيبة على رأي من اكتفى في تحقق الالتفات بكون الأسلوب الملتفت عنه حق الكلام ولم يشترط سبق الذكر على ذلك الوجه"[٦].

1- فاطر: ٩.
2- يونس: ٢٢.
3- إرشاد العقل السليم إلى مزاياً القرآن الكريم (١: ١٦).
4- تعريف الجمهور: التعبير عن معنى بطريق من الطرق الثلاثة –أعني التكلم والخطاب والغيبة– بعد التعبير عنه بطريق آخر منها، وتعريف السكاكي: "أو أن يكون مقتضى الظاهر التعبير عنه بطريق منها، فعدل إلى آخر"، وبين تعريف السكاكي الأخير هذا وتعريف الجمهور عموم وخصوص مطلق.
5- النحل : ٥١.
6- تفسير أبي السعود (٦: ١١٩).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقوله (على رأي من اكتفى ...) مشعر بمذهبه، إذ إنه ووفق طريقته لا يأتي بالكلام وفق هذا السياق إذا كان يراه، بل تراه يحتج له بكل ما أوتي من قوة وسعة علم، أما إن كان لا يرى ذلك الرأي، فيكتفي بذكره مورداً إياه بصيغة التضعيف على طريقة (وقيل)، أو كالذي ذكره ههنا على طريقة (على رأي ..)، انظر إليه وهو يحتج لرأي رآه في سورة النازعات راداً على من رأى غيره؛ عند قوله تعالى: ﴿قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ ﴿٨﴾ أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ ﴿٩﴾﴾ [1]، قال أبو السعود: "قيل: قلوب مبتدأ، ويومئذ متعلق بواجفة، وهي صفة لقلوب مسوغة لوقوعه مبتدأ، وقوله تعالى: (أبصارها)، أي أبصار أصحابها (خاشعة)، جملة من مبتدأ وخبر وقعت خبراً لقلوب، وقد مر أن حق الصفة أن تكون معلومة الانتساب إلى الموصوف عند السامع، حتى قالوا: إن الصفات قبل العلم بها أخبار، والأخبار بعد العلم بها صفات، فحيث كان ثبوت الوجيف للقلوب وثبوت الخشوع لأبصار أصحابها سواءً في المعرفة والجهالة، كان جعلُ الأول عنواناً للموضوع مُسلَّمَ الثبوت مفروغاً عنه، وجعل الثاني مخبراً به مقصود الإفادة تحكماً بحتاً، على أن الوجيف؛ الذي هو عبارة عن شدة اضطراب القلب وقلقه من الخوف والوجل أشد من خشوع البصر وأهول، فجعل أهون الشرين عمدة وأشدهما فضلة مما لا عهد له في الكلام.

وأيضاً فتخصيص الخشوع بقلوب موصوفة بصفة معينة غير مشعرة بالعموم والشمول تهوين للخطب في موقع التهويل.

فالوجه أن يقال: تنكير قلوب يقوم مقام الوصف المختص سواء على حمل التنويع كما قيل –وإن لم يذكر النوع المقابل فإن المعنى منسحب عليه– أو على التكثير كما في (شرٌّ أهرّ ذا ناب)، فإن التفخيم كما يكون بالكيفية يكون بالكمية أيضاً كأنه قيل قلوب كثيرة يوم إذ يقع النفختان واجفة أي شديدة الإضطراب"[2].

وأبو السعود في هذا يردُّ على من جعل واجفة نعتاً لقلوب، مسوغاً للابتداء به[3]، وأبصارها خاشعة جملة اسمية من مبتدأ وخبر وقعت خبراً لقلوب، فأورد هذا الرأي على طريقته في التضعيف بقوله (قيل)، ثم كرّ عليه مُوهيّاً، وذكر رأيه محتجاً؛ حاشداً له من فُنونِ ما أوتي من قوة في القول، وخلاصته أن قلوب كما قالوا مبتدأ، وساغ الابتداء به لا

1- النازعات: ٨ - ٩.

2- تفسير أبي السعود (٩: ٩٧).

3- فعند أهل اللغة لا يصح البداية بالنكرة ويجوز إذا وصفت كما في (رجل من الكرام عندنا).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

على اعتبار أن (واجفة) نعت له، بل بما أفاده التنكير من وصفٍ للكثرة –علـــى تقــدير– قلوب كثيرة، وواجفة خبر القلوب.

أما بالنسبة للأغراض البلاغية للالتفات فتفصيلها في المبحث القادم بإذن الله.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقفة بين التلوين والالتفات:

سبقت الإشارة إلى أنه من المحتمل أن يكون أبو السعود قد أخذ هذا المصطلح عن القرطبي، فكثيراً ما ينقل عنه أبو السعود ويشير إليه، إلا أن المؤكد أن تلوين النظم عند أبي السعود ليس ذاته عند القرطبي.

فالقرطبي يطلق لفظ التلوين ويريد به الالتفات، على أنه توسع في أقسام الالتفات فجعل منها التغاير في صيغ الأفعال، انظر إلى قوله عند قول الحق تبارك وتعالى: ﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١﴾ ﴾[1]، قال: "لنريه من آياتنا هذا من باب تلوين الخطاب"[2]، ويعني به الالتفات من الغيبة للخطاب، وقوله عند تفسير آية النور: ﴿ أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قَدْ يَعْلَمُ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌۢ ﴿٦٤﴾ ﴾[3]، "ويوم يرجعون إليه بعد ماكان في خطاب رجع في خبر وهذا يقال له خطاب التلوين"[4].

ومما يدل على توسعه في عد التغاير بين صيغ الأفعال من الالتفات ما ذكره عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ ﴾[5]، قال القرطبي: "(فسقناه) بعد أن قال (والله الذي أرسل الرياح) هو من باب تلوين الخطاب، وقال أبو عبيدة سبيله فتسوقه لأنه قال فتثير سحابا، وقال الزمخشري: فإن قلت لم جاء فتثير على المضارعة دون ما قبله وما بعده قلت لتحكي الحال التي تقع فيها إثارةُ الرياحِ السحابَ، وتستحضر تلك الصورة البديعة الدالة على القدرة الربانية وهكذا يفعلون بفعل فيه تمييز

1- الإسراء: ١
2- الجامع لأحكام القرآن (١٠: ١٢)
3- النور: ٦٤.
4- الجامع لأحكام القرآن (١٢: ٣٢٣)
5- فاطر: ٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وخصوصية بحال تستغرب أو تهم المخاطب أو غير ذلك"[١]، وما يدلك على أنه أراد بالتلوين ما ذكرناه من تغاير صيغ الأفعال نقله عن أبي عبيدة والزمخشري.

وممن سمّى الالتفات بالتلوين أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي كما نقل ذلك الزركشي، إذ نقل عنه أنه سماه بالمتلون، وكذا عده بعض الباحثين المعاصرين[٢].

وعده أبو حيان نوعاً من الالتفات، فعند قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١٠٦﴾ ﴾[٣].

قال أبو حيان: (وفي قوله: "أكفرتم"، قالوا: تلوين الخطاب، وهو أحد أنواع الالتفات، لأن قوله: فأما الذين اسودت غيبة، و أكفرتم مواجهة)[٤].

على أن مصطلح التلوين عند أبي السعود ذو دلالة أوسع مما هو عليه عند القرطبي ومن سار سيره، فهو يصف به الالتفات بين الضمائر، ويطلقه أيضاً على:

١. الانتقال في الخطاب من فرد إلى فرد أو من جماعة إلى جماعة أو من قوم مخصوصين إلى الناس كافة، كما في قوله تعالى: (﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ... وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ... ﴾[٥]، قال أبو السعود: "وتلوين الخطاب بتوجيهه إلى النبي خاصة للإيذان بأن فحوى الكلام ليس مما يهتدى اليه بأدلة العقل كالأمور المشاهدة"[٦]، فليس في الآية ثمة التفات، وإنما التغاير كان في المخاطبين[٧].

٢. تجريد واحد عن مجموعة مخاطبين وتخصيصه بالخطاب، كما في قوله تعالى: ﴿ فَإِنْ ءَامَنُواْ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ ... قُلْ أَتُحَآجُّونَنَا ... ﴾[٨] قال أبو السعود: "وتلوين

1- الجامع لأحكام القرآن (١٤: ٣٢٧)
2- مجلة آداب المستنصرية، نقلا عن فن الالتفات في البلاغة العربية (٢٠-٢١)
3- آل عمران: ١٠٦
4- البحر المحيط (٣: ٣٤٨).
5- البقرة: ٢٩ - ٣٠.
6- إرشاد العقل السليم (١: ٧٩)
7- وانظر إرشاد العقل السليم (١: ٩٤) (١: ١١٦)
8- البقرة: ١٣٧- ١٣٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الخطاب بتجريده للنبي مع أن ذلك كفاية منه سبحانه للكل لما أنه الأصل والعمدة في ذلك"(١).

ومما يدلك أيضاً على أن الالتفات عنده غير التلوين، قوله عند قوله تعالى: ﴿ مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ ﴾ (٢)، قال أبو السعود: "وأما الخطاب فقد قيل إنه لجمهور المصدقين من أهل الإخلاص وأهل النفاق ففيه التفات في ضمن التلوين والمراد بما هم عليه اختلاط بعضهم بعضاً واستواؤهم في إجراء أحكام الإسلام عليهم إذ هو القدر المشترك بين الفريقين وقيل أنه للكفار والمنافقين وهو قول ابن عباس والضحاك ومقاتل والكلبى وأكثر المفسرين ففيه تلوين فقط"(٣)، وقوله عند قوله تعالى: ﴿ يُجَٰدِلُونَكَ فِى ٱلْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى ٱلْمَوْتِ وَهُمْ يَنظُرُونَ ۝٦ وَإِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ ... ﴾ (٤)، قال أبو السعود: (وإذ منصوب على المفعولية بمضمر خوطب به المؤمنون بطريق التلوين والالتفات وإحدى الطائفتين مفعول ثان ليعدكم أي اذكروا وقت وعد الله إياكم إحدى الطائفتين)(٥).

ومن هذا تعرف مايلي:

١. إن ما أراده أبو السعود في التلوين غير ما أراده القرطبي ومن وافقه.

٢. إن التلوين عند أبي السعود إما أن يذكر مفرداً أو يضاف إلى الخطاب، وهو يعني بها على الحالين التنقل بين المخاطبين، لا التنقل بين طرق الخطاب.

٣. إن تلوين النظم عنده مصطلح قصد به تحسين الكلام وتجميله، وهو أحد أغراض الالتفات العامة.

1- إرشاد العقل السليم (١: ١٦٨) وانظر (١: ٢٢٣)
2- آل عمران: ١٧٩.
3- إرشاد العقل السليم (٢: ١١٨)
4- الأنفال: ٦ - ٧.
5- إرشاد العقل السليم (٤: ٦)

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

طرق التعبير عن الالتفات عند أبي السعود:

لم يلتزم أبو السعود في إشارته للالتفات بطريقة معينة، بل كان له عدة طرق يشير من خلالها للالتفات، ومنها:

١. أن يسميه صراحة بالالتفات، ولقد جرى عليها في معظم المواضع.

٢. التعبير عنه بالصرف، ومنها ما قاله عند قوله تعالى: ﴿ وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِّمَّا رَزَقْنَاهُمْ ۗ تَاللَّهِ لَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَفْتَرُونَ ﴿٥٦﴾ ﴾[1]، قال أبو السعود: (تالله لتسألن سؤال توبيخ وتقريع عما كنتم تفترون في الدنيا بأنها آلهة حقيقه بأن يتقرب إليها وفي تصدير الجملة بالقسم وصرف الكلام من الغيبة إلى الخطاب المنبئ عن كمال الغضب من شدة الوعيد مالا يخفى) [2]

٣. (وضع الظاهر موضع المضمر) كما في قوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ وَمَن يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿١٣﴾ ذَٰلِكُمْ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابَ النَّارِ ﴿١٤﴾ ﴾[3] ، قال أبو السعود: (والواو في قوله تعالى وإن للكافرين الخ بمعنى مع فالمعنى باشروا ذلكم العقاب الذي أصابكم فذوقوه عاجلاً، مع أن لكم عذاب النار آجلاً، فوضع الظاهر موضع الضمير لتوبيخهم بالكفر وتعليل الحكم به)[4]

٤. (إيثار الإظهار على الإضمار) كما في قوله تعالى: ﴿فَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ ۙ وَأَنَّ اللَّهَ مُخْزِي الْكَافِرِينَ ﴿٢﴾ ﴾[5] ، قال أبو السعود: (مخزي الكافرين: أي مخزيكم ومذلكم في الدنيا بالقتل والأسر وفي الآخرة بالعذاب، وإيثار الإظهار

1- النحل : ٥٦
2- إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم (١٢١:٥)، وانظر (٣٠٥:٦) و(١٧:٩) و(١٧٨:٩) و(١٢٦:٤)
3- الأنفال: ١٣ - ١٤
4- إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم (١١:٤)
5- التوبة: ٢

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

على الإضمار لذمهم بالكفر بعد وصفهم بالإشراك، والإشعار بأن علة الإخزاء هي كفرهم، ويجوز أن يكون المراد جنس الكافرين فيدخل فيه الخاطبون دخولا أوليا)[١]

٥. (العدل) كما في قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ كُلِى مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ فَٱسْلُكِى سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًاۚ يَخْرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٦٩﴾ ﴾[٢] ، قال أبو السعود: (استئناف عدل به عن خطاب النحل لبيان ما يظهر منها من تعاجيب صنع الله تعالى التي هي موضع العبرة بعد ما أمرت بما أمرت)[٣]

٦. (التعرض للاسم الظاهر) كما في قوله تعالى: ﴿ وَمَا تَكُونُ فِى شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا۟ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِۚ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ ... ﴿٦١﴾ ﴾[٤] قال أبو السعود: (وما يعزب عن ربك أي لا يبعد ولا يغيب على علمه الشامل، وفى التعرض لعنوان الربوبية من الإشعار باللطف ما لا يخفى)[٥]

٧. (إظهار الاسم) كما في قوله تعالى: ﴿ وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ ٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ ﴿٤٦﴾ ﴾[٦]، قال أبو السعود: (ثم الله شهيد على ما يفعلون من الأفعال السيئة التى حكيت عنهم، والمراد بالشهادة إما مقتضاها ونتيجتها وهى معاقبته تعالى إياهم وإما إقامتها وأداؤها بإنطاق الجوارح، وإظهار اسم الجلالة لإدخال الروعة وتربية المهابة وتأكيد التهديد)[٧]

٨. التعبير بذكر الغرض مع الإشارة للالتفات دون تسميته كما في قوله تعالى: ﴿ أَءُنزِلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ مِنۢ بَيْنِنَاۚ بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ مِّن ذِكْرِىۖ بَل لَّمَّا يَذُوقُوا۟ عَذَابِ ﴿٨﴾ أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ ٱلْعَزِيزِ

1- إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم (٤٠:٤)
2- النحل: ٦٩
3- إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم (١٢٥:٥)
4- يونس: ٦١
5- إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم (١٥٧:٤) وانظر (١٦٢:١)
6- يونس: ٤٦
7- إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم (١٥٠:٤)

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ٱلۡوَهَّابِ ﴿٩﴾ ﴾ [١]، قال أبو السعود: (وفي إضافة اسم الرب المنبئ عن التربية والتبليغ الى الكمال الى ضميره من تشريفه واللطف به ما لا يخفى)[٢].

وقوله تعالى: ﴿ وَلَوۡ يُعَجِّلُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ ٱلشَّرَّ ٱسۡتِعۡجَالَهُم بِٱلۡخَيۡرِ لَقُضِيَ إِلَيۡهِمۡ أَجَلُهُمۡۖ فَنَذَرُ ٱلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا فِي طُغۡيَٰنِهِمۡ يَعۡمَهُونَ ﴿١١﴾ ﴾ [٣]، قال أبو السعود: (فنذر الذين لا يرجون لقاءنا؛ بنون العظمة الدالة على التشديد فى الوعيد) [٤].

وقوله تعالى : ﴿ وَمَا لِيَ لَآ أَعۡبُدُ ٱلَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴿٢٢﴾ ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً إِن يُرِدۡنِ ٱلرَّحۡمَٰنُ بِضُرّٖ لَّا تُغۡنِ عَنِّي شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـٔٗا وَلَا يُنقِذُونِ ﴿٢٣﴾ ﴾[٥] . قال أبو السعود في تفسيره لهذه الآية: ("وما لي لا أعبد الذي فطرني": تلطف في الإرشاد بإيراده في معرض المناصحة لنفسه وإمحاض النصح، حيث أراهم أنه اختار لهم ما يختار لنفسه، والمراد تقريعهم على ترك عبادة خالقهم إلى عبادة غيره كما ينبىء عنه قوله واليه ترجعون مبالغة في التهديد) [٦].

1- ص: ٨ - ٩

2- إرشاد العقل السليم إلى مزاياً القرآن الكريم (١٨٥:٧)

3- يونس: ١١

4- إرشاد العقل السليم إلى مزاياً القرآن الكريم (١٢٤:٤)

5- يس: ٢٢ - ٢٣

6- إرشاد العقل السليم إلى مزاياً القرآن الكريم (٧: ١٦٤)

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المبحث الثاني

الدراسة التطبيقية لأقسام الالتفات وأغراضه عند أبي السعود.

سبقت الإشارة إلى أن للالتفات أغراضا عامة وخاصة، ووعد في أكثر من موضع من هذه الرسالة بالحديث عن تلك الأغراض، وهذا تنجيز ما وعد.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المطلب الأول: الأغراض العامة.

وبعد هذا فللالتفات أغراض عامة وبواعث مختلفة تصلح أن تذكر لــه فــي كــل مواضعه، وهي ما ذكره الزمخشري مما أسلفنا نقله، وعاد ونص عليه أيــضاً مــع ذكــر أسباب تحصيل هذا الأسلوب لتلك الأغراض عند قولــه تعــالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ [١].

قال الزمخشري: (هو فنّ من الكلام جزل، فيه هزّ وتحريك من السامع، كما أنــك إذا قلت لصاحبك حاكياً عن ثالث لكما: إنّ فلاناً من قصته كيت وكيت، فقصصت عليه مــا فرط منه، ثم عدلت بخطابك إلى الثالث فقلت: يا فلان من حقك أن تلزم الطريقة الحميــدة في مجاري أمورك، وتستوي على جادّة السداد في مصادرك ومواردك، نبهتــه بالتفاتــك نحوه فضل تنبيه، واستدعيت إصغاءه إلى إرشادك زيادة استدعاء، وأوجدته بالانتقال مــن الغيبة إلى المواجهة هازاً من طبعه ما لا يجده إذا استمررت على لفــظ الغيبــة، وهكــذا الافتنان في الحديث والخروج فيه من صنف إلى صنف، يستفتح الآذان للاستماع، ويستهش الأنفس للقبول) [٢].

وتبع الزمخشريَ في ذلك السكاكي، وقد أسلفنا نقل كلامه، وهو أيضاً ما اختــاره الزركشي بقوله: (وهو نقل الكلام من أسلوب إلى أسلوب آخر تطرية واستدراراً للــسامع، وتجديداً لنشاطه، وصيانة لخاطره من الملال والضجر بدوام الأسلوب الواحد على ســمعه كما قيل: -من البسيط-

لا يُصلِحُ النفسَ إن كانت مصرَّفة ... إلا التنقل من حال إلى حال)[٣]

وأوضح منه ما ذكره الزركشي عقب ذلك، قال: (اعلم أن للالتفات فوائــد عامــة وخاصة، فمن العامة التفنن والانتقال من أسلوب إلى آخر لما في ذلك من تنشيط الــسامع، واستجلاب صفائه، واتساع مجارى الكلام وتسهيل الوزن والقافية)[٤].

1- البقرة: ٢١.
2- الكشاف (١: ٢٢٤).
3- البرهان في علوم القرآن، (٣: ٣١٤).
4- المصدر نفسه (٣: ٣٢٥ - ٣٢٦).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وكذا السيوطي في الاتقان ومعترك الأقران حيث قال: (وله فوائد منها تطرية الكلام وصيانة السمع عن الضجر والملال، لما جبلت عليه النفوس من حب التنقلات، والسآمة من الاستمرار على منوال واحد، وهذه فائدته العامة)[١].

ومن ذلك تستخلص أن الفائدة العامة له تكمن في:

١. التفنن.
٢. تطرية الكلام: وأصلها مصدر طريت الثوب أي أتيت به جديداً[٢].
٣. صيانة السمع عن الضجر والملل.
٤. أدخل في القبول عند السامع.
٥. تنشيط السامع واستجلاب صفائه واستدرار إصغائه.
٦. اتساع مجاري الكلام وتسهيل الوزن والقافية.

1- الاتقان في علوم القرآن، ج٣، ص٣٦٢، ومعترك الأقران (١: ٣٧٧)
2- مواهب الفتاح في شروح تلخيص المفتاح، (١: ٤٧٢).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقفة بين الزمخشري وابن الأثير:

هذا ما ذكره الزمخشري ومن سايره، إلا إن ابن الأثير أورد اعتراضه على هـذا الكلام وعابه على الزمخشري، حيث قال: (وليس الأمر كما ذكره، لأن الانتقال في الكـلام من أسلوب إلى أسلوب إذا لم يكن إلا تطرية لنشاط السامع، وأيقاظاً للإصغاء إليـه، فـإن ذلك دليل على أن السامع يمل من أسلوب واحد، فينتقل إلى غيره ليجد نشاطاً للاسـتماع، وهذا قدحٌ في الكلام لا وصفٌ له، لأنه لو كان حسناً لما ملّ.

ولو سلمناً إلى الزمخشري ما ذهب إليه لكان إنما يوجد ذلك في الكـلام المطـول، ونحن نرى الأمر بخلاف ذلك، لأنه قد ورد الانتقال من الغيبة إلى الخطاب، ومن الخطاب إلى الغيبة في مواضع كثيرة من القرآن الكريم، ويكون مجموع الجانبين معاً يبلغ عـشرة ألفاظ، أو أقل من ذلك.

ومفهوم قول الزمخشري في الانتقال من أسلوب إلى أسلوب إنما يـستعمل قـصداً للمخالفة بين المنتقل عنه والمنتقل إليه، لا قصداً لاستعمال الأحسن: وعلى هذا فإذا وجـدناً كلاما قد استُعمل في جمعيه الإيجاز، ولم ينتقل عنه، أو استعمل فيه جميعه الأطناب، ولـم ينتقل عنه؛ وكان كلا الطرفين واقعاً في موقعه قلنا: هذا ليس بحسن إذا لم ينتقل فيـه مـن أسلوب إلى أسلوب، وهذا قول فيه ما فيه.

وما أعلم كيف ذهب هذا على مثل الزمخشري مع معرفته بفن الفصاحة والبلاغة؟

والذي عندي في ذلك أن الانتقال من الخطاب إلى الغيبة، أو من الغيبة إلى الخطاب لا يكون إلا لفائدة اقتضته، وتلك الفائدة أمر وراء الانتقال من أسلوب إلى أسلوب، غير أنها لا تحد بحد، ولا تضبط بضابط، لكن يشار إلى مواضع منها ليقاس عليها غيرها، فإناً قـد رأيناً – كما سيأتي في سورة الفاتحة – الانتقال من الغيبة إلى الخطاب قد استعمل لتعظـيم شأن المخاطب، ثم رأيناً ذلك بعينه – وهو ضد الأول – قد اسـتعمل فـي الانتقـال مـن الخطاب إلى الغيبة، فعلمناً حينئذ أن الغرض الموجب لاستعمال هذا النوع مـن الكـلام لا يجرى على وتيرة واحدة، وإنما هو مقصور على العناية بالمعنى المقصود، وذلك المعنـى يتشعب شعباً كثيرة لا تنحصر، وإنما يؤتى بها على حسب الموقع الذي ترد فيه)[١]

وقد دافع عن الزمخشري، ورد كلام ابن الأثير، العلوي صاحب الطـراز، حيـث قال: (وما ذكره الزمخشري لا غبار على وجهه، وهو قول سديد يشير إلى مقاصد البلاغة، ويعتضد بتصرف أهل الخطاب، ومن مارس طرفاً من علوم الفصاحة لاح له على القرب،

١- المثل السائر (٢: ١٦٩- ١٧٠)

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أن ما قاله الزمخشري قويٌّ من جهة النظر يدرى كنهه النظار، ويتقاعد عن فهمه الأغمار، وقد زعم ابن الأثير رداً لكلام الزمخشري بوجهين:

أحدهما أنه قال: إنما جاز الالتفات من أجل التنشيط للسامع، واعتراضه بأن الكلام لو كان فصيحاً لم يكن مملولا، وهذا خطأ وجهل بمقاصد البلاغة، فإن مثل هذا لا يزيل فصاحة الكلام، ولا يَنقص من بلاغته، ولهذا فإنه لو ترك فيه الالتفات فإنه باق على الفصاحة، ولكن الغرض أن خروجه من أسلوب الخطاب إلى الغيبة يزيد في البلاغة ويحسّنها، ويكون الخطاب مع ما ذكرناه أوقع، وأكشف عن المراد وأرفع.

وثانيهما قوله: إن ما قاله الزمخشري إنما يوجد في الكلام المطول، والالتفات كما يستعمل في الطويل فهو يستعمل في القصير، وهذا فاسد أيضاً فإن الزمخشري لم يشترط التطويل في حسن الالتفات فينتقض بما ذكرتَه، وإنما أراد تحصيل الإيقاظ، وازدياد النشاط بذكر الالتفات، وهذا حاصل في الكلام سواء كان طويلا أو قصيراً.

فإذن لا وجه لكلام ابن الأثير على ما قصده الزمخشري وانتحاه، ومن عجب أنه شنع فيما أورده على الزمخشري وقال: كيف ذهب عنه معرفتُه مع إحاطته بفن البلاغة والفصاحة، وما درى أن ما قاله خير مما أتى به ابن الأثير، وما أراده الزمخشري معنى يليق بالبلاغة ويزيدها قوة، وما ذكره ابن الأثير رد إلى عَمَاية، وقولٌ ليس له حاصل، ولا يُدرك له نهاية، وما عَابه إلا لأنه لم يطلع على أغواره، ولا أحاط بكنهه ودقيق أسراره، ولقد صدق من قال: -من الوافر-

وكم من عائب قولا سليما   وآفته من الفهم السقيم)[١]

وبهذا تعلم أن الحق مع الزمخشري، وهو الذي قُرر في هذه الدراسة.

ومع ذلك فإن هذا لا يمنع الباحث من القول بأن كلام العلوي فيه بعض التحامل، بل لعله جاوز الحد المسموح به علمياً في الرد، فإن لابن الأثير مكانة بلاغية لا يبلغ إيصالها الوصف المطول ولا الإطناب المفصل، وإن عميت عين عن تلك الحقيقة فشأنها شأن من يرى النجوم صغيرة فيحسبها كذلك، وقد لا يدري كبر حجمها، فقل لي بربك: أفي النجم العيب حينئذ أم في العين التي عميت عن ذلك.

1- الطراز (٢: ١٣٤ – ١٣٥)

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لا أعني بقولي هذا العلوي، فلن أقع فيما وقع به هو مع ابن الأثير، لكني أحب أن اعتذر لابن الأثير عما قيل عنه، وإن كان الباحث يرى الحق في هذه المسألة مع إمام البيان الزمخشري.

رحم الله ابن الأثير والزمخشري والعلوي، فقد كانوا أئمة أعلاما، ولإن تكلم أحدهم في الآخر فلما أوتي من قوة في الفهم وغزارة في العلم، ولا يحق لمن كان دونهم شأناً، ولم يؤت مما أوتوه أن يخوض فيهم ما خاضوه ببعضهم، فقليله كثير، وصغيره كبير، ويسيره عسير.

جزاهم الله عنا خيراً، ورزقنا السير على خطاهم في العلم والتحصيل، آمين.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أغراض الالتفات العامة عند أبي السعود:

أما أغراض الالتفات العامة عند أبي السعود، فهو فيها موافق لرأي جمهور العلماء، وعلى رأسهم الإمام الزمخشري، وتتجلى تلك الأغراض عنده في:

١. افتنان الكلام، وهو ما سماه الزركشي بالتفنن، قال: (اعلم أن للالتفات فوائد عامة وخاصة، فمن العامة التفنن ...) [١]

٢. استجلاب النفوس، ولعله يعني بها تنشيط السامع.

٣. استمالة القلوب، ولعله يعني بها التطرية، فأصل تطرية الكلام: مصدر طريت الثوب أي أتيت به جديداً[٢]، والنفوس مجبولة على محبة التجديد والتغيير، قال السيوطي: (وله فوائد منها تطرية الكلام وصيانة السمع عن الضجر والملال، لما جبلت عليه النفوس من حب التنقلات، والسآمة من الاستمرار على منوال واحد، وهذه فائدته العامة) [٣].

٤. تلوين للنظم، ولعله يعني به تحسين الكلام وتجميله.

هذا وقد أشار أبو السعود إلى أن للالتفات أغراضاً أخرى خاصة مقصورة على مواضعها، قال أبو السعود: "يقع –يعني الالتفات– من كل واحد من التكلم والخطاب والغيبة إلى كل واحد من الآخرين، كما في قوله عز وجل: ﴿ وَٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ ﴿٩﴾ ﴾ [٤]، وقوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم ﴾ [٥]، إلى غير ذلك من الالتفاتات الواردة في التنزيل، لأسرار تقتضيها ومزايا تستدعيها، ومما استأثر به هذا المقام الجليل من النكت الرائقة..." [٦].

فقوله (لأسرار تقتضيها) وقوله (ما استأثر به هذا المقام الجليل) يدلك على أن للالتفات عنده أغراضاً خاصة فضلاً عن العامة.

1- البرهان في علوم القرآن (٣: ٣٢٥ – ٣٢٦).
2- مواهب الفتاح في شروح تلخيص المفتاح، ص٤٧٢.
3- الاتقان في علوم القرآن، ج٣، ص٣٦٢، ومعترك الأقران (١: ٣٧٧)
4- فاطر: ٩.
5- يونس: ٢٢.
6- إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم (١: ١٦).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أما هذه الأغراض الخاصة فهو ما سيُفصَّل بإذن الله في المطالب القادمة بإذن الله.

المطلب الثاني

أغراض الالتفات الخاصة

سبقت الإشارة إلى أن لكل موضع من مواضع الالتفات فضلا عن تلك الأغراض العامة التي تحق عليه متى ورد، غرضه الخاص الذي هو به أحرى، وباعثه الذي هو بالذكر عنده أولى، وليس في ذلك قاعدة مضطردة، أو ضابط ظاهر يصير الباحث إليه رغما عند كل موضع، بل إنما هو الذوق والمهارة، وما يوحيه النص لقارئه من فنون المعاني، أو يقف عليه الباحث بسبر أغوار المباني، والأهم من كل ذلك؛ فتح المولى على العبد وتيسيره، وصدق من قال (من الطويل):

إذا لم يكن عون من الله للفتى فأول ما يجني عليه اجتهاده

ولقد نبه إلى هذه –أعني خصوصية مواضع الالتفات– طائفة من القدماء، قال السكاكي: (وهذا النوع قد يختص موقعه بلطائف معان قلما تتضح إلا لأفراد بلغائهم، أو للحذاق المهرة في هذا الفن، والعلماء النحارير، ومتى اختص موقعه بشيء من ذلك كساه فضل بهاء ورونق، وأورث السامع زيادة هزة ونشاط، ووجد عنده من القبول أرفع منزلة ومحل إن كان مما يسمع ويعقل....)[١].

ولعل الإمام الزركشي هو أجلى من أشار إلى طائفة من الأغراض الخاصة بصورة منتظمة غير مبثوثة في ثنايا كلامه كما هي عند الأكثرين، وإن كان هو في الغالب منها مستفيداً مما ذكره الزمخشري ومن تبعه من أهل هذا الشأن، ومما ذكره من الفوائد مع التمثيل لها في كتابه[٢]:

١. التعظيم.
٢. التنبيه على ما حق الكلام أن يكون وارداً عليه.
٣. التتميم.
٤. قصد المبالغة.
٥. الاختصاص

1- مفتاح العلوم ، ص٩٦.
2- البرهان في علوم القرآن: (٣: ٣٢٦ - ٣٣٠)

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٦. قصد الاهتمام.

٧. التوبيخ.

وينبغي الإشارة هناً إلى أن فوائد الالتفات الخاصة مما لا يُحصر في مكان، وهي أيضاً محل خلاف في أغلب المواضع عند أهل الشأن، فما يراه بعضهم تلطيفاً قد يراه آخر عتابا، كما في قول الحق ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١ أَن جَآءَهُ ٱلۡأَعۡمَىٰ ۝٢ وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ۝٣﴾ (1)، فلواحد أن يرى فيها العتاب، بل والمبالغة فيه على اعتبار أن ما كان من سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم مما لا يتناسب مع وصفه ومقامه، فهو وإن لم يُعدَّ فعله خطأً في عرف الأكثر، إذ إن العبوس في وجه من لا يبصر كالابتسامة مما لاقيمة له، إلا أن هذا العبوس من رسول الله لا يتناسب ومقامه في الهداية والرأفة والرحمة فعوتب، على طريقة (حسنات الأبرار سيئات المقربين) وقد يرى فيها آخر الإيناس والتلطيف والرعاية لنفس سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، على طريقة تقديم العفو على العتاب في قول الحق: ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمۡ﴾ (2)، فبعد أن عاتب الله سيدناً رسول الله في مطلع السورة بأن خاطبه بضمير الغائب في قوله (عبس وتولى)، أقبل عليه مؤنساً –في مقطع الآيات– بعد ما شعر به من الإيحاش والإدبار في مطلعها حتى لا يتصدع بذلك العتاب قلبه الشريف.

وهذا دليل على أن الالتفات مما تختلف فيه الآراء، إذ إن ملاك ذلك الأذواق وهي متباينة، ووجهات النظر إلى النص وهي متغايرة، وما يفتحه الله على عباده من ألوان الفهم وأصناف العلم؛ وهذا لعمر الحق أشد ما يتباعد فيه الناس، وسبحان من قال: (﴿أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتۡ أَوۡدِيَةُۢ بِقَدَرِهَا﴾ (3).

ومن هنا كانت أغراض الالتفات ذوقية صرفة، لا يحكم عليها بالصواب أو الخطأ ما دامت محتمَلة في النص، ولذلك كان قصد الباحث في هذا المبحث استقراء تلك الأغراض عند أبي السعود منوها في بعض المواضع على من وافقه فيما ذهب إليه.

1- عبس: ١ -٣
2- التوبة : ٤٣
3- الرعد : ١٧

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أغراض الانتقال من الغيبة إلى الخطاب:

الترقي في الخطاب من رتبة إلى رتبة أعلى:

كما في قوله تعالى: ﴿ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ۝٤ إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ۝٥ ﴾[1] ، قال أبو السعود: (ومما استأثر به هذا المقام الجليل من النكت الرائقة الدالة على أن تخصيص العبادة والاستعانة به تعالى؛ لما أجرى عليه من النعوت الجليلة، التي أوجبت له تعالى أكمل تميز وأتم ظهور، بحيث تبدل خفاء الغيبة بجلاء الحضور، فاستدعى استعمال صيغة الخطاب والإيذان بأن حق التالي بعدما تأمل فيما سلف من تفرده تعالى بذاته الأقدس المستوجب للعبودية وامتيازه بذاته عما سواه بالكلية واستبداده بجلائل الصفات وأحكام الربوبية المميزة له عن جميع أفراد العالمين وافتقار الكل إليه في الذات والوجود ابتداء وبقاء على التفصيل الذي مرت إليه الإشارة، أن يترقى من رتبة البرهان إلى طبقة العيان، وينتقل من عالم الغيبة إلى معالم الشهود، ويلاحظ نفسه في حظائر القدس، حاضراً في محاضر الإنس، كأنه واقف لدى مولاه ماثل بين يديه، وهو يدعو بالخضوع والإخبات ويقرع بالضراعة باب المناجاة).[2]

وقد ذهب بعضهم إلى أن المراد بالالتفات هنا التعظيم، قال الزركشي: (ومنها – يعني أغراض الالتفات– قصد تعظيم شأن المخاطب كما في (الحمد لله رب العالمين)،... إنما اختير للحمد لفظ الغيبة وللعبادة الخطاب للإشارة إلى أن الحمد دون العبادة في الرتبة، فإنك تحمد نظيرك ولا تعبده، إذ الإنسان يحمد من لا يعبده، ولا يعبد من لا يحمده، فلما كان كذلك استعمل لفظ الحمد لتوسطه مع الغيبة في الخبر فقال: (الحمد لله) ولم يقل (الحمد لك)...)[3].

1– الفاتحة : ٤–٥

2– إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم (١٥:١)، وأول من أشار إلى هذا الغرض الإمام الزمخشري في الكشاف، وكل من جاء بعده ذكر الغرض ذاته.

٣– البرهان في علوم القرآن، ج٣، ص ٣٢٦. الطراز، ج٢، ص ١٣٥. المثل السائر، ج٢، ص١٧٤، وابن جني، عثمان أبو الفتح، (٣٩٢هـ). المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح، تحقيق عبد الحليم النجار وعبد الفتاح إسماعيل، القاهرة، ١٣٨٦هـ ، ج١، ص١٢٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقال ابن الأثير: "وهذه السورة قد انتقل في أولها من الغيبة إلى الخطاب، لتعظيم شأن المخاطب، ثم انتقل في آخرها من الخطاب إلى الغيبة، لتلك العلة بعينها وهي تعظيم شأن المخاطب أيضاً"[١].

وفيها قال الصفدي (ت ٧٦٤هـ): (فكأن القارئ، توسل إلى الأعلى بالأدنى، وإلى الخطاب بالغيبة على سبيل التدرج إلى الغاية ولم يخاطب الله من أول وهلة، فكأنه أثنى أولا، ثم خاطبه ثانيا)[٢].

التوبيخ والتبكيت والتقريع:

كما في قوله تعالى: ﴿ فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٞ وَرِثُواْ ٱلۡكِتَٰبَ يَأۡخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا ٱلۡأَدۡنَىٰ ... وَٱلدَّارُ ٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ١٦٩ ﴾[٣]، قال أبو السعود: (أفلا تعقلون؛ فتعلموا ذلك فلا تستبدلوا الأدنى المؤدي إلى العقاب بالنعيم المخلد، وقرىء بالياء[٤]، وفي الالتفات تشديد التوبيخ).[٥]

وقوله تعالى: ﴿ وَلَا يَسۡتَطِيعُونَ لَهُمۡ نَصۡرٗا وَلَآ أَنفُسَهُمۡ يَنصُرُونَ ١٩٢ وَإِن تَدۡعُوهُمۡ إِلَى ٱلۡهُدَىٰ لَا يَتَّبِعُوكُمۡۚ سَوَآءٌ عَلَيۡكُمۡ أَدَعَوۡتُمُوهُمۡ أَمۡ أَنتُمۡ صَٰمِتُونَ ١٩٣ ﴾[٦]، قال أبو السعود: (وإن تدعوهم إلى الهدى: بيان لعجزهم عما هو أدنى من النصر المنفي عنهم وأيسر، هو مجرد الدلالة على المطلوب والإرشاد إلى طريق حصوله من غير أن يحصله الطالب، والخطاب للمشركين بطريق الالتفات المنبئ عن مزيد الاعتناء بأمر التوبيخ والتبكيت، أي إن تدعوهم أيها المشركون إلى أن يهدوكم إلى ما تحصلون به المطالب أو تنجون به عن المكاره، لا يتبعوكم إلى مرادكم وطلبتكم).[٧]

1- المثل السائر، ج٢، ص١٧٤.
2- الصفدي، صلاح الدين بن أيبك، (٧٦٤هـ). الغيث المسجم في شرح لامية العجم، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٧٥م ، ج١، ص٢٥٧.
3- الأعراف :١٦٩
4- قرأ نافع وأبو جعفر وابن عامر ويعقوب وحفص بالتاء والباقون بالياء، انظر تحبير التيسير (٣٥٤)
5- إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم (٣:٢٨٨)
6- الأعراف : ١٩٢ – ١٩٣
7- إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم (٣:٣٠٥)

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقوله تعــالى: ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ ... ﴿١٨﴾ فَقَدْ كَذَّبُوكُم بِمَا تَقُولُونَ فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا نَصْرًا ۚ وَمَن يَظْلِم مِّنكُمْ نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا ﴿١٩﴾ ﴾[١]، قال أبو السعود: ((فقد كذبوكم): حكاية لاحتجاجه تعالى على العبدة، بطريق تلــوين الخطــاب وصرفه عن المعبودين عند تمام جوابهم وتوجيهه إلى العبدة، مبالغة في تقريعهم وتبكيتهم، على تقدير قول مرتب على الجواب، أي فقال الله تعالى عند ذلك: فقد كذبوكم المعبــودون أيها الكفرة بما تقولون؛ أي في قولكم إنهم آلهة) [٢]

وقوله تعــالى: ﴿ وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ ﴿١٦﴾ كَلَّا ۖ بَل لَّا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ ﴿١٧﴾ ﴾[٣]، قال أبو السعود: (بل لا تكرمون اليتيم: انتقال من بيان سوء أقواله إلى بيان سوء أفعاله، والالتفات إلى الخطاب للايذان باقتضاء ملاحظة جنايته السابقة؛ لمشافهته بــالتوبيخ تشديداً للتقريع وتأكيداً للتشنيع). [٤]

ومن أمثلته –أعني التوبيخ– في الشعر قول القاضي الأرجاني[٥] (من الطويل):

وهل هي إلا مهجة يطلبونها   فإن أرضت الأحباب فهي لهم فدى
إذا رمتم قتلي وأنتم أحبتي   فماذا الذي أخشى إذا كنتم عدى[٦]

عبر الشاعر بصيغة الغيبة في البيت الأول، وعدل عنه إلى المخاطب فــي البيــت الثاني، والقياس أن يقول:

إذا راموا قتلي وهم أحبتي   فماذا الذي أخشى إذا هم عدى

وهذا العدول إلى المخاطب، قد أبرز الفرق بينه وبينهم من حيث إنه يفديهم بنفــسه وأنهم يرومون قتله فكأنه بصيغة الخطاب يعاتبهم ويوبخهم على ما يكونون له من هجر ثــم يعقد صورة فنية يقربها لهم بقوله (فماذا الذي أخشى إذا كنتم عدى)[٧].

1- الفرقان (١٧ – ١٩)
2- إرشاد العقل السليم إلى مزاياً القرآن الكريم (٢٠٨:٦)
3- الفجر : ١٦-١٧
4- إرشاد العقل السليم إلى مزاياً القرآن الكريم (١٥٦:٩)، وانظر غيره في التفسير : (٦٠:٨) و(٩٨:٨) و(١٥١:٨) و(٧٧:١) و(٢٤٤:٢) و(١٠٤:٣)
5- الأرجاني، ناصح الدين أحمد بن محمد بن الحسين، ديوان الأرجاني، تحقيق د. محمد محمد قاسم مصطفى، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، بغداد.
6- ديوان الأرجاني، تححقيق، د. محمد قاسم مصطفى، ج ١ ، ص ٣٥٤.
7- فن الالتفات في البلاغة العربية (١٠٦)

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الإلزام:

كما في قوله تعـــالى :﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾ ﴾ [1]، قـــال أبـــو السعود: ((أن تقولوا): بالتاء، على تلوين الخطاب وصرفه عن رسول الله إلى معاصـــريه من اليهود؛ تشديداً في الإلزام، أو إليهم وإلى متقدميهم بطريق التغليب لكن لا من حيث إنهم مخاطبون بقوله تعالى: (ألست بربكم) فإنه ليس من الكلام المحكي). [2]

وقوله تعالى: ﴿ قَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ۗ سُبْحَٰنَهُۥ ۖ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ۖ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ إِنْ عِندَكُم مِّن سُلْطَٰنٍۭ بِهَٰذَآ ۚ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٨﴾ ﴾ [3] ، قـــال أبـــو السعود: ((إن عندكم): في هذا القول من سلطان، والالتفات إلى الخطاب لمزيد المبالغة في الإلزام والإفحام وتأكيد ما في قوله تعالى: (أتقولون على الله ما لا تعلمون) مـــن التـــوبيخ والتقريع على جهلهم واختلافهم، وفيه تنبيه على أن كل مقالة لا دليل عليها فهـــي، جهالـــة وأن العقائد لا بد لها من برهان قطعي، وأن التقليد بمعزل من الاعتداد به) [4]

التهديد والوعيد والتشديد:

1- الأعراف : ١٧٢

2- إرشاد العقل السليم إلى مزاياَ القرآن الكريم (٣:٢٨٩)

3- يونس : ٦٨

4- إرشاد العقل السليم إلى مزاياَ القرآن الكريم (٤: ١٦٢)، وانظر التفسير (٦:٢٩٢) و(٨:٤٢)

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كما في قوله تعالى: ﴿ وَأَذَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلنَّاسِ يَوۡمَ ٱلۡحَجِّ ٱلۡأَكۡبَرِ أَنَّ ٱللَّهَ بَرِيٓءٌ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ وَرَسُولُهُۥۚ فَإِن تُبۡتُمۡ فَهُوَ خَيۡرٌ لَّكُمۡۖ ... ﴿٣﴾ ﴾ [١]، قال أبو السعود: (فإن تبتم: من الشرك والغدر، التفات من الغيبة إلى الخطاب لزيادة التهديد والتشديد). [٢]

وقوله تعالى : ﴿ كَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ كَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنكُمۡ قُوَّةٗ وَأَكۡثَرَ أَمۡوَٰلٗا وَأَوۡلَٰدٗا ... ﴿٦٩﴾ ﴾[٣]، قال أبو السعود: (كالذين من قبلكم: التفات من الغيبة إلى الخطاب للتشديد). [٤]

وقوله تعالى: ﴿ وَيَجۡعَلُونَ لِمَا لَا يَعۡلَمُونَ نَصِيبٗا مِّمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡۗ تَٱللَّهِ لَتُسۡـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمۡ تَفۡتَرُونَ ﴿٥٦﴾ ﴾[٥]، قال أبو السعود: (تالله لتسألن: سؤال توبيخ وتقريع، عما كنتم تفترون في الدنيا بأنها آلهة حقيقة بأن يتقرب إليها، وفي تصدير الجملة بالقسم وصرف الكلام من الغيبة إلى الخطاب المنبئ عن كمال الغضب من شدة الوعيد مالا يخفى) [٦]

الإيذان بتناهي السخط وشدة الغضب:

كما في قوله تعالى: ﴿ لِيَكۡفُرُواْ بِمَآ ءَاتَيۡنَٰهُمۡۚ فَتَمَتَّعُواْ فَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾ [٧]، قال أبو السعود: (فتمتعوا: أمر تهديد، والالتفات إلى الخطاب للإيذان بتناهي السخط). [٨]

وقوله تعالى: ﴿ إِنَّهُمۡ كَانُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَهُمۡ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسۡتَكۡبِرُونَ ﴿٣٥﴾ ... إِنَّكُمۡ لَذَآئِقُواْ ٱلۡعَذَابِ ٱلۡأَلِيمِ ﴿٣٨﴾ ﴾ [٩]، قال أبو السعود: (والالتفات لإظهار كمال الغضب عليهم).[١]

1- التوبة : ٣
2- إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم (٤١:٤)
3- التوبة : ٦٩
4- إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم (٨١:٤)
5- النحل : ٥٦
6- إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم (١٢١:٥)، وانظر (٣٠٥:٦) و(١٧:٩) و(١٧٨:٩) و(١٢٦:٤)
7- النحل: ٥٥
8- إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم (١٢٠:٥)
9- الصافات: ٣٥ - ٣٨

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقوله تعالى: ﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا (٨٨) لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا (٨٩) ﴾ [٢] قال أبو السعود: ("لقد جئتم شيئاً إداً": رد لمقالتهم الباطلة، وتهويل لأمرها بطريق الالتفات المبني عن كمال السخط وشدة الغضب المفصح عن غاية التشنيع والتقبيح، وتسجيل عليهم بنهاية الوقاحة والجهل والجراءة، والإد بالكسر والفتح: العظيم المنكر). [٣]

ولقد أشار لهذا الغرض الزمخشري حيث قال عن الالتفات في (جئتم): (زيادة تسجيل عليهم بالجرأة على الله، والتعرض لسخطه، وتنبيه على عظم ما قالوا"[٤]، وقال الزركشي: (عدل عن الغيبة إلى الخطاب، للدلالة على أن قائل مثل قولهم، ينبغي أن يكون موبَّخاً ومُنكَراً عليه، ولما أراد توبيخهم على هذا أخبر عنه بالحضور فقال: (لقد جئتم) لأن توبيخ الحاضر أبلغ في الإهانة له)[٥].

الاعتناء والاهتمام:

كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ... (٦٢) لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا ... (٦٣) ﴾ [٦]، قال أبو السعود: (لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم: استئناف مقرر لمضمون ما قبله، والالتفات لإبراز مزيد الاعتناء بشأنه، أي لا تجعلوا دعوته صلى الله عليه وسلم إياكم في الاعتقاد والعمل بها كدعاء بعضكم بعضاً، أي لا تقيسوا دعاءه صلى الله عليه وسلم إياكم على دعاء بعضكم بعضاً في حال من الأحوال وأمر من الأمور، التي من جملتها المساهلة فيه والرجوع عن مجلسه صلى الله عليه وسلم بغير استئذان، فإن ذلك من المحرمات).[٧]

1- إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم (١٨٩:٧)
2- مريم: ٨٨ - ٨٩
3- إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم (٢٨٢:٥)
4- الكشاف (٢: ٥٢٦).
5- البرهان (٣: ٣٣٠).
6- النور: ٦٢ - ٦٣
7- إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم (١٩٩:٦)

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقوله تعـالى: ﴿ فَٱسۡتَجَابَ لَهُمۡ رَبُّهُمۡ أَنِّي لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٖ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰۖ بَعۡضُكُم مِّنۢ بَعۡضٖۖ ... ﴿١٩٥﴾ ﴾[1] ، قال أبو السعود: (أني لا أضيع عمل عامل منكم: أي بأني؛ وهكذا قرأ أبي رضي الله عنه[2]، والباء للسببية؛ كأنه قيل فاستجاب لهم ربهم بسببٍ لأنه لا يضيع عمل عامل منهم، أي سنته السنية مستمرة على ذلك، والالتفـات الـى الـتكلم والخطـاب لإظهار كمال الاعتناء بشأن الاستجابة، وتشريف الداعين بشرف الخطاب، والمراد تأكيدها ببيان سببها والإشعار بأن مدارها أعمالهم التي قدموها على الدعاء لا مجرد الدعاء). [3]

وقوله تعـالى: ﴿ فَلَا تَضۡرِبُواْ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡثَالَۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٧٤﴾ ﴾ [4]، قـال أبـو السعود: (التفات إلى الخطاب للإيذان بالاهتمام بشأن النهي أي لا تشركوا به شيئا). [5]

الإعراض:

كما في قوله تعالى: ﴿ لِيَكۡفُرُواْ بِمَآ ءَاتَيۡنَٰهُمۡۚ فَتَمَتَّعُواْ فَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ ﴿٣٤﴾ أَمۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ سُلۡطَٰنٗا فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُواْ بِهِۦ يُشۡرِكُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ [6]، قال أبو السعود: (ليكفروا.. كقولـه تعـالى: فتمتعوا، غير أنه التفت فيه للمبالغة وقرئ: وليتمتعوا[7]، (فسوف تعلمون): عاقبة تمـتعكم، وقرئ بالياء[8] على أن تمتعوا ماض، والالتفات إلى الغيبة في قولـه تعـالى: (أم أنزلنـا عليهم) للإيذان بالإعراض عنهم وتعديد جناياتهم لغيرهم بطريق المباثة). [9]

التشريف:

1– آل عمران: ١٩٥
2– وهي قراءة شاذة.
3– إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم (١٣٣:٢)
4– النحل: ٧٤
5– إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم (١٢٨:٥)
6– الروم: ٣٤
7– وهي قراءة شاذة.
8– وهي قراءة شاذة
9– إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم (٦١:٧)

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كما في قوله تعالى: ﴿ يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٧١﴾ ﴾ [1]، قال أبو السعود: ((وأنتم فيها خالدون) إتمام للنعمة وإكمال للسرور فإن كل نعيم له زوال بالآخرة مقارن لخوفه لا محالة والالتفات للتشريف). [2]

وقوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوا وَّنَصَرُوا أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٧٤﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا مِن بَعْدُ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَٰئِكَ مِنكُمْ ۚ وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧٥﴾ ﴾ [3]، قال أبو السعود: ((والذين آمنوا من بعد وهاجروا) بعد هجرتكم (وجاهدوا معكم) في بعض مغازيكم (فأولئك منكم) أي من جملتكم أيها المهاجرون والأنصار، وهم الذين جاؤوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان، ألحقهم الله تعالى بالسابقين وجعلهم منهم تفضلا منه وترغيباً في الإيمان والهجرة وفي توجيه الخطاب إليهم بطريق الالتفات من تشريفهم ورفع محلهم ما لا يخفى). [4]

وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ ۚ ... فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١١١﴾ ﴾ [5]، قال أبو السعود: (فاستبشروا: التفات إلى الخطاب تشريفاً لهم على تشريف، وزيادة لسرورهم على سرور). [6]

العتاب:

---

[1] – الزخرف: ٧١

[2] – إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم (٥٤:٨)

[3] – الأنفال: ٧٤ – ٧٥

[4] – إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم (٣٨:٤)

[5] – التوبة: ١١١

[6] – إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم (١٠٤:٤) وانظر (٢٠١:٨)

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كما في قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَٰجِهِۦ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِۦ... ﴿٣﴾ إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا... ﴿٤﴾ ﴾ (١)، قال أبو السعود: (إن تتوبا إلى الله: خطاب لحفصة وعائشة على الالتفات؛ للمبالغة في العتاب، فقد صغت قلوبكما). (٢)

وقوله تعالى: ﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴿١﴾ أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ﴿٣﴾ ﴾ (٣)، قال أبو السعود: (والتعرض لعنوان عماه؛ إما لتمهيد عذره في الإقدام على قطع كلامه عليه الصلاة والسلام بالقوم والإيذان باستحقاقه بالرفق والرأفة، وإما لزيادة الانكار، كأنه قيل تولى لكونه أعمى، كما أن الالتفات في قوله تعالى "وما يدريك" لذلك، فإن المشافهة أدخل في تشديد العتاب، أي وأي شيء يجعلك دارياً بحاله حتى تعرض عنه). (٤)

وذهب بعضهم إلى أن غرض الالتفات هنا المناصحة والملاطفة، قال ابن يعقوب المغربي: (والسر في العدول عن الخطاب إلى الغيبة أولا تعظيم النبي – صلى الله عليه وسلم – لما فيه من التلطف في مقام العتاب بالعدول عن المواجهة في الخطاب)(٥).

التلطيف:

كما في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ (٦)، قال أبو السعود: ((يا أيها الناس أعبدوا ربكم): إثر ما ذكر الله تعالى علو طبقة كتابه الكريم، وتحزب الناس في شأنه إلى ثلاث فرق: مؤمنة به محافظة على ما فيه من الشرائع والأحكام، وكافرة قد نبذته وراء ظهرها بالمجاهرة والشقاق، وأخرى مذبذبة بينهما بالمخادعة والنفاق، ونعت كل فرقة منها بما لها من النعوت والأحوال، وبين مالهم من المصير والمآل، أقبل عليهم بالخطاب على نهج الالتفات هزاً لهم إلى الإصغاء،

1- التحريم: ٣ - ٤
2- إرشاد العقل السليم إلى مزاياً القرآن الكريم (٨:٢٦٦)
3- عبس: ١ - ٣
4- إرشاد العقل السليم إلى مزاياً القرآن الكريم (٩:١٠٧)، وانظر التفسير (٩:١٤٥)
5- مواهب الفتاح في شرح تلخيص المفتاح، ج١، ص٤٦٦، وممن ذهب إلى هذا القول الآلوسي في تفسيره روح المعاني.
6- البقرة: ٢١

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وتوجيها لقلوبهم نحو التلقي وجبراً لما في العبادة من الكلفة بلذة الخطاب فأمرهم كافة بعبادته، ونهاهم عن الإشراك به). [١]

الإشعار بعلة الخطاب:

كما في قوله تعالى: ﴿فَٱسۡتَجَابَ لَهُمۡ رَبُّهُمۡ أَنِّي لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٖ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰۖ بَعۡضُكُم مِّنۢ بَعۡضٖۖ ...﴿١٩٥﴾﴾ [٢]، قال أبو السعود: (والالتفات إلى التكلم والخطاب؛ لإظهار كمال الاعتناء بشأن الاستجابة، وتشريف الداعين بشرف الخطاب، والمراد تأكيدها ببيان سببها والاشعار بأن مدارها أعمالهم التي قدموها على الدعاء لا مجرد الدعاء). [٣]

التأنيس والوعد والترغيب:

كما في قوله تعالى: ﴿وَمَن لَّمۡ يَسۡتَطِعۡ مِنكُمۡ طَوۡلًا أَن يَنكِحَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ فَمِن مَّا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُم مِّن فَتَيَٰتِكُمُ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۚ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِإِيمَٰنِكُمۚ بَعۡضُكُم مِّنۢ بَعۡضٖۚ فَٱنكِحُوهُنَّ بِإِذۡنِ أَهۡلِهِنَّ ...﴿٢٥﴾﴾ [٤]، قال أبو السعود: ((بعضكم من بعض) إن أريد به الاتصال من حيث الدين فهو بيان لتناسبهم من تلك الحيثية إثر بيان تفاوتهم في ذلك، وإن أريد به الاتصال من حيث النسب، فهو اعتراض آخر مؤكد للتأنيس من جهة أخرى، والخطاب في الموضعين، إما لـ (من) كما في الخطاب الذي يعقبه، قد روعي فيما سبق جانب اللفظ وههنا جانب المعنى، والالتفات للاهتمام بالترغيب والتأنيس، وإما لغيرهم من المسلمين كالخطابات السابقة؛ لحصول الترغيب بخطابهم أيضاً). [٥]

وقوله تعالى : ﴿وَإِنِ ٱمۡرَأَةٌ خَافَتۡ مِنۢ بَعۡلِهَا نُشُوزًا أَوۡ إِعۡرَاضٗا فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَآ أَن يُصۡلِحَا بَيۡنَهُمَا صُلۡحٗاۚ وَٱلصُّلۡحُ خَيۡرٞۗ وَأُحۡضِرَتِ ٱلۡأَنفُسُ ٱلشُّحَّۚ وَإِن تُحۡسِنُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا

1- إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم (١:٥٨)
2- آل عمران: ١٩٥
3- إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم (٢:١٣٣)
4- النساء: ٢٥
5- إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم (٢:١٦٦)

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تَعۡمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٢٨﴾ ﴾ [1]، قال أبو السعود: (وفي خطاب الأزواج بطريق الالتفات والتعبير عن رعاية حقوقهن بالإحسان ولفظ التقوى المنبئ عن كون النشوز والإعراض مما يتوقى منه، وترتيب الوعد الكريم عليه، من لطف الاستمالة والترغيب في حسن المعاملة مالا يخفى). [2]

التحريض:

كما في قوله تعالى: ﴿ فَلۡيُقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يَشۡرُونَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا بِٱلۡأٓخِرَةِۚ ...﴿٧٤﴾ وَمَا لَكُمۡ لَا تُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ...﴿٧٥﴾ ﴾[3]، وقال أبو السعود: ((وما لكم): خطاب للمأمورين بالقتال على طريقة الالتفات؛ مبالغة في التحريض عليه وتأكيداً لوجوبه) [4].

تربية المهابة:

كما في قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَبَعَثۡنَا مِنۡهُمُ ٱثۡنَيۡ عَشَرَ نَقِيبٗاۖ وَقَالَ ٱللَّهُ إِنِّي مَعَكُمۡۖ ...﴿١٢﴾ ﴾ [5]، قال أبو السعود: ("وقال الله" أي لبني إسرائيل فقط، إذ هم المحتاجون إلى ما ذكر من الترغيب والترهيب كما ينبئ عنه الالتفات مع ما فيه من تربية المهابة، وتأكيد ما يتضمنه الكلام من الوعد)[6].

زيادة بيان شأن المخاطبين وحالهم:

1- النساء: ١٢٨

2- إرشاد العقل السليم إلى مزاياً القرآن الكريم (٢٣٩:٢) وانظر (٢٧٠:٣) و(١٥٥:٤)

3- النساء: ٧٥

4- إرشاد العقل السليم إلى مزاياً القرآن الكريم (٢٠١:٢)

5- المائدة: ١٢

6- إرشاد العقل السليم إلى مزاياً القرآن الكريم (١٥:٣)

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كما في قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِم مِّدْرَارًا ...﴿٦﴾ ﴾ [١]، قال أبو السعود: (أي مكناهم تمكيناً لم نمكنه لكم، والالتفات لما في مواجهتهم بضعف الحال مزيد بيان لشأن الفريقين، ولدفع الاشتباه من أول الأمر عن مرجعي الضميرين) [٢].

ومنها أيضاً يستفاد غرض آخر وهو: إزالة اللبس فيما ترجع إليه الضمائر.

الامتنان والتكرم:

كما في قوله تعالى: ﴿ وَالْخَامِسَةَ أَنَّ غَضَبَ اللَّهِ عَلَيْهَا إِن كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٩﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾ ﴾ [٣]، قال أبو السعود: (ولولا فضل الله عليكم ...: التفات إلى خطاب الراجمين والمرميات بطريق التغليب لتوفية مقام الامتنان حقه). [٤]

وقوله تعالى: ﴿ وَعِندَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ أَتْرَابٌ ﴿٥٢﴾ هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ الْحِسَابِ ﴿٥٣﴾ ﴾ [٥]، وقال أبو السعود: ("هذا ما توعدون ليوم الحساب" أي لأجله، فإن الحساب علة للوصول الى الجزاء وقرئ بالياء[٦] ليوافق ما قبله، والالتفات أليق بمقام الامتنان والتكريم). [٧]

1- الأنعام: ٦
2- إرشاد العقل السليم إلى مزاياً القرآن الكريم (٣:١١٠)
3- النور: ٩ - ١٠
4- إرشاد العقل السليم إلى مزاياً القرآن الكريم (٦: ١٥٩)
5- ص: ٥٢ - ٥٣
6- وهي قراءة شاذة
7- إرشاد العقل السليم إلى مزاياً القرآن الكريم (٧:٢٣١)

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقوله تعالى: ﴿ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ﴿٢٤﴾ ... مَّتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴿٣٢﴾ ﴾ (١)، قال أبو السعود: ("متاعاً لكم ولأنعامكم" إما مفعول له، أي فعل ذلك تمتيعاً لكم ولمواشيكم؛ فإن بعض النعم المعدودة طعام لهم وبعضها علف لدوابهم، والالتفات لتكميل الامتنان)(٢).

تحقيق الجزالة في اللفظ:

كما في قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦ ۖ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٩﴾ وَقَالُوٓا۟ أَءِذَا ضَلَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍۭ ۚ بَلْ هُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ كَٰفِرُونَ ﴿١٠﴾ ﴾ (٣)، قال أبو السعود: (وفي حكاية أحوال الإنسان من مبدأ فطرته إلى نفخ الروح فيه بطريق الغيبة، وحكاية أحواله بعد ذلك بطريق الخطاب المنبيء عن استعداده للفهم وصلاحيته له من الجزالة ما لا غاية وراءه، وقالوا كلام مستأنف مسوق لبيان أباطيلهم بطريق الالتفات إيذاناً بأن ما ذكر من عدم شكرهم بتلك النعم موجب للإعراض عنهم وتعديد جناياتهم لغيرهم بطريق المباثة). (٤)

التحقيق والتقرير:

كما في قوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّ رَبِّى يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾ وَمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُم بِٱلَّتِى تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰٓ إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ جَزَآءُ ٱلضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا۟ وَهُمْ فِى ٱلْغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾ (٥)، وقال أبو السعود: (كلام مستأنف من جهته عز وعلا خوطب به الناس بطريق التلوين والالتفات مبالغة في تحقيق الحق وتقرير ما سبق، أي وما

1- عبس: ٢٤ - ٣٢
2- إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم (١١١:٩)
3- السجدة: ٩-١٠
4- إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم (٨١:٧)
5- سبأ: ٣٦ - ٣٧

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

جماعة أموالكم و أولادكم بالجماعة التي تقربكم عندناً قربة –فإن الجمع المكسر عقلاؤه وغير عقلائه سواء في حكم التأنيث– أو بالخصلة التي تقربكم) [١].

تحقيق مضمون الكلام:

كما في قوله تعالى: ﴿ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿١٦٠﴾ فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ ﴿١٦١﴾ ﴾ [٢]، قال أبو السعود: (والالتفات الى الخطاب لإظهار كمال الاعتناء بتحقيق مضمون الكلام وما تعبدون ...). [٣]

الزجر:

كما في قوله تعالى: ﴿وَحَسِبُوٓاْ أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةٌ فَعَمُواْ وَصَمُّواْ ... ﴿٧١﴾ لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ... ﴿٧٢﴾ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ ... قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُواْ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ... ﴿٧٧﴾ ﴾ [٤]، قال أبو السعود: (قل ياَ أهل الكتاب تلوين الخطاب وتوجيه له إلى فريقي أهل الكتاب بطريق الالتفات على لسان النبي بعد إبطال مسلك كل منهما للمبالغة في زجرهم عما سلكوه من المسلك الباطل..)[٥].

وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُواْ ٱلْعِدَّةَ ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ رَبَّكُمْ ۖ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنۢ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ ۚ وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ ۚ لَا تَدْرِى لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا ﴿١﴾ ﴾[٦] ، قال أبو السعود: (وقوله تعالى: (لا تدري): خطاب للمتعدي بطريق الالتفات لمزيد الاهتمام بالزجر

1– إرشاد العقل السليم إلى مزاياَ القرآن الكريم (١٣٥:٧)
2– الصافات: ١٥٩ – ١٦١
3– إرشاد العقل السليم إلى مزاياَ القرآن الكريم (٢٠٩:٧)
4– المائدة: ٧١ – ٧٧
5– إرشاد العقل السليم إلى مزاياَ القرآن الكريم (٦٨:٣)
6– الطلاق: ١

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

عن التعدي، لا للنبي عليه الصلاة والسلام كما توهم، فالمعنى ومن يتعد حدود الله فقد أضر بنفسه، فإنك لا تدري أيها المتعدي عاقبة الأمر، لعل الله يحدث في قلبك بعد ذلك الذى فعلت من التعدي أمراً يقتضي خلاف ما فعلته، فيبدل ببغضها محبة وبالإعراض عنها إقبالا إليها ويتسنى تلافيه)[١].

الإقدام:

كما في قول تأبط شراً[٢] (من البسيط) في مطلع مفضليته:

يا عيد مالك من شوق وإيراق ومر طيف على الأهوال طراق

يسري على الابن والحيات محتفياً نفسي فداؤك من سار على ساق[٣]

والالتفات في العدول عن الغيبة إلى الخطاب في (نفسي فداؤك) والأصل (نفسي فداؤه)، والباعث في هذه الصورة الشعرية هو التحدث عن غيره في مروره على الحيات والأهوال محتفياً، وهو يريد نفسه على سبيل الشجاعة[٤].

قصد المبالغة والتعجب:

ومما جاء منه في الشعر قول عنترة[٥] (من البسيط):

أمن سمية دمع العين تذريف لو أن ذا مِنكِ قبل اليوم معروف

تجللتني إذ أهوى العصا قِبَلي كأنه صنم يقتاد معكوف

قال التنوخي (٧٤٨هـ) معلقاً على أبيات عنترة: "لما تعجب منها ذكرها على سبيل الغيبة مخاطباً لنفسه، ثم انتقل إلى خطابها تقرباً إليها، ثم انتقل إلى الثناء عليها وذكر

1- إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم (٨: ٢٦٠)

2- هو ثابت بن جابر، شاعر جاهلي، توفي ٨٠ ق. هـ.

3- المفضليات، ط٣، تحقيق وشرح أحمد شاكر وعبد السلام هارون، دار المعارف، ١٩٦٤م شعر تأبط شراً، ص ٢٧، العيد: ما اعتادك من حزن وشوق، مالك: ما أعظمك، الإيراق: مصدر أرقه يورقه من الأرق، الابن: نوع من الحيات.

4- فن الالتفات ص(١١٥).

5- العقد الثمين، ص٤١، رقم القصيدة ١٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إحسانها إليه على سبيل الغيبة إنشاء لذلك، ولو خاطبها به لجاز أن يكون منقــصراً علـــى ذلك، وهذا من أفصح كلام البشر وأبلغه وألطفه بياناً"[١].

1- التنوخي، محمد بن محمد بن عمر، الأقصى القريب في علم البيان، مطبعة السعادة، ١٣٢٧هـــ، ص ٤٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أغراض الانتقال من الخطاب إلى الغيبة:

الإشعار بعلم الحكم:

كما في قوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ ...﴿١٤٣﴾ ﴾[1] ، قال أبو السعود: (والالتفات إلى الغيبة مع إيراده عليه السلام بعنوان الرسالة للإشعار بعلة الاتباع).[2]

وقوله تعالى: ﴿ وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُوا۟ مِنْ عِندِكَ بَيَّتَ طَآئِفَةٌ مِّنْهُمْ غَيْرَ ٱلَّذِى ... ﴿٨١﴾ ... وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ ...﴿٨٣﴾ ﴾[3]، قال أبو السعود: (والالتفات لما أن عنوان الرسالة من موجبات الرد والمراجعة إلى رأيه).[4]

التعظيم والإجلال والتفخيم:

كما في قوله تعالى: ﴿ رَبَّنَآ إِنَّكَ جَامِعُ ٱلنَّاسِ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴿٩﴾ ﴾[5]، قال أبو السعود: ("إن الله لايخلف الميعاد" تعليل لمضمون الجملة المؤكدة أو لانتفاء الريب، والتأكيد لما مر؛ وإظهار الاسم الجليل مع الالتفات لإبراز كمال التعظيم والإجلال الناشئ من ذكر اليوم المهيب الهائل، بخلاف ما في آخر السورة الكريمة فإنه مقام طلب الإنعام كما سيأتي وللإشعار بعلة الحكم فإن الألوهية منافية للإخلاف وقد جوز أن تكون الجملة مسوقة من جهته تعالى لتقرير قول الراسخين).[6]

1- البقرة: ١٤٣
2- إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم (١:١٧١)
3- النساء: ٨١ - ٨٣
4- إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم (٢:٢٠٧)
5- آل عمران: ٩
6- إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم (٢:٩)

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقولـــه تعـــالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ جَآءُوكَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسۡتَغۡفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴿٦٤﴾ ﴾[١] ، قـــال أبو السعود: ((واستغفر لهم الرسول): على طريقة الالتفات، تفخيماً لشأن رسول الله وتعظيمـاً لاستغفاره وتنبيها على أن شفاعته في حيز القبول).[٢]

وهو قريب مما قرره الرمخشري، قال في الكشاف: (ولم يقل: واســتغفرت لهـم، وعدل عنه إلى طريقة الالتفات، تفخيما لشأن رسول الله صلى الله عليه وسـلم وتعظيمـا لاستغفاره. وتنبيها على أن شفاعة من اسمه الرسول من الله بمكان)[٣].

التوبيخ:

كما في قوله تعـــالى: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ شَآقُّواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥۚ وَمَن يُشَاقِقِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴿١٣﴾ ذَٰلِكُمۡ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٤﴾ ﴾[٤] ، قـــال أبـــو الـــسعود: (والواو في قوله تعالى: (وأن للكافرين الخ)، بمعنى مع، فالمعنى باشروا ذلكم العقـــاب الـــذي أصابكم فذوقوه عاجلاً، مع أن لكم عذاب النار آجلاً، فوضـــع الظـــاهر موضـــع الـــضمير لتوبيخهم بالكفر وتعليل الحكم به).[٥]

الذم:

كما في قوله تعالى: ﴿ فَسِيحُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَرۡبَعَةَ أَشۡهُرٖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّكُمۡ غَيۡرُ مُعۡجِزِي ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُخۡزِي ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٢﴾ ﴾[٦] ، قال أبو السعود: (مخزي الكافرين: أي مخزيكم ومذلكم في الدنيا بالقتـــل والأسر وفي الآخرة بالعذاب، وإيثار الإظهار على الإضمار لـــذمهم بـــالكفر بعـــد وصـــفهم

1- النساء: ٦٤
2- إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم (٢:١٩٦)
3- الكشاف: ج١، ص٥٣٨.
4- الأنفال: ١٣ - ١٤
5- إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم (٤:١١)
6- التوبة: ٢

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بالإشراك، والإشعار بأن علة الإخزاء هي كفرهم، ويجوز أن يكون المراد جنس الكافرين فيدخل فيه المخاطبون دخولاً أولياً)(١)

وقوله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِي ٱلْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ ﴿٣﴾ وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٤﴾ ﴾(٢) ، قال أبو السعود : (والالتفات للإشعار بأن ذكر قبائحهم قد اقتضى أن يضرب عنهم الخطاب صفحاً وتعداد جناياتهم لغيرهم ذما لهم وتقبيحاً لحالهم). (٣)

الإعراض:

كما في قوله تعالى: ﴿ إِنْ هِىَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ ﴿٢٣﴾ ﴾(٤) ، قال أبو السعود: (إن يتبعون: التفات إلى الغيبة للإيذان بأن تعداد قبائحهم اقتضى الإعراض عنهم وحكاية جناياتهم لغيرهم؛ أي ما يتبعون فيما ذكر من التسمية والعمل بموجبها). (٥)

وقوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا۟ بِهَا ...﴿٢٢﴾ ﴾(٦) ، قال أبو السعود: (وجرين: أي السفن، "بهم" بالذين فيها، والالتفات إلى الغيبة للإيذان بما لهم من سوء الحال الموجب للإعراض عنهم، كأنه يذكر لغيرهم مساوئ أحوالهم ليعجبهم منها، ويستدعي منه الإنكار والتقبيح، وقيل ليس فيه التفات بل معنى قوله تعالى حتى إذا كنتم فى الفلك إذا كان بعضكم فيها، إذ الخطاب للكل ومنهم المسيرون فى البر، فالضمير الغائب عائد إلى ذلك المضاف المقدر؛ كما فى قوله تعالى "أو كظلمات فى بحر لجي يغشاه" أي: أو كذي ظلمات يغشاه موج).(٧)

1- إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم (٤٠:٤)
2- الأنعام: ٣ - ٤
3- إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم (١٠٧:٣)
4- النجم: ٢٣
5- إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم (١٥٩:٨)، وانظر (٢١٢:١) و(٧:٩)
6- يونس: ٢٢
7- إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم (١٣٤:٤)

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وذهب المبرد إلى أن غرض الالتفات هنا الإخبار، قال المبرد: (والعرب تترك مخاطبة الغائب إلى مخاطبة الشاهد، ومخاطبة الشاهد إلى مخاطبة الغائب، قال الله جل وعز: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ﴾ [١] (كانت المخاطبة للأمة، ثم صرفت إلى النبي صلى الله عليه وسلم إخباراً عنهم)[٢].

كما ذهب بعضهم إلى أن المراد بها المبالغة والتعجب، قال الزمخشري: (فإن قلت: ما فائدة صرف الكلام عن الخطاب إلى الغيبة؟ قلت المبالغة كان يذكر لغيرهم حالهم ليعجبهم منها ويستدعي منهم الإنكار والتقبيح)[٣]، وهو ما ذهب إليه ابن الأثير[٤]، وتبعه في ذلك الزركشي حيث قال: "كأنه يذكر لغيرهم حالهم، ليُتعجَّب منها ويُستدعى منه الإنكار والتقبيح لها، إشارة منه على سبيل المبالغة إلى أن ما يعتمدونه بعد الإنجاء من البغي في الأرض بغير الحق مما يذكر ويقبح"[٥]، وقد يُفهم من الالتفات هنا حط الشأن، فأنتم على ما يبدر منكم دون مقام الخطاب لهوانكم.

التعجيب:

كما في قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ۚ أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ ٱللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ ﴿٧٢﴾﴾ [٦] قال أبو السعود: (والالتفات إلى الغيبة للإيذان باستيجاب حالهم للإعراض عنهم وصرف الخطاب إلى غيرهم من السامعين تعجيباً لهم مما فعلوه). [٧]

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ كُلِى مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ فَٱسْلُكِى سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا ۚ يَخْرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٦٩﴾﴾ [٨] ، قال أبو السعود: (استئناف عدل به

٢- يونس: ٢٢
٣- الكامل، ج٣، ص ٢٢.
3- الكشاف، ج٢، ص٢٣٢.
4- المثل السائر، ج٢، ص١٨٠/ الجامع الكبير، ص ١٠٠.
5- البرهان (٣: ٣٢٩).
6- النحل: ٧٢
7- إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم (١٢٧:٥)
8- النحل: ٦٩

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

عن خطاب النحل لبيان ما يظهر منها من تعاجيب صنع الله تعالى التي هي موضع العبرة بعد ما أمرت بما أمرت). (١)

التسلية:

كما في قوله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَٰلًا ... ﴿٨١﴾ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٨٢﴾ ﴾(٢) قال أبو السعود: (فإن تولوا فعل ماض على طريقة الالتفات وصرف الخطاب عنهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم تسلية له). (٣)

التسجيل على المخاطبين حكما معينا:

كما في قوله تعالى: ﴿ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ ۚ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا ۘ وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَٰفِرِينَ حَصِيرًا ﴿٨﴾ ﴾(٤) ، قال أبو السعود: (وإنما عدل عن أن يقال وجعلنا جهنم لكم، تسجيلا على كفرهم بالعود، وذما لهم بذلك، وإشعاراً بعلة الحكم). (٥)

وقوله تعالى: ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِىَ ٱللَّهُ وَمَن مَّعِىَ أَوْ رَحِمَنَا فَمَن يُجِيرُ ٱلْكَٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٨﴾ ﴾(٦) قال أبو السعود: (ووضع الكافرين موضع ضميرهم للتسجيل عليهم بالكفر وتعليل نفي الانجاء به). (٧)

وقوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ وَٱلْفَحْشَآءِ وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٦٩﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ... ﴿١٧٠﴾ ﴾(٨) ، قال أبو السعود: (وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله التفات إلى

---

[1]- إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم (١٢٥:٥)
[2]- النحل: ٨١ - ٨٢
[3]- إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم (١٣٣:٥)
[4]- الإسراء: ٨
[5]- إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم (١٥٧:٥)
[6]- الملك: ٢٨
[7]- إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم (١٠:٩)
[8]- البقرة: ١٦٩ - ١٧٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الغيبة تسجيلاً بكمال ضلالهم وإيذاناً بإيجاب تعداد ما ذكر من جناياتهم لصرف الخطاب عنهم وتوجيهه الى العقلاء، وتفصيل مساوئ أحوالهم لهم على نهج المباثة، أي إذا قيل لهم على وجه النصيحة والإرشاد اتبعوا كتاب الله الذي أنزله قالوا لا نتبعه).[1]

تقوية معنى مستفاد من أسلوب بلاغي، مثل:

- تقوية معنى الاعتراض:

كما في قوله تعالى: ﴿ وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ وَعِدْهُمْ ۚ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿٦٤﴾ ﴾[2] ، قال أبو السعود: ("وما يعدهم الشيطان إلا غرورا" اعتراض لبيان شأن مواعيده والالتفات إلى الغيبة لتقوية معنى الاعتراض مع ما فيه من صرف الكلام عن خطابه وبيان شأنه للناس ومن الإشعار بعلية شيطنته للغرور وهو تزيين الخطأ بما يوهم أنه صواب).[3]

- تقوية معنى التوبيخ في لولا:

كما في قوله تعالى: ﴿ لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴿١٢﴾ ﴾[4] ، قال أبو السعود: ((لولا إذ سمعتموه): تلوين للخطاب وصرف له عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وذويه إلى الخائضين بطريق الالتفات؛ لتشديد ما في لولا التحضيضية من التوبيخ، ثم العدول عنه إلى الغيبة في قوله تعالى: "ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيرا"، لتأكيد التوبيخ والتشنيع، لكن لا بطريق الإعراض عنهم وحكاية جناياتهم لغيرهم على وجه المباثة، بل بالتوسل بذلك إلى وصفهم بما يوجب الإتيان بالمحضض عليه ويقتضيه اقتضاء تاما ويزجرهم عن ضده زجراً بليغاً...).[5]

النعي على المخاطبين فعلهم:

1- إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم (١٨٨:١)
2- الإسراء: ٦٤
3- إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم (١٨٤:٥)
4- النور: ١٢
5- إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم (١٦١:٦)

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كما في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُونِ ۝٩٢ وَتَقَطَّعُوٓاْ أَمۡرَهُم بَيۡنَهُمۡۖ كُلٌّ إِلَيۡنَا رَٰجِعُونَ ۝٩٣ ﴾ [1]، قال أبو السعود: ("وتقطعوا": التفات إلى الغيبة لينعى عليهم ما أفسدوه من التفرق في الدين وجعل أمره قطعاً موزعة وينعى قبائح أفعالهم إلى الآخرين، كأنه قيل: ألا ترون إلى عظيم ما ارتكب هؤلاء في دين الله الذي أجمعت عليه كافة الأنبياء عليهم السلام). [2]

الاهتمام والعناية:

كما في قوله تعالى: ﴿ أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ قَدۡ يَعۡلَمُ مَآ أَنتُمۡ عَلَيۡهِ وَيَوۡمَ يُرۡجَعُونَ إِلَيۡهِ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُواْۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمُۢ ۝٦٤ ﴾[3] ، قال أبو السعود: ("لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم" استئناف مقرر لمضمون ما قبله، والالتفات لإبراز مزيد الاعتناء بشأنه، أي لا تجعلوا دعوته صلى الله عليه وسلم إياكم في الاعتقاد والعمل بها كدعاء بعضكم بعضا، أي لا تقيسوا دعاءه صلى الله عليه وسلم إياكم على دعاء بعضكم بعضاً في حال من الأحوال وأمر من الأمور التي من جملتها المساهلة فيه والرجوع عن مجلسه صلى الله عليه وسلم بغير استئذان فإن ذلك من المحرمات). [4]

تقوية الكلام وتحقيق الجزالة فيه:

1- الأنبياء: ٩٢ - ٩٣

2- إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم (٨٤:٦)

3- النور: ٦٤

4- إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم (١٩٩:٦)

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كما في قوله تعـــالى: ﴿ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَا۟ فِىٓ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ فَلَا يَرْبُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن زَكَوٰةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُضْعِفُونَ ﴿٣٩﴾ ﴾ [١]، قال أبو السعود: (وفي تغيير النظم الكريم والالتفات من الجزالة ما لا يخفى). [٢]

الإكرام:

كما في قوله تعـــالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَٰجَكَ ٱلَّٰتِىٓ ءَاتَيْتَ أُجُورَهُنَّ ... وَٱمْرَأَةً مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِىِّ إِنْ أَرَادَ ٱلنَّبِىُّ أَن يَسْتَنكِحَهَا ... ﴿٥٠﴾ ﴾[٣]، قال أبو السعود: (وإيراده في الموضعين بعنوان النبوة بطريق الالتفات للتكرمة والإيذان بأنها المناط لثبوت الحكم فيختـــص به حسب اختصاصها به، كما ينطق به قوله تعالى: "خالصة لك": أي خلص لك إحلالها). [٤]

الاستهانة والتحقير والحط عن رتبة الخطاب:

كما في قوله تعـــالى : ﴿ ذَٰلِكُم بِأَنَّكُمُ ٱتَّخَذْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًا وَغَرَّتْكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۚ فَٱلْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ [٥]، قال أبو السعود: (والالتفات إلى الغيبة للإيذان بإسقاطهم عن رتبة الخطاب استهانة بهم أو بنقلهم من مقام الخطاب إلى غيابة النار). [٦]

وقولـــه تعـــالى: ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓا۟ أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَٰرَهُمْ ﴿٢٣﴾ ﴾[٧]، قال أبو السعود: (أولئك إشارة الى المخاطبين

1- الروم: ٣٩
2- إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم (٦٢:٧) وانظر (١١٨:٨)
3- الأحزاب: ٥٠
4- إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم (١٠٩:٧)
5- الجاثية: ٣٥
6- إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم (٧٥:٨)
7- محمد: ٢٢ - ٢٣

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بطريق الالتفات، إيذاناً بأن ذكر هناتهم أوجب إسقاطهم عن رتبة الخطاب وحكاية أحوالهم الفظيعة لغيرهم). [١]

تبيين المراد من الخطاب:

كما في قوله تعالى: ﴿ وَلَئِنْ أَتَيْتَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ بِكُلِّ ءَايَةٍ مَّا تَبِعُوا۟ قِبْلَتَكَ ... ﴿١٤٥﴾ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ... ﴿١٤٦﴾ ﴾[٢]، قال أبو السعود: ("يعرفونه" للرسول والالتفات إلى الغيبة للإيذان بأن المراد ليس معرفتهم له عليه السلام من حيث ذاته ونسبه الزاهر، بل من حيث كونه مسطوراً في الكتاب منعوتاً فيه بالنعوت التي من جملتها أنه عليه السلام يصلي إلى القبلتين، كأنه قيل الذين آتيناهم الكتاب يعرفون من وصفناه فيه، وبهذا يظهر جزالة النظم الكريم) [٣]

الحث والاستثارة:

كما في قوله تعالى: ﴿ إِن تُبْدُوا۟ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِىَ ... ﴿٢٧١﴾ لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ... ﴿٢٧٢﴾ ﴾[٤]، قال أبو السعود: (ولكن الله يهدى هداية خاصة موصلة إلى المطلوب حتماً؛ من يشاء هدايته إلى ذلك ممن يتذكر بما ذكر، ويتبع الحق ويختار الخير، والجملة معترضة جيء بها على تلوين الخطاب وتوجيهه إلى رسول الله مع الالتفات إلى الغيبة فيما بين الخطابات المتعلقة بالمكلفين مبالغة في حملهم على الامتثال، فإن الإخبار بعدم وجوب تدارك أمرهم على النبي مؤذن بوجوبه عليهم حسبما ينطق به ما بعده من الشرطية).[٥]

---

[1] – إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم (٩٨:٨) وانظر (١٢٦:١) و(١٦٤:١) و(٢٠٧:٧)

[2] – البقرة: ١٤٥ – ١٤٦

[3] – إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم (١٧٥:١)

[4] – البقرة: ٢٧١ – ٢٧٢

[5] – إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم (٢٦٣:١)

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

التشريف:

كما في قوله تعالى: ﴿ إِن يَنصُرۡكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمۡۖ وَإِن يَخۡذُلۡكُمۡ فَمَن ذَا ٱلَّذِي يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعۡدِهِۦۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ١٦٠ ﴾[١] ، قال أبو السعود: (والمراد بالمؤمنين إما الجنس؛ والمخاطبون داخلون فيه دخولا أولياً، وإما هم خاصة بطريق الالتفات، وأياً ما كان؛ ففيه تشريف لهم بعنوان الإيمان اشتراكاً أو استقلالاً، وتعليل لتحتم التوكل عليه تعالى، فإن وصف الإيمان مما يوجبه قطعاً). [٢]

الاستمالة:

كما في قوله تعالى: ﴿ أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ أَلَآ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ٥٥ ...يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَتۡكُم مَّوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡ ...٥٧ ﴾[٣] ، قال أبو السعود: ("يا أيها الناس": التفات ورجوع إلى استمالتهم نحو الحق واستنزالهم إلى قبوله واتباعه غب تحذيرهم من غوائل الضلال بما تلى عليهم من القوارع الناعية عليهم سوء عاقبتهم، وإيذان بأن جميع ذلك مسوق لمصالحهم ومنافعهم).[٤]

تربية المهابة:

كما في قوله تعالى: ﴿ رَبَّنَآ إِنَّكَ تَعۡلَمُ مَا نُخۡفِي وَمَا نُعۡلِنُۗ وَمَا يَخۡفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِن شَيۡءٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ ٣٨ ﴾[٥]، قال أبو السعود: (والالتفات من الخطاب إلى اسم الذات المستجمعة للصفات لتربية المهابة، والإشعار بعلة الحكم، على نهج قوله تعالى ألا يعلم من خلق وهو

1- آل عمران: ١٦٠
2- إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم (١٠٥:٢)
3- يونس: ٥٥ - ٥٧
4- إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم (١٥٥:٤)
5- إبراهيم: ٣٨

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

اللطيف الخبير، والإيذان بعمومه، لأنه ليس بشأن يختص به أو بمن يتعلق بـــه، بـــل شـــامل لجميع الأشياء، فالمناسب ذكره تعالى بعنوان مصحح لمبدأ الكل).[١]

الحكاية لغير المخاطبين:

كما في قوله تعالى: ﴿أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۝١﴾[٢]، قال أبو السعود: (والالتفات إلى الغيبة للإيذان باقتضاء ذكر قبائحهم للإعراض عنهم وطـــرحهم عن رتبة الخطاب، وحكاية شنائعهم لغيرهم، وعلى تقدير تخصيص الخطاب بالمؤمنين تفوت هذه النكتة كما يفوت ارتباط المنهي عنه بالمتنزه عنه). [٣]

وقولـــه تعـــالى: ﴿ ٱصْلَوْهَا ٱلْيَوْمَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ۝٦٤ ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ۝٦٥﴾[٤]، قال أبو السعود: ("اليوم نختم على أفواههم": أي ختماً يمنعها عن الكلام، التفات إلى الغيبة للإيذان بأن ذكر أحوالهم القبيحـــة اســـتدعى أن يعرض عنهم، ويحكي أحوالهم الفظيعة لغيرهم، مع ما فيه من الإيمـــاء إلـــى أن ذلـــك مـــن مقتضيات الختم، لأن الخطاب لتلقي الجواب وقد انقطع بالكلية).[٥]

بيان كمال السخط والغضب:

كما في قوله تعـــالى: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِـَٔادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ ۗ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ ۚ بِئْسَ لِلظَّـٰلِمِينَ بَدَلًا ۝٥٠ ﴾ [٦]، قال أبو السعود: (وفي الالتفات إلى الغيبة مع وضع الظالمين موضع الضمير مـــن الإيـــذان بكمـــال السخط والإشارة إلى أن ما فعلوه ظلم قبيح ما لا يخفى).[٧]

1– إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم (٥:٥٣)
2– النحل: ١
3– إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم (٥:٩٤)
4– يس: ٦٤ – ٦٥
5– إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم (٧:١٧٦) وانظر (٥:١٧٣)
6– الكهف: ٥٠
7– إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم (٥:٢٢٧)

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

التأدب:

كما في قوله تعــالى: ﴿ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ٧ ﴾ [١]،

حيث صرح بالخطاب عند ذكر الإنعام، والتفت عنه إلى الغيبة المشعر بها في (المغضوب) وكان السياق (غيرالذين غضبت عليهم)، (فأسند النعمة إليه لفظاً، وزوى عنه لفظ الغضب تحنناً ولطفاً"[٢].

(فلو قال: غير الذين غضبت عليهم، لكان قد نسب الغضب إليه تعالى وكان بمنزلة من يقول، أنت تنعم وتنتقم، وتعفو وتؤاخذ، وفي هذا من المواجهة لمــن يطلــب إحــسانه ورحمته وهدايته ما فيه، لأنك تذكره ما عليك، أما إذا قلت: أنت المنعم الــذي لا يغــضب والعفو الذي لا يؤاخذ، كنت قد أتيت بما زاده عطفاً عليه، وأغراه بالعفو عنك)[٣]، وفي هذا من التلطيف ما فيه، وهو أيضاً علامة الأدب في نسبة الخير والإنعام إلــى الله، والــسوء والانتقام إلى غيره، ولله در أبينا إبراهيم حيث حكى الله علــى لــسانه: ﴿ وَٱلَّذِي هُوَ يُطۡعِمُنِي وَيَسۡقِينِ ٧٩ وَإِذَا مَرِضۡتُ فَهُوَ يَشۡفِينِ ٨٠ ﴾ [٤]، ولم يقل (يُمرضني ويشفين).

التهويل:

ومنه ما ورد في شعر امرئ القيس[٥] حيث قال:

تطاول ليلك بالإثمد ونام الخليُّ ولم ترقد
وبات وباتت له ليلة كليلة ذي العائر الأرمد
وذلك من نبأ جاءني وخُبِّرتُهُ عن أبي الأسود

إذ خاطب في البيت الأول وانصرف عن الخطاب إلى الإخبار في البيــت الثــاني، وانصرف عن الإخبار إلى التكلم في البيت الثالث، ويوضح السكاكي، بواعث الالتفات فــي هذه الأبيات: ففي البيت الثاني والثالث "قصد تهويل الخطب واستفظاعه في النبأ الموجــع، والخبر المفجع، للواقع الفاتِّ في العضد، المُحرِّق للقلب والكبد، فعل ذلك منبِّها في التفاتــه

1- الفاتحة: ٧
2- المحتسب، ج١، ص١٤٦. المثل السائر، ج٢، ص١٧٤. الجامع الكبير، ص٩٩.
3- الغيث المسجم، ج١، ص٢٥٧.
4- الشعراء : ٧٩-٨٠
5- تقدم ذكره

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الأول، على أن نفسه –وقت ورود ذلك النبأ عليها– ولِهتْ وَلَــهَ الثكلــى، فأقامهــا مقــام المصاب الذي لا يُتسلى بعض التسلي إلا بتفجع الملوك له وتحزنهم عليه، وأخــذ يخاطبــه بتطاول ليلك (تسلية)، أو نبه على نفسه؛ لفظاعة شــأن النبــأ واستــشعارها معــه كمــداً وارتماضاً، أبدت قلقاً لا يقلقه كمِد، وضجراً لا يضجره مرتمض، فحين لم تفعل شككته في أنها نفسه، فأقامها مقام مكروب ذي حرق قائلا له: تطاول ليلك مسلياً.

وفي التفاته الأول نبه على أن نفسه حين لم تتثبت ولم تتصبر غاظه ذلك، فأقامهــا مقام المستحق للعتاب قائلا له على سبيل التوبيخ والتعبير تطاول ليلك، وفي الثاني على أن الحامل على الخطاب والعتاب لما كان هو الغيظ والغضب فحــين ســكت عنــه الغــضب بالعتاب الأول –فإن سَورة الغضب بالعتاب تنكسر– ولّى عنها الوجه، وهو يدمــدم قــائلا وبات وباتت له"[١].

1- مفتاح العلوم، ص٨٨.، وانظر كتاب المصباح، ص١٧. وشروح التلخيص، ج١، ص٤٧٥. عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح، ج١، ص٤٧٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أغراض الانتقال من التكلم إلى الغيبة:

تربية المهابة:

كما في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ ﴿١٧٢﴾ ﴾[١] ، قال أبو السعود: (واشكروا الله الذي رزقكموها، والالتفات لتربية المهابة).[٢]

وقوله تعالى: ﴿ كَدَأۡبِ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمۡۗ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴿١١﴾ ﴾[٣] ، قال أبو السعود: (والالتفات إلى التكلم أولاً: للجري على سنن الكبرياء، وإلى الغيبة ثانياً بإظهار الجلالة لتربية المهابة وإدخال الروعة). [٤]

وقوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلۡنَٰهُ حُكۡمًا عَرَبِيّٗاۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعۡتَ أَهۡوَآءَهُم بَعۡدَمَا جَآءَكَ مِنَ ٱلۡعِلۡمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِيّٖ وَلَا وَاقٖ ﴿٣٧﴾ ﴾[٥] ، قال أبو السعود: ("مالك من الله": من جنابه العزيز، والالتفات من التكلم إلى الغيبة وإيراد الاسم الجليل لتربية المهابة، قال الأزهري لا يكون إلها حتى يكون معبوداً، وحتى يكون خالقاً ورازقاً ومدبراً، من ولي يلي أمرك وينصرك على من يبغيك الغوائل، ولا واق يقيك من مصارع السوء)[٦]

إدخال الروعة:

1- البقرة: ١٧٢
2- إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم (١٩٠:١)
3- آل عمران: ١١
4- إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم (١٠:٢)
5- الرعد: ٣٧
6- إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم (٢٦:٥) وانظر (١٥٤:٥)

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كما في قوله تعالى: ﴿سَلْ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ كَمْ ءَاتَيْنَٰهُم مِّنْ ءَايَةٍۭ بَيِّنَةٍۗ وَمَن يُبَدِّلْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢١١﴾﴾[1] ، قال أبو السعود: (فإن الله شديد العقاب، تعليل للجواب كأنه قيل: ومن يبدل نعمة الله عاقبه أشد عقوبة، فإنه شديد العقاب وإظهار الاسم الجليل لتربية المهابة وإدخال الروعة). [2]

كما في قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ أَخَذْنَا مِيثَٰقَهُمْ ... وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ ٱللَّهُ بِمَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ ﴿١٤﴾﴾[3]، قال أبو السعود: (والالتفات الى ذكر الاسم الجليل لتربية المهابة وإدخال الروعة لتشديد الوعيد).[4]

الحث:

ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ﴿١﴾ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ﴿٢﴾﴾ [5]، والباعث عليه (أن في لفظ الرب حثاً على فعل المأمور به، لأن من يربيك يستحق العبادة)[6].

الرمز إلى التفاوت والاختلاف بين ما يتحدث عنه:

كما في قوله تعالى: ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍۘ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُۖ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍۚ ...﴿٢٥٣﴾﴾[7]، قال أبو السعود: (وإيراد الاسم الجليل بطريق الالتفات لتربية المهابة

1- البقرة: ٢١١

2- إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم (١:٢١٣)

3- المائدة: ١٤

4- إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم (٣:١٦)

5- الكوثر: ١- ٢.

6- حاشية الدسوقي ضمن شروح التلخيص، ج١، ص٤٧٨.

7- البقرة: ٢٥٣

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والرمز إلى ما بين التكليم والرفع وبين ما سبق من مطلق التفضيل وما لحق من إيتاء البينات والتأييد بروح القدس من التفاوت).[١]

وقوله تعالى: ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَأُعَذِّبُهُمۡ عَذَابًا شَدِيدًا .. ﴿٥٦﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمۡ أُجُورَهُمۡۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٧﴾ ﴾[٢] ، قال أبو السعود: ("فيوفيهم أجـورهم": أي يعطيهم إياها كاملة، ولعل الالتفات إلى الغيبة للإيذان بما بين مصدري التعذيب والإثابـة من الاختلاف من حيث الجلال والجمال).[٣]

الإشعار بعلم الحكم:

كما في قوله تعالى: ﴿ إِن يَمۡسَسۡكُمۡ قَرۡحٞ فَقَدۡ مَسَّ ٱلۡقَوۡمَ قَرۡحٞ مِّثۡلُهُۥۚ وَتِلۡكَ ٱلۡأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيۡنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعۡلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَيَتَّخِذَ مِنكُمۡ شُهَدَآءَۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٠﴾ ﴾[٤] ، قـال أبـو السعود: (والالتفات إلى الغيبة بإسناده إلى اسم الذات المستجمع للـصفات لتربيـة المهابـة و الإشعار بأن صدور كل واحد مما ذكر بصدد التعليل من أفعاله تعالى باعتبار منشأ معين من صفاته تعالى مغاير لمنشأ الآخر).[٥]

وقوله تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ كُذِّبَتۡ رُسُلٞ مِّن قَبۡلِكَ فَصَبَرُواْ عَلَىٰ مَا كُذِّبُواْ وَأُوذُواْ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمۡ نَصۡرُنَاۚ وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِۚ وَلَقَدۡ جَآءَكَ مِن نَّبَإِيْ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾[٦]، قال أبو السعود: (والالتفات إلى نون العظمة لإبراز الاعتناء بشأن النصر .. والالتفات إلى الاسم الجليل للإشعار بعلة الحكم فإن الألوهيـة من موجبات أن لا يغالبه أحد في فعل من الأفعال، ولا يقع منه تعالى خلف فـي قـول مـن الأقوال).[٧]

1- إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم (١:٢٤٥)
2- آل عمران: ٥٦ - ٥٧
3- إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم (٢:٤٤)
4- آل عمران: ١٤٠
5- إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم (٢:٨٩)
6- الأنعام: ٣٤
7- إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم (٣:١٢٧) وانظر التفسير(٥:٢٧٨) و(٧:١٦) و(٧:٨٤) و(٢:٦٩) و(٥:٧٣)

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

التهويل:

كما في قولـــه تعـــالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا سَوۡفَ نُصۡلِيهِمۡ نَارٗا كُلَّمَا نَضِجَتۡ جُلُودُهُم بَدَّلۡنَٰهُمۡ جُلُودًا غَيۡرَهَا لِيَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمٗا ٥٦ ﴾[1] ، قال أبو الـــسعود: (إن الله كـــان عزيزاً لا يمتنع عليه ما يريده ولا يمانعه أحد، حكيما يعاقب من يعاقبه على وفـــق حكمتـــه، والجملة تعليل لما قبلها من الإصلاء والتبديل، وإظهار الاسم الجليل بطريق الالتفات لتهويـــل الأمر وتربية المهابة وتعليل الحكم فإن عنوان الألوهية مناط لجميع صفات كماله تعالى).[2]

وقولـــه تعـــالى: ﴿ إِنَّا عَرَضۡنَا ٱلۡأَمَانَةَ ... ٧٢ لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتِ .. ٧٣ ﴾[3]، قال أبو السعود: (والالتفات الى الاسم الجليل أولا لتهويل الخطب وتربية المهابة، والإظهـــار في موقع الاضمار ثانياً لإبراز مزيد الاعتناء بأمر المؤمنين توفية لكل من مقـــامي الوعيـــد والوعد حقه والله تعالى أعلم)[4].

اللطف والعناية:

كما في قولـــه تعـــالى: ﴿ وَتِلۡكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيۡنَٰهَآ إِبۡرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوۡمِهِۦۚ نَرۡفَعُ دَرَجَٰتٖ مَّن نَّشَآءُۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٞ ٨٣ ﴾[5] ، قال أبو السعود: (وفي وضع الرب مضافاً إلـــى ضـــميره عليـــه السلام موضع نون العظمة بطريق الالتفات في تضاعيف بيان أحوال إبراهيم عليـــه الـــسلام إظهار لمزيد لطف وعناية به عليه السلام)[6]

1- النساء: ٥٦
2- إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم (١٩١:٢)
3- الأحزاب: ٧٢ – ٧٣
4- إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم (١١٨:٧)
5- الأنعام: ٨٣
6- إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم (١٥٦:٣)

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقوله تعالى: ﴿ وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُواْ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ ۚ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ ...﴿٦١﴾ ﴾[١] قال أبو السعود: (وما يعزب عن ربك أي لا يبعد ولا يغيب على علمه الشامل، وفي التعرض لعنوان الربوبية من الإشعار باللطف ما لا يخفى). [٢]

التسلية:

كما في قوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ ...ۚ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ ... ﴿١١٢﴾ ﴾[٣]، قال أبو السعود: (ولو شاء ربك رجوع إلى بيان الشؤون الجارية بينه وبين قومه المفهومة من حكاية ما جرى بين الأنبياء عليهم السلام وبين أممهم، كما ينبئ عنه الالتفات والتعرض لوصف الربوبية مع الإضافة إلى ضميره المعربة عن كمال اللطف في التسلية). [٤]

الحمل على الامتثال:

كما في قوله تعالى: ﴿ قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ... فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلْأُمِّيِّ ..﴿١٥٨﴾ ﴾[٥]، قال أبو السعود: (والفاء في قوله تعالى فآمنوا بالله ورسوله لتفريع الأمر على ما تمهد وتقرر من رسالته، وإيراد نفسه عليه الصلاة والسلام بعنوان الرسالة على طريقة الالتفات إلى الغيبة للمبالغة في إيجاب الامتثال بأمره، ووصف الرسول بقوله النبي الأمي لمدحه عليه الصلاة والسلام بهما ولزيادة تقرير أمره وتحقيق أنه المكتوب في الكتابين). [٦]

---

[1] – يونس: ٦١

[2] – إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم (١٥٧:٤) وانظر (١٦٢:١)

[3] – الأنعام: ١١٢

[4] – إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم (١٧٥:٣)

[5] – الأعراف: ١٥٨

[6] – إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم (٢٨٠:٣) وانظر (١٢٦:٦)

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

التهديد:

كما في قوله تعالى: ﴿ وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ ٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ ﴿٤٦﴾ ﴾[١]، قال أبو السعود: (ثم الله شهيد على ما يفعلون من الأفعال السيئة التي حكيت عنهم، والمراد بالشهادة إما مقتضاها ونتيجتها وهى معاقبته تعالى إياهم وإما إقامتها وأداؤها بإنطاق الجوارح، وإظهار اسم الجلالة لإدخال الروعة وتربية المهابة وتأكيد التهديد).[٢]

التشريف:

كما في قوله تعالى: ﴿ فَإِن كُنتَ فِى شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلِكَ ۚ لَقَدْ جَآءَكَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿٩٤﴾ ﴾[٣]، قال أبو السعود: (لقد جاءك الحق الذي لا محيد عنه ولا ريب في حقيته من ربك، وظهر ذلك بالآيات القاطعة التي لا يحوم حولها شائبة الارتياب، وفي التعرض لعنوان الربوبية مع الإضافة إلى ضميره صلى الله عليه وسلم من التشريف ما لا يخفى).[٤]

تحقيق مضمون الكلام ومعناه:

كما في قوله تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا ٱلسَّمَآءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا ۖ وَهُمْ عَنْ ءَايَـٰتِهَا مُعْرِضُونَ ﴿٣٢﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾[٥]، قال أبو السعود: (وقوله تعالى: "وهو الذي خلق الليل والنهار والشمس والقمر" اللذين هما آيتاهما بيان لبعض تلك الآيات التي هم

1- يونس: ٤٦
2- إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم (٤:١٥٠)
3- يونس: ٩٤
4- إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم (٤:١٧٥) وانظر (٤:١٢٢) (٦:٢١٠)
5- الأنبياء: ٣٢ - ٣٣

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

عنها معرضون بطريق الالتفات الموجب لتأكيد الاعتناء بفحوى الكلام أي هو الذى خلقهن وحده، (كل) أي كل واحد منهما)[١].

وقوله تعالى: ﴿ وَإِذَا بَدَّلْنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مُفْتَرٍۭ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾ ﴾[٢] قال أبو السعود: (وفي الالتفات إلى الغيبة مع إسناد الخبر إلى الاسم الجليل المستجمع للصفات ما لا يخفى من تربية المهابة وتحقيق معنى الاعتراض).[٣]

وقد يكون تحقيق المضمون بما يفيده الالتفات من الإشارة إلى علة الحكم، كما في قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَٰجًا وَذُرِّيَّةً وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴿٣٨﴾ ﴾[٤]، قال أبو السعود: (إلا بإذن الله ومشيئته المبنية على الحكم والمصالح التي عليها يدور أمر الكائنات، لا سيما مثل هذه الأمور العظام، والالتفات لما قدمناه ولتحقيق مضمون الجملة بالإيماء إلى العلة).[٥]

وقوله تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا نَأْتِي ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا وَٱللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِۦ وَهُوَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٤١﴾ ﴾[٦]، قال أبو السعود: (والله يحكم ما يشاء كما يشاء، وقد حكم للإسلام بالعزة والإقبال، وعلى الكفر بالذلة والإدبار، حسبما يشاهد من المخايل والآثار، وفي الالتفات من التكلم إلى الغيبة وبناء الحكم على الاسم الجليل من الدلالة على الفخامة وتربية المهابة وتحقيق مضمون الخبر بالإشارة إلى العلة ما لا يخفى).[٧]

الإشعار بعدم اختصاص الحكم بالمخاطب:

1- إرشاد العقل السليم إلى مزاياَ القرآن الكريم (٦٥:٦)
2- النحل: ١٠١
3- إرشاد العقل السليم إلى مزاياَ القرآن الكريم (١٤٠:٥)
4- الرعد: ٣٨
5- إرشاد العقل السليم إلى مزاياَ القرآن الكريم (٢٦:٥)
6- الرعد: ٤١
7- إرشاد العقل السليم إلى مزاياَ القرآن الكريم (٢٧:٥)

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كما في قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُم بِأَيَّامِ اللَّهِ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٥﴾ ﴾[١] قال أبو السعود: (والالتفات من التكلم إلى الغيبة بإضافة الأيام إلى الاسم الجليل؛ للإيذان بفخامة شأنها والإشعار بعدم اختصاص ما فيها من المعاملة بالمخاطب وقومه كما توهمه الإضافة إلى ضمير المتكلم، أي عظهم بالترغيب والترهيب والوعد والوعيد). [٢]

التدرج في التبلغ إلى الكمال:

كما في قوله تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ ۖ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ ۚ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلًا ﴿١٢﴾ ﴾ [٣] ، قال أبو السعود: (وفي التعبير عن الرزق بالفضل وعن الكسب بالابتغاء والتعرض لصفة الربوبية المنبئة عن التبليغ إلى الكمال شيئاً فشيئاً دلالة على أن ليس للعبد في تحصيل الرزق تأثير سوى الطلب وإنما الإعطاء إلى الله سبحانه لا بطريق الوجوب عليه بل تفضلا بحكم الربوبية).[٤]

وقوله تعالى: ﴿ أَأُنزِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِن بَيْنِنَا ۚ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِّن ذِكْرِي ۖ بَل لَّمَّا يَذُوقُوا عَذَابِ ﴿٨﴾ أَمْ عِندَهُمْ خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ الْعَزِيزِ الْوَهَّابِ ﴿٩﴾ ﴾ [٥]، قال أبو السعود: (وفي إضافة اسم الرب المنبئ عن التربية والتبليغ إلى الكمال إلى ضميره من تشريفه واللطف به ما لا يخفى).[٦]

التفخيم:

---

[1]– إبراهيم: ٥
[2]– إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم (٣٣:٥)
[3]– الإسراء: ١٢
[4]– إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم (١٥٩:٥)
[5]– ص: ٨ – ٩
[6]– إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم (١٨٥:٧)

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كما في قوله تعالى: ﴿ مَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ لِتَشۡقَىٰٓ ۝٢ إِلَّا تَذۡكِرَةٗ لِّمَن يَخۡشَىٰ ۝٣ تَنزِيلٗا مِّمَّنۡ خَلَقَ ٱلۡأَرۡضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلۡعُلَى ۝٤ ﴾[١] ، قال أبو السعود: (ونسبة التنزيل إلى الموصول بطريق الالتفات إلى الغيبة بعد نسبته إلى نون العظمة لبيان فخامته تعالى بحسب الأفعال والصفات إثر بيانها بحسب الذات بطريق الإبهام ثم التفسير، لزيادة تحقيق وتقرير وتخصيص خلقهما بالذكر، مع أن المراد خلقهما بجميع ما يتعلق بهما كما يفصح عنه قوله تعالى "له ما في السموات وما في الأرض" –الآية– لأصالتهما واستتباعهما لما عداهما). [٢]

وقوله تعالى: ﴿ ..كَذَٰلِكَ كِدۡنَا لِيُوسُفَۖ ... إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ .. ۝٧٦ ﴾[٣] ، قال أبو السعود : (والالتفات إلى الغيبة من الدلالة على فخامة شأنه عز وعلا وجلالة مقدار علمه المحيط ما لا يخفى). [٤]

الترغيب:

كما في قوله تعالى: ﴿ قُلۡ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَۖ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّمَا عَلَيۡهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيۡكُم مَّا حُمِّلۡتُمۡۖ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهۡتَدُواْۚ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ۝٥٤ ﴾[٥]، قال أبو السعود: (وقوله تعالى "فإن تولوا": خطاب للمأمورين بالطاعة من جهته تعالى وارد لتأكيد الأمر بها والمبالغة في إيجاب الامتثال به والحمل عليه بالترهيب والترغيب، لما أن تغيير الكلام المسوق لمعنى من المعاني وصرفه عن سننه المسلوك ينبئ عن اهتمام جديد بشأنه من المتكلم، ويستجلب مزيد رغبة فيه من السامع كما أشير إليه في تفسير قوله تعالى: "ولو جئناً بمثله مددا"، لا سيما إذا كان ذلك بتغيير الخطاب بالواسطة إلى الخطاب بالذات، فإن في خطابه تعالى إياهم بالذات بعد أمره تعالى إياهم بوساطته صلى الله عليه وسلم وتصديه لبيان حكم الامتثال بالأمر والتولي

1– طه: ٢ – ٤
2– إرشاد العقل السليم إلى مزاياً القرآن الكريم (٣:٦)
3– يوسف: ٧٦
4– إرشاد العقل السليم إلى مزاياً القرآن الكريم (٢٩٦:٤)
5– النور: ٥٤

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

عنه إجمالا وتفصيلا من إفادة ما ذكر من التأكيد والمبالغة ما لا غاية وراءه، وتَوهم أنه داخل تحت القول المأمور بحكايته من جهته تعالى وأنه أبلغ في التبكيت تعكيس للأمر). [١]

القصد إلى بيان ما في الكلام:

كما في قولـــه تعـــالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ .. ﴿٧﴾ لِّيَسْأَلَ الصَّادِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ وَأَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٨﴾﴾[٢] ، قال أبو السعود: (وقوله تعالى ليسأل الصادقين عن صدقهم متعلق بمضمر مستأنف مسوق لبيان ما هو داع الى ما ذكر من أخذ الميثاق وغايـــة لـــه، لا بأخذنا، فإن المقصود تذكير نفس الميثاق ثم بيان الغرض منه بياناً قصدياً كما ينبئ عنه تغيير الأسلوب بالالتفات إلى الغيبة، أي فعل الله ذلك ليسأل يوم القيامة الأنبياء، ووضع الصادقين موضع ضميرهم للإيذان من أول الأمر بأنهم صادقون فيما سئلوا عنه).[٣]

وقوله تعـــالى: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالْأَحْزَابُ مِن بَعْدِهِمْ ۖ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ ۖ وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ ۖ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴿٥﴾ وَكَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ أَصْحَابُ النَّارِ ﴿٦﴾﴾[٤] ، قال أبو السعود: (فكيف كان عقاب الذي عـــاقبتهم به، فإن آثار دمارهم عبرة للناظرين، ولآخذن هؤلاء أيضاً لاتحادهم في الطريقة واشـــتراكهم في الجريرة كما ينبئ عنه قوله تعالى: "وكذلك حقت كلمة ربك"، أي كما وجب وثبت حكمـــه تعالى وقضاؤه بالتعذيب على أولئك الامم المكذبة المتحزبة على رســـلهم المجادلـــة بالباطـــل لإدحاض الحق به، وجب أيضاً على الذين كفروا؛ أي كفروا بك وتحزبوا عليك وهموا بما لم ينالوا، كما ينبئ عنه إضافة اسم الرب إلى ضميره فإن ذلك للإشعار بأن وجوب كلمة العذاب

1- إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم (١٨٩:٦)
2- الأحزاب: ٦ – ٨
3- إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم (٩١:٧)
4- غافر: ٥ – ٦

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

عليهم من أحكام تربيته التي من جملتها نصرته وتعذيب أعدائه وذلك إنما يتحقق بكون الموصول عبارة عن كفار قومه لا عن الأمم المهلكة). [١]

وقوله تعالى: ﴿أَمْرًا مِّنْ عِندِنَآ إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ۝٥ رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ۝٦﴾[٢]، قال أبو السعود: (ووضع الرب موضع الضمير للإيذان بأن ذلك من أحكام الربوبية ومقتضياتها، وإضافتة إلى ضميره عليه الصلاة والسلام لتشريفه أو تعليل ليفرق أو لقوله تعالى أمراً). [٣]

وذهب بعضهم إلى أن غرض الالتفات هنا التتميم، وهو التتميم لمعنى مقصود للمتكلم، فيؤتى به محافظة على تتميم ما قصد إليه من المعنى المطلوب له[٤]، قال الزركشي: (أصل الكلام (إنا مرسلين رحمة منا) ولكنه وضع الظاهر موضع المضمر، للإنذار بأن الربوبية تقتضى الرحمة للمربوبين، للقدرة عليهم، أو لتخصيص النبي – صلى الله عليه وسلم – بالذكر أو الإشارة إلى أن الكتاب إنما هو إليه دون غيره، ثم التفت بإعادة الضمير إلى الرب الموضوع موضع المضمر، للمعنى المقصود من تتميم المعنى"[٥].

ورأى ابن الأثير أن غرض الالتفات هنا التخصيص، حيث قال: (تخصيص النبي صلى الله عليه وسلم بالذكر والإشارة بأن إنزال الكتاب إنما هو إليه، وإن لم يكن ذلك صريحاً لكن مفهوم الكلام يدل عليه)[٦].

الإنباء عن اختصاص كل صفة من صفاته بفعل من أفعاله:

كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝١ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ۝٢﴾ [٧]، قال أبو السعود: (والالتفات الى اسم الذات المستتبع

[1]- إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم (٢٦٦:٧)
[2]- الدخان: ٥ - ٦
[3]- إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم (٥٩:٨)
4- البرهان (٣: ٣٢٨)
5- البرهان (٣: ٣٢٩) .
6- المثل السائر، ج٢، ص١٧٨.
[7]- الفتح: ١ - ٢

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لجميع الصفات للإشعار بأن كل واحد مما انتظم في سلك الغاية من أفعاله تعالى صادر عنه تعالى من حيثية غير حيثية الآخر مترتبة على صفة من صفاته تعالى). [١]

وقوله تعالى: ﴿ سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ﴿٦﴾ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۚ إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ وَمَا يَخْفَىٰ ﴿٧﴾ ﴾ [٢]، قال أبو السعود: (والالتفات الى الاسم الجليل لتربية المهابة والإيذان بدوران المشيئة على عنوان الألوهية المستتبعة لسائر الصفات). [٣]

وقوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ۖ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٤﴾ ﴾[٤] ، قال أبو السعود: (والالتفات بإسناد الفعلين إلى الاسم الجليل المنطوي على الصفات لتفخيم شأنهما وترشيح مناط كل منهما). [٥]

التسخيف:

كما في قوله تعالى: ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾[٦] ، قال أبو السعود :(فوجه الالتفات الإيذان بكمال سخافة عقولهم حيث آثروا على عبادة من له الألوهية الجامعة لجميع صفات الكمال ما لا أحقر منه).[٧]

التوصل به إلى أمر آخر، مثل:

1- إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم (١٠٣:٨)
2- الأعلى: ٦ - ٧
3- إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم (١٤٤:٩)
4- إبراهيم: ٤
5- إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم (٣٢:٥) وانظر (١٨٢:١)
6- البقرة: ٢٣
7- إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم (٦٣:١)

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- تغيير المسند إليه بالأفعال اللاحقة:

كما في قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَٱقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٤﴾ ﴾[١]،

قال أبو السعود: ("فتاب عليكم": عطف على محذوف على أنه خطاب منه سبحانه على نهج الالتفات من التكلم –الذي يقتضيه سباق النظم الكريم وسياقه، فإن مبنى الجميع على التكلم– إلى الغيبة ليكون ذريعة إلى إسناد الفعل إلى ضمير بارئكم المستتبع للإيذان بعلية عنوان البارئية والخلق والإحياء، لقبول التوبة التي هي عبارة عن العفو عن القتل). [٢]

- التمهيد لأسلوب جديد كالاستفهام:

كما في قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ نَتَقْنَا ٱلْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُۥ ظُلَّةٌ ... ﴿١٧١﴾ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ ... ﴿١٧٢﴾ ﴾[٣]، قال أبو السعود: (وإيثار الأخذ على الإخراج للإيذان بالاعتناء بشأن المأخوذ لما فيه من الإنباء عن الاجتناء والاصطفاء، وهو السبب في إسناده إلى اسم الرب بطريق الالتفات مع ما فيه من التمهيد للاستفهام الآتي، وإضافته إلى ضميره للتشريف). [٤]

الإشارة إلى مسألة نحوية:

كما في قوله تعالى: ﴿ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَٰهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ۚ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾ ﴾[٥]، قال أبو السعود: ("إنا أوحينا إليك": عطف القصة على القصة لا على آتينا وما عطف عليه، وإما حال بتقدير قد كما ينبئ عنه تغيير الأسلوب بالالتفات، والمعنى: إن التكليم بغير واسطة منتهى مراتب الوحي، خص به موسى من بينهم فلم يكن ذلك قادحاً في نبوة سائر الأنبياء عليهم السلام، فكيف يتوهم كون نزول التوراة عليه

1– البقرة: ٥٤

2– إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم (١٠٢:١)

3– الأعراف: ١٧١ – ١٧٢

4– إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم (٢٨٩:٣)

5– النساء: ١٦٤

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

عليه السلام جملة قادحاً في صحة نبوة من أنزل عليه الكتاب مفصلاً مع ظهـور أن نزولها كذلك) (١)

استعظام الأمر:

كما في قوله تعالى: ﴿ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾(٢) ، قال أبو السعود: (والالتفات إلى الاسم الجليل لتربية المهابة واستعظام ما أقدموا عليه من جحود آياته تعالى). (٣)

الجري على سنن الكبرياء:

كما في قوله تعـالى: ﴿ وَعُرِضُوا۟ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍۭ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا ﴿٤٨﴾ ﴾ (٤)، قال أبو السعود: ("وعرضوا على ربك": شبهت حالهم بحـال جنـد عرضوا على السلطان ليأمر فيهم بما يأمر، وفي الالتفات إلى الغيبة وبناء الفعل للمفعول مـع التعرض لعنوان الربوبية والإضافة إلى ضميره صلى الله عليه وسـلم مـن تربيـة المهابـة والجري على سنن الكبرياء وإظهار اللطف به صلى الله عليه وسلم ما لا يخفى). (٥)

التأكيد على استقلال الاعتراض في الكلام:

---

[1]- إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم (٢:٢٥٦)
[2]- الأنعام: ٣٣
[3]- إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم (٣:١٢٦)
[4]- الكهف: ٤٨
[5]- إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم (٥:٢٢٥)

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كما في قوله تعالى: ﴿ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ عُدۡوَٰنٗا وَظُلۡمٗا فَسَوۡفَ نُصۡلِيهِ نَارٗاۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿٣٠﴾ ﴾ (١) ، قال أبو السعود: ("على الله يسيراً": لتحقق الداعي وعدم الصارف وإظهار الاسم الجليل بطريق الالتفات لتربية المهابة وتأكيد استقلال الاعتراض التذييلي). (٢)

و قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ ءَامِنُواْ بِمَا نَزَّلۡنَا مُصَدِّقٗا لِّمَا مَعَكُم مِّن قَبۡلِ أَن نَّطۡمِسَ وُجُوهٗا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰٓ أَدۡبَارِهَآ أَوۡ نَلۡعَنَهُمۡ كَمَا لَعَنَّآ أَصۡحَٰبَ ٱلسَّبۡتِۚ وَكَانَ أَمۡرُ ٱللَّهِ مَفۡعُولًا ﴿٤٧﴾ ﴾ (٣)، قال أبو السعود: (فالجملة اعتراض تذييلي مقرر لما سبق ووضع الاسم الجليل موضع الضمير بطريق الالتفات لتربية المهابة وتعليل الحكم وتقوية ما في الاعتراض من الاستقلال). (٤)

وقوله تعالى: ﴿ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلۡنَاۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ﴿٨﴾ ﴾ (٥)، قال أبو السعود: (والله بما تعملون من الامتثال بالأمر وعدمه خبير فمجاز لكم عليه والجملة اعتراض تذييلي مقرر لما قبله من الأمر موجب للإمتثال به بالوعد والوعيد والالتفات إلى الاسم الجليل لتربية المهابة وتأكيداً لاستقلال الجملة)(٦).

1- النساء: ٣٠

2- إرشاد العقل السليم إلى مزاياً القرآن الكريم (١٧٠:٢)

3- النساء: ٤٧ – ٤٨

4- إرشاد العقل السليم إلى مزاياً القرآن الكريم (١٨٧:٢)

5- التغابن: ٨

6- إرشاد العقل السليم إلى مزاياً القرآن الكريم (٢٥٧:٨)

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أغراض الالتفات من الغيبة إلى التكلم:

المبالغة في الوعيد:

كما في قوله تعالى: ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم ۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا۟ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۗ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٨٠﴾ ﴾ [١]،

قال أبو السعود: ("والله بما تعملون": من المنع والبخل، "خبير": فيجازيكم على ذلك، وإظهار الاسم الجليل في موضع الإضمار لتربية المهابة والالتفات للمبالغة في الوعيد والإشعار باشتداد غضب الرحمن الناشئ من ذكر قبائحهم)"[٢].

وقوله تعالى: ﴿ وَلَوْ يُعَجِّلُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ ٱلشَّرَّ ٱسْتِعْجَالَهُم بِٱلْخَيْرِ لَقُضِىَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ ۖ فَنَذَرُ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا فِى طُغْيَـٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١١﴾ ﴾ [٣]، قال أبو السعود: (فنذر الذين لا يرجون لقاءنا؛ بنون العظمة الدالة على التشديد في الوعيد). [٤]

قصد الدلالة على الاختصاص:

كما في قوله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَـٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَـٰهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ ﴾ [٥]، قال الزركشي: (فإنه لما كان سوق السحاب إلى البلد الميت، وإحياء الأرض بعد موتها بالمطر دالا على القدرة الباهرة التي لا يقدر عليها غيره، عدل عن لفظ الغيبة إلى التكلم، لأنه أدخل في الاختصاص، وأدل عليه)[٦].

1- آل عمران: ١٨٠

2- إرشاد العقل السليم إلى مزاياً القرآن الكريم (٢:١٢١)

3- يونس: ١١

4- إرشاد العقل السليم إلى مزاياً القرآن الكريم (٤:١٢٤)

5- فاطر، ٩.

6- البرهان في علوم القرآن (٣: ٣٢٠).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

التشريف:

كما في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَكُم بُرۡهَٰنٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ نُورٗا مُّبِينٗا ١٧٤ ﴾[١]، قال أبو السعود: (وإسناد إنزاله إليه تعالى بطريق الالتفات لكمال تشريفه -هذا على تقدير كون البرهان عبارة عن القرآن العظيم).[٢]

وقوله تعالى: ﴿ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَۚ فَإِن تَوَلَّيۡتُمۡ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ١٢ ﴾[٣]، وقال أبو السعود: (وإظهار الرسول مضافاً الى نون العظمة في مقام إضماره لتشريفه عليه الصلاة والسلام، والإشعار بمدار الحكم الذي هو كون وظيفته عليه الصلاة والسلام محض البلاغ ولزيادة تشنيع التولي عنه).[٤]

قصد الاهتمام:

ومنها قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِيَ دُخَانٞ فَقَالَ لَهَا وَلِلۡأَرۡضِ ٱئۡتِيَا طَوۡعًا أَوۡ كَرۡهٗا قَالَتَآ أَتَيۡنَا طَآئِعِينَ ١١ فَقَضَىٰهُنَّ سَبۡعَ سَمَٰوَاتٖ فِي يَوۡمَيۡنِ وَأَوۡحَىٰ فِي كُلِّ سَمَآءٍ أَمۡرَهَاۚ وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنۡيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفۡظٗاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ١٢ ﴾[٥]،ويوضح ابن الأثير الباعث على هذا الالتفات بقوله (والفائدة من ذلك أن طائفة من الناس غير المتشرعين يعتقدون أن النجوم ليست في سماء الدنيا، وأنها ليست حفظاً ولا رجوماً، فلما صار الكلام إلى ها هنا عدل به عن خطاب الغائب إلى خطاب النفس لأنه مهم من مهمات الاعتقاد، وفيه تكذيب للفرقة المكذبة المعتقدة بطلانه، وفي خلاف هذا الرجوع عن خطاب النفس إلى خطاب الغيبة"[٦]، ونقل ذلك عنه الزركشي، قال: "فعدل عن الغيبة في (قضاهن) و (وأوحى) إلى التكلم في (وزينا السماء الدنيا) للاهتمام بالإخبار عن نفسه، فإنه تعالى جعل الكواكب في سماء الدنيا للزينة والحفظ،

1- النساء: ١٧٤

2- إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم (٢:٢٦٢)

3- التغابن: ١٢

4- إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم (٨:٢٥٨)

5- فصلت، ١١-١٢.

6- المثل السائر، ج٢، ص١٧٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وذلك لأن طائفة اعتقدت في النجوم أنها ليست في سماء الدنيا، وأنهـا ليـست حفظـاً ولا رجوما، فعدل إلى التكلم، والإخبار عن ذلك، لكونه مهما من مهمات الاعتقـاد، ولتكـذيب الفرقة المعتقدة بطلانه[١].

الجري على سنن الكبرياء:

كما في قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ ٱثْنَىْ عَشَرَ نَقِيبًا ۖ ..﴿١٢﴾ ﴾[٢]، قال أبو السعود: (والالتفات في قوله تعالى: (وبعثنا منهم اثنى عشر نقيباً) للجري على سنن الكبرياء، أو لأن البعث كان بواسطة موسى عليه السلام).[٣]

وقوله تعالى: ﴿ سَنُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ بِمَآ أَشْرَكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا ۖ وَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ۚ وَبِئْسَ مَثْوَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٥١﴾ ﴾[٤]، قال أبو السعود: (سنلقي بنـون العظمة على طريقة الالتفات جرياً على سنن الكبرياء لتربية المهابة).[٥]

كمال العناية:

كما في قوله تعـالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَىْءٍ ..﴿٩٩﴾ ﴾[٦]، قال أبو السعود: ("فأخرجنا به" التفت إلى التكلم إظهاراً لكمال العناية بشأن ما أُنزل الماء لأجله).[٧]

وقولـه تعـالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ ۚ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً طَهُورًا ﴿٤٨﴾ ﴾[١]، وقال أبو السعود: (والالتفات إلى نون العظمة في قوله تعالى وأنزلناً مـن الـسماء

1- البرهان (٣: ٣٣٠).
2- المائدة: ١٢
3- إرشاد العقل السليم إلى مزاياً القرآن الكريم (١٤:٣)
4- آل عمران: ١٥١
5- إرشاد العقل السليم إلى مزاياً القرآن الكريم (٩٨:٢) وانظر (٢٥٦:٥)
6- الأنعام: ٩٩
7- إرشاد العقل السليم إلى مزاياً القرآن الكريم (١٦٦:٣)

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ماء طهوراً لإبراز كمال العناية بالإنزال، لأنه نتيجة ما ذكر من إرسال الرياح، أي أنزلنا بعظمتنا بما رتبنا من إرسال الرياح من جهة الفوق ماء بليغاً في الطهارة)(٢).

التهويل:

كما في قوله تعالى: ﴿ كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ وَكُلٌّ كَانُوا ظَٰلِمِينَ ﴿٥٤﴾ ﴾(٣)، قال أبو السعود: (والالتفات إلى نون العظمة في أهلكنا جرياً على سنن الكبرياء لتهويل الخطب)(٤).

وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ فِى ٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَّقُونَ ﴿٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا ...﴿٧﴾ ﴾(٥)، قال أبو السعود: ("إن الذين لا يرجون لقاءنا": بيان لمآل أمر من كفر بالبعث وأعرض عن البينات الدالة عليه بعد تحقيق أن مرجع الكل إليه تعالى، وأنه يعيدهم بعد بدئهم للجزاء ثواباً وعقاباً، وتفصيل بعض الآيات الشاهدة بذلك، والمراد بلقائه إما الرجوع إليه تعالى بالبعث، أو لقاء الحساب كما في قوله عز وعلا: "إني ظننت أني ملاق حسابيه"، وأياً ما كان ففيه مع الالتفات إلى ضمير الجلالة من تهويل الأمر ما لا يخفى).(٦)

الترهيب:

كما في قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓا إِلَٰهَيْنِ ٱثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَإِيَّٰىَ فَٱرْهَبُونِ ﴿٥١﴾ ﴾(٧)، قال أبو السعود: (وفيه التفات من التكلم إلى الغيبة على رأى من اكتفى في تحقق

1- الفرقان: ٤٨

2- إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم (٦:٢٢٣) وانظر التفسير (٥:١٩٦) و(٧:٧٠) و(٧:١٥٠) و(٨:٥) و(٨:٢٥) و(٨:٤١) و(٨:٢٥٧)

3- الأنفال: ٥٤

4- إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم (٤:٢٩)

5- يونس: ٦ - ٧

6- إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم (٤:١٢١)

7- النحل: ٥١

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الالتفات بكون الأسلوب الملتفت عنه حق الكلام ولم يشترط سبق الذكر على ذلك الوجه، فإياي فارهبون: التفات من الغيبة إلى التكلم لتربية المهابة وإلقاء الرهبة في القلوب ولذلك قدم وكرر الفعل).[١]

وهو قريب مما قرره الزمخشري، قال الزمخشري: (وهو أبلغ في الترهيب من قوله: وإياه فارهبوه، ومن أن يجيء ما قبله على لفظ المتكلم)[٢].

الإشعار باختلاف أحوال في الكلام:

كما في قوله تعالى: ﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَّمْلُوكًا لَّا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَمَن رَّزَقْنَٰهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوُۥنَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ ﴾[٣]، قال أبو السعود: (والالتفات إلى التكلم للإشعار باختلاف حالي ضرب المثل والرزق).[٤]

التعظيم والتفخيم:

كما في قوله تعالى: ﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١﴾ ﴾[٥]، قال أبو السعود: (والالتفات إلى التكلم لتعظيم تلك البركات والآيات).[٦]

وقوله تعالى: ﴿ شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ ٱجْتَبَٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٢١﴾ وَءَاتَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٢٢﴾ ﴾[٧]، قال أبو السعود : (والالتفات إلى التكلم لإظهار كمال الاعتناء بشأنه وتفخيم مكانه عليه الصلاة والسلام).[٨]

1- إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم (١١٩:٥)
2- الكشاف، ج٢، ص ٦١٠.
3- النحل: ٧٥
4- إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم (١٢٩:٥) وانظر (١٨٢:١)
5- الإسراء: ١
6- إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم (١٥٤:٥)
7- النحل: ١٢١ - ١٢٢
8- إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم (١٤٩:٥)

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقوله تعالى: ﴿ قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَىَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴿٢١﴾ ﴾[١] ، قال أبو السعود: (والالتفات إلى نون العظمة لإظهار كمال الجلالة)[٢]

الإشعار بعلية الحكم:

كما في قوله تعالى: ﴿ نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِٱلْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى ﴿١٣﴾ ﴾[٣] ، قال أبو السعود: (أوثر الالتفات للإشعار بعلية وصف الربوبية لإيمانهم ولمراعاة ما صدر عنهم من المقالة حسبما سيحكى عنهم).[٤]

وقوله تعالى: ﴿ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٢﴾ ﴾[٥]، قال أبو السعود: (وإظهار الرسول مضافاً إلى نون العظمة في مقام إضماره لتشريفه عليه الصلاة والسلام والإشعار بمدار الحكم الذي هو كون وظيفته عليه الصلاة والسلام محض البلاغ ولزيادة تشنيع التولي عنه).[٦]

الدلالة على كمال القدرة:

كما في قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ ﴿٥٣﴾ ﴾[٧]، قال أبو السعود: (فأخرجنا به أي بذلك الماء، وهو عطف على "أنزل" داخل تحت الحكاية، وإنما التفت إلى التكلم للتنبيه على ظهور ما فيه من

1- مريم: ٢١
2- إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم (٢٦٠:٥)
3- الكهف: ١٣
4- إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم (٢٠٩:٥)
5- التغابن: ١٢
6- إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم (٢٥٨:٨) وانظر (٢٣٥:٨)
7- طه: ٥٣

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الدلالة على كمال القدرة والحكمة، والإيذان بأنه لا يتأتى إلا من قادر مطاع عظيم الشأن تنقاد لأمره وتذعن لمشيئته الأشياء المختلفة).(١)

وقوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ وَلَوْ شَآءَ لَجَعَلَهُۥ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا ٱلشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا ﴿٤٥﴾ ﴾(٢) ، وقال أبو السعود: (والالتفات إلى نون العظمة لما في الجعل المذكور العاري عن التأثير، مع ما يشاهد بين الشمس والظل من الدوران المطرد المنبىء عن السببية، من مزيد دلالة على عظم القدرة ودقة الحكمة، وهو السر في إيراد كلمة التراخي).(٣)

الاختصاص بالمتكلم:

كما في قوله تعالى: ﴿ أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُوا۟ شَجَرَهَآ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴿٦٠﴾ ﴾(٤)، قال أبو السعود: (والالتفات إلى التكلم في قوله تعالى فأنبتنا لتأكيد اختصاص الفعل بذاته تعالى والإيذان بأن إنبات تلك الحدائق المختلفة الأصناف والأوصاف والألوان والطعوم والروائح والأشكال مع ما لها من الحسن البارع والبهاء الرائع بماء واحد مما لا يكاد يقدر عليه إلا هو وحده حسبما ينبئ عنه تقييدها بقوله تعالى ما كان لكم).(٥)

تربية المهابة وإدخال الروعة:

1- إرشاد العقل السليم إلى مزاياً القرآن الكريم (٢١:٦)
2- الفرقان: ٤٥
3- إرشاد العقل السليم إلى مزاياً القرآن الكريم (٢٢٢:٦)
4- النمل: ٦٠
5- إرشاد العقل السليم إلى مزاياً القرآن الكريم (٢٩٣:٦) وانظر (١٤٥:٧)

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كما في قوله تعـالى: ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِىٓ أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِنَا ۚ وَمَا كُنَّا مُهْلِكِى ٱلْقُرَىٰٓ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَـٰلِمُونَ ﴿٥٩﴾ ﴾[1]، قال أبو السعود: (والالتفات إلى نون العظمة لتربية المهابة وإدخال الروعة).[2]

التشنيع:

كما في قولـه تعـالى: ﴿ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ ۚ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَـٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٢﴾ ﴾[3]، قال أبو السعود: (وإظهار الرسول مضافاً إلى نون العظمة في مقام إضماره لتشريفه عليه الصلاة والسلام والإشعار بمدار الحكم الذى هو كون وظيفته عليه الصلاة والسلام محض البلاغ ولزيادة تشنيع التولى عنه).[4]

تأكيد الاستقلال بالحكم:

كما في قولـه تعـالى: ﴿ قَالَ يَـٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ ۖ ... ﴿٣٣﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾[5]، قال أبو السعود: (والالتفات إلى التكلم لإظهار الجلالة وتربية المهابة مع ما فيه من تأكيد الاستقلال، وكذا إظهار الملائكة في موضع الإضمار).[6]

بيان أهمية المتحدث عنه:

كما في قولـه تعـالى: ﴿ مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ ۚ وَأَرْسَلْنَـٰكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿٧٩﴾ ﴾[7]، قال أبو السعود: (ما أصابك من حسنة إلخ بيان للجواب المجمل

1- القصص: ٥٩
2- إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم (٢٠:٧) وانظر (١١٤:١)
3- التغابن: ١٢
4- إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم (٢٥٨:٨)
5- البقرة: ٣٣ - ٣٤
6- إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم (٨٧:١)
7- النساء: ٧٩

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المأمور به وإجراؤه على لسان النبي، ثم سوق البيان من جهته عز وجل بطريق تلوين الخطاب وتوجيهه إلى كل واحد من الناس، والالتفات لمزيد الاعتناء به والاهتمام برد مقالتهم الباطلة والإيذان بأن مضمونه مبنى على حكمة دقيقة حقيقية بأن يتولى بيانها علام الغيوب).[١]

تقرير المتحدث عنه وتحقيقه:

كما في قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ ...ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾ ثُمَّ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ ... ﴿١٥٤﴾﴾[٢]، قال أبو السعود: (ثم آتينا موسى الكتاب: كلام مسوق من جهته تعالى؛ تقريراً للوصية وتحقيقاً لها وتمهيداً لما يعقبه من ذكر إنزال القرآن المجيد، كما ينبئ عنه تغيير الأسلوب بالالتفات إلى التكلم، معطوف على مقدر يقتضيه المقام ويستدعيه النظام). [٣]

التمهيد لما يعقبه من كلام:

كما في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ خَلَقۡنَٰكُمۡ ثُمَّ صَوَّرۡنَٰكُمۡ ثُمَّ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ لَمۡ يَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿١١﴾ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسۡجُدَ إِذۡ أَمَرۡتُكَۖ قَالَ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ وَخَلَقۡتَهُۥ مِن طِينٖ ﴿١٢﴾﴾[٤]، قال أبو السعود: ((قال ما منعك) استئناف مسوق للجواب عن سؤال نشأ من حكاية عدم سجوده، كأنه قيل: فماذا قال الله تعالى حينئذ؟، وبه يظهر وجه الالتفات إلى الغيبة، إذ لا وجه لتقدير السؤال على وجه المخاطبة، وفيه فائدة أخرى؛ هي الإشعار بعدم تعلق المحكي بالمخاطبين كما في حكاية الخلق والتصوير)[٥].

1– إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم (٢٠٥:٢)
2– الأنعام: ١٥٣ – ١٥٤
3– إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم (٢٠٠:٣)
4– الأعراف: ١٢
5– إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم (٢١٦:٣)

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أغراض الانتقال من التكلم إلى الخطاب:

لم يظفر الباحث بغير موضع واحد لمثل هذا النوع من الالتفات، وهو عند قول الحق تعالى ذكره: ﴿ وَمَا لِيَ لَآ أَعۡبُدُ ٱلَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ۝٢٢ ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً إِن يُرِدۡنِ ٱلرَّحۡمَٰنُ بِضُرّٖ لَّا تُغۡنِ عَنِّي شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـٔٗا وَلَا يُنقِذُونِ ۝٢٣ ﴾[١] .

قال أبو السعود في تفسيره لهذه الآية: ("وما لي لا أعبد الذي فطرني": تلطف في الإرشاد بإيراده في معرض المناصحة لنفسه وإمحاض النصح، حيث أراهم أنه اختار لهم ما يختار لنفسه، والمراد تقريعهم على ترك عبادة خالقهم إلى عبادة غيره كما ينبئ عنه قوله واليه ترجعون مبالغة في التهديد) [٢].

ومنه تقف على أغراض هذا النوع من الالتفات، وهي عنده:

١. التلطف في الخطاب.
٢. التقريع.
٣. التهديد.

وذهب بعضهم إلى أن باعث هذا الالتفات التنبيه على ما حق الكلام أن يكون وارداً عليه، قال الزركشي: (أصل الكلام (وما لكم لا تعبدون الذي فطركم) ولكنه أبرز الكلام في معرض المناصحة لنفسه، وهو يريد مناصحتهم، ليتلطف بهم، ويريهم أنه لا يريد لهم إلا ما يريد لنفسه، ثم لما انقضى غرضه من ذلك، قال: (وإليه ترجعون) ليدل على ما كان من أصل الكلام، ومقتضياً له، ثم ساقه هذا المساق إلى أن قال: ﴿ إِنِّيٓ ءَامَنتُ بِرَبِّكُمۡ فَٱسۡمَعُونِ ۝٢٥ ﴾ [٣])[٤].

وذهب ابن الأثير إلى أن غرض الالتفات هنا المناصحة والملاطفة، وهو قريب من كلام الزركشي في الموضع السابق، قال ابن الأثير: "وإنما صرف الكلام عن خطاب نفسه

1- يس: ٢٢ - ٢٣
2- إرشاد العقل السليم إلى مزاياَ القرآن الكريم (٧: ١٦٤)
3- سورة يس ٢٥.
4- البرهان في علوم القرآن (٣: ٣٢٨ - ٣٢٩).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إلى خطابهم، لأنه أبرز الكلام لهم في معرض المناصحة، وهو يريد مناصحتهم ليتلطف بهم ويداريهم، لأن ذلك أدخل في إمحاض النصح حيث لا يريد لهم إلا ما يريد لنفسه، وقد وضع قوله تعالى: (ومالي لا أعبد الذي فطرني) مكان قوله (ومالكم لا تعبدون الذي فطركم)، ألا ترى إلى قوله (وإليه ترجعون) ولولا أنه قصد ذلك لقال: الذي فطرني وإليه أرجع"[١]، ونقل ذلك عنه ابن القيم في الفوائد[٢].

وذهب السيوطي إلى أن غرض الالتفات في الآية السابقة التنبيه، قال السيوطي: (إنما عدل عن (وإليه أرجع) إلى (وإليه ترجعون) لأنه داخل فيهم، وقد أفاد فائدة حسنة، وهي تنبيههم على أنه مثلهم في وجوب عبادة من إليه الرجوع)[٣]، وتبعه في ذلك ابن معصوم[٤].

وأما عكس هذا النوع من الالتفات، فلم يقف الباحث له على موضع واحد من الذكر الحكيم، أو في كلام أبي السعود ليتعرف من خلاله على أغراض الالتفات عنده[٥].

هذا شيء مما ذُكر للالتفات من الأغراض، ولعلها أوسع من أن توضع بين دفتي كتاب، إلا أن ما لا يدرك كله لا يترك جله.

1- المثل السائر، ج٢، ص١٧٧. وابن الأثير، ضياء الدين، الجامع الكبير، مطبعة المجمع العلمي العراقي، ١٩٥٦م ، ص١٠٢.

2- ابن القيم، شمس الدين ابن عبد الله، الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان، ط١، مطبعة السعادة، مصر، ١٣٢٧هـ ، ص١٠٢.

3- السيوطي، جلال الدين بن عبد الرحمن، معترك الأقران، دار الفكر العربي، القاهرة ١٩٦٩م ، ج١، ص ٣٧٨.

4- أنوار الربيع، ج١، ص٧٦.

5- رجع الباحث إلى كتب المحدثين ليرى ما لهم من أمثلة لهذا النوع من الالتفات، فلم يجد سوى ما مثل به، وكلهم لجأ إلى الشعر عند حديثه عن هذا النوع من الالتفات.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

خلاصة في الأغراض:

ومما سبق من العرض للأغراض والمواضع يُعرف ما يلي:

١. تشترك كل المواضع بالأغراض العامة، ويختص كل منها بلطائف.

٢. قد يكون للالتفات في الموضع الواحد أغراض عدة.

٣. مدار إدراك الأغراض مرده إلى الذوق، وأي ذوق، إنما هو الذوق السليم لمن وقف على أسرار اللغة والنحو والبلاغة.

٤. بعض الأغراض قد تكون مشتركة بين مختلف أنواع الالتفات.

٥. قد يتفق العلماء على غرض معين لبعض المواضع.

٦. قد يتباين قول العلماء في أغراض الالتفات عند موضع من المواضع.

٧. كان لأبي السعود دور ملموس وواضح في التنقيب عن أغراض خاصة مما لم يقف عليه سابقوه، وقد خصص لاستدراكاته موضع خاص من هذه الرسالة.

٨. لا زال الأمر متاحاً للباحثين للوقوف على أغراض جديدة للالتفات.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المبحث الثالث

القيمة العلمية لدراسة أبي السعود للالتفات

تقاس القيمة العلمية لأي مصنف أو جهد من خلال الوقوف على عدة أمور، ومنها(١):

١. شهادة المؤرخين وأصحاب التراجم لصاحب المؤلف بالتقدم في فنه.
٢. الثروة العلمية التي يقدمها المؤلف أو المصنف من خلال مؤلفاته ومصنفاته المختلفة والتي تؤدي دورها في تشكيل صرح العلم والمعرفة.
٣. مدى تأثر طلبة العلم والعلماء بمصنفات المؤلف، وتفاعلهم معها.
٤. اهتمام الباحثين وطلبة العلم بالدراسة التحليلية للمؤلف ومصنفاته.

فإن كانت القيمة العلمية لأي بحث تظهر بمجموع هذه الأمور، فإن الأمر عند أبي السعود يكاد يكون مختلفاً قليلاً، ذلكم أن نصيبه من الترجمة في كتب التأريخ لا ينسجم وذلك التراث المخلف عنه، بل لعل نصيب غيره ممن تقدمه؛ وإن كان أقل إسهاما منه في خدمة العلوم –لا سيما البلاغية منها– أوفر من نصيبه.

أما من حيث التراث المُخلف عنه، فلم تحظ المكتبة الإسلامية من تصانيف المؤلف إلا بالتفسير المنشور، وهو لعمر الحق أكبر شاهد على علو كعبه في البلاغة، ورسوخه في مختلف العلوم، وإن كان له –كما تقدم في الترجمة– تصانيف أخرى، وهو مع ذلك ورغم رسوخه مقل في التأليف، ولا عجب من ذلك؛ فقد كان منشغلا عن التصنيف في العلوم بنشرها أو العمل بها.

وأما من حيث اهتمام الباحثين وطلبة العلم بالدراسة التحليلية لمصنفه، فإنه بات من المقطوع به عند الباحث أن تفسير أبي السعود مع كل ما فيه من الفوائد الجمة، والنكت الرائقة، واللفتات البديعة لم يظفر بالعناية اللائقة التي ينبغي أن تكون له، بل لعله لم ينزل منزلته بين المصنفات، وإن كان العذر في الإعراض عنه حاضراً، فعبارة أبي السعود جاءت على نسق بديع تعيي كل من يتصدر لحلها، بل لعل القارئ لها يبحث في العبارة الواحدة عن وجوه من المعاني مختلفة، ثم يحار بها على أي معنى يحملها –لا سيما إذا

1- انظر المشني، د.مصطفى إبراهيم، ابن العربي المالكي الإشبيلي وتفسيره أحكام القرآن دراسة وتحليل، ط١، دار الجيل، بيروت، ودار عمار، عمان، ١٩٩١م، ص(٣٨٧).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كانت تلك المعاني على تنوعها مقبولة-، ثم لا يقطع في آخر الأمر بمعنى مراد، بل يظل فيه حائرا، أهذا ما قصده أبو السعود أم أنه قصد أمراً آخر.

ولعل القيمة العلمية تظهر لتفسير أبي السعود، وما يعنينا منه في رسالتنا من القضايا البلاغية فيه؛ من خلال:

١. النظر للمصادر البلاغية التي اعتمد عليها أبو السعود في تصنيفه.
٢. استدراكاته على أهل الفن ممن سبقه في المواضع والشواهد البلاغية، أو في الأغراض لذات المواضع المتناولة عندهم.
٣. تأثر من جاء بعده به في هذا العلم.

وقد سبق الحديث في مبحث خاص عن المصادر البلاغية التي اعتمد عليها أبو السعود في تصنيفه، أما استدراكاته في المواضع أو الأغراض على من تقدمه، أو من تأثر به ممن جاء بعده، فهذا ما جاء لأجله هذا المبحث، وإليكم التفصيل.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المطلب الأول

التجديد عند أبي السعود في دراسة الالتفات

وقبل الخوض في ذلك؛ لا بد من الإقرار بأن الأساس الذي اعتمد عليه جل علماء البيان والمفسرين –ممن عنوا بالقضايا البلاغية في تفاسيرهم–، وعند نقلهم للمباحث البلاغية هو كشاف الزمخشري، وأن كل من جاء بعده أفاد منه، قال الدكتور فضل عباس: (ومهما يكن من أمر، فلقد بقي الكشاف على مدى العصور مدرسة ينهل منها طلاب البيان، بين مختصر ومسهب ومعلق.)(١).

وإن شئت دليلا آخر على ذلك، فأدر النظر في ما قاله الأستاذ محمد محمد أبو موسى في كتابه القيم البلاغة القرآنية في تفسير الإمام الزمخشري، حيث عقد بأبا خاصاً بين فيه أثر الزمخشري في الدراسات البلاغية عند من جاء بعده(٢)، وخصوصاً ما عُدّ منها مرجعاً ومقصداً لطلاب البيان، كالمثل السائر ومفتاح العلوم مع تلخيصه وشروحه وحواشيها وطراز العلوي، بل بين اعتمادهم عليه ونقلهم منه وأخذهم عنه، بما لا يترك لقائل إلا الإقرار بعظم فضل الزمخشري على من جاء بعده، انظر إليه وهو يقول: (قد رأيناً الخطيب(٣) ينقل كلام الزمخشري نقلا كاملا ورأيناً كذلك أنه في أكثر أحواله لا يقف عند هذا الكلام ليستخرج منه أصولا وقواعد بلاغية، وسنرى أن سعد الدين كان له أثر في بلاغة الكشاف بمقدار ما للكشاف من أثر في كتابه، وذلك أنه عني عناية بينة بتفسير كلام الزمخشري وتحليل مثله، واستخراج الأصول والقواعد البلاغية منها، وبيان مذهبه في ضوء الدراسة العلمية المقررة لقواعد الفن في عصره، وهذه المحاولات التي تعود عائدتها على بلاغة الكشاف هي مظهر تأثره بهذا الدرس البلاغي، لذلك نجد أثر الكشاف في كتابه يختلف عن أثره في كتاب المفتاح وكتاب الإيضاح ويختلف كذلك عن أثره في كتاب المثل السائر وكتاب الطراز، فلم تكن لهؤلاء الأئمة –أعني القزويني وابن الأثير والعلوي– جهود في شرح بلاغة الكشاف وتحليلها، وبيان ما تنطوي عليه من أصول علمية مقررة في هذا الفن) (٤).

---

[1]– التفسير أساسياته واتجاهاته (٤٥٥)

[2]– البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري (٥٩٥ – ٧٣٥)

[3]– يعني القزويني في كتابه الإيضاح.

[4]– البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري (٦٢٣)

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فإذا ثبت هذا وثبت اعتماد أبي السعود في تفسيره كما أخبر هو عن نفسه على كتابي الزمخشري والبيضاوي، وعرفناً بعد ذلك قلة نقله عن من قبله من المفسرين كأبي حيان الذي لم يرد ذكره في تفسير أبي السعود إلا مرات قليلة لا تتجاوز بمجموعها الخمس، والقرطبي الذي نقل عنه قرابة عشرة مواضع، والرازي الذي ذكره في كتابه بنحو ثلاث مرات، وغيرهم ممن تقدمه وقلّ ذكرهم أو عدم في كتابه بعض الأحيان، وأضفناً فوق كل ذلك قلة عرضهم للالتفات وأغراضه –خلا أبا حيان[١]–، كان عدناً لتفردات أبي السعود عن الزمخشري والبيضاوي وأبي حيان[٢] سواء في المواضع أو الأغراض كافياً في عدها من الاستدراكات على من جاء بعدهم من علماء البيان والتفسير، ولكن بنحو من التفصيل كما سيأتي.

---

[1]– يجوز فيها الوجهان أعني النصب على المفعولية أو الجر.

[2]– وإنما أُضيف أبو حيان لكثرة إيراده للالتفات في تفسيره من ناحية، ولوقوفه على أغراض له غير المذكورة عند الزمخشري من ناحية أخرى، أما غيره ممن جاء بعد الزمخشري من المفسرين؛ فجلهم كان مكتفياً بما عند الزمخشري في الذكر، إلا في مواضع قليلة.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

استدراكات أبي السعود على سابقيه من العلماء في مواضع الالتفات.

من الإجحاف بحق السابقين من العلماء الأفذاذ عدُّ ما تركوه من المواضع دون بيان ما فيه لظهوره وجلائه، ثم حديث غيرهم عنه ممن جاء بعدهم من استدراكات غيرهم عليهم، فجلُّهم كان قاصداً للاختصار، والذي يتناسب مع مذهبهم فيه الوقوف على دقائق الأسرار في النظم، أما ما يبين منها ويتضح فيكفي التعريج عليه في مواضع، وتركه في أخرى.

ومع ذلك وجدنا أبا السعود –وإن كان يترك الحديث عن الالتفات في كثير من المواضع[١]– يقف عليه عند مواضع أخرى مما ترك من سبقه الحديث عنه، وهو إذ يقف عنده يقصد لعمر الحق استشفاف ما فيه من الأسرار التي لا يقف عليها من العلماء إلا القليل.

فإن كان رأى فيه سابقوه الالتفات وأدركوا له غرضاً منسجماً مع ما ذكروه من الأغراض عند حديثهم عنه في المواضع الأخرى، فطووا لذلك الحديث عنه، فإن أبا السعود كان يقف عند هذه المواضع على أغراض جديدة للالتفات، لم تُفهم منه في المواضع الأخرى.

ومما وقف عليه أبو السعود مما ترك سابقوه الحديث عنه:

- ❖ قوله تعالى: ﴿ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ ... وَقَالُواْ كُونُواْ هُودًا أَوْ نَصَـٰرَىٰ تَهْتَدُواْ ۗ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِـۧمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٣٥﴾ ﴾[٢].
- ❖ وقوله تعالى: ﴿ إِن تُبْدُواْ ٱلصَّدَقَـٰتِ فَنِعِمَّا هِىَ ۖ ... ﴿٢٧١﴾ لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ ... ﴿٢٧٢﴾ ﴾[٣]
- ❖ وقوله تعالى: ﴿ فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّى لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَـٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ ۖ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ ۖ ... ﴿١٩٥﴾ ﴾[٤].
- ❖ وقوله تعالى: ﴿ وَأَنَّ هَـٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ ... ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾ ثُمَّ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَـٰبَ ... ﴿١٥٤﴾ ﴾[٥].

1– سيظهر في الثبت المرفق مواضع الالتفات في القرآن الكريم، وما وقف عنده أبو السعود منها.
2– البقرة: ١٣٣ – ١٣٥
3– البقرة: ٢٧١ – ٢٧٢
4– آل عمران: ١٩٥
5– الأنعام: ١٥٣ – ١٥٤

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- وقوله تعالى: ﴿ أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٥﴾ ... يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ... ﴿٥٧﴾ ﴾[1].
- وقوله تعالى: ﴿ قَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ۗ سُبْحَٰنَهُۥ ۖ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ۖ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ إِنْ عِندَكُم مِّن سُلْطَٰنٍۭ بِهَٰذَآ ۚ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٨﴾ ﴾[2].
- وقوله تعالى: ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ ... ﴿٧٢﴾ لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ ... ﴿٧٣﴾ ﴾[3].
- وقوله تعالى: ﴿ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلْنَا ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٨﴾ ﴾[4].

وغير ذلك مما لا قصد للباحث في استقصائه[5].

على أن بعض المواضع التي وقف عندها أبو السعود مما لا يستبعد استدراكه على غيره، لما فيه من النكت واللطائف أو دقة الملحظ، وعلى كل فإن كان مما استدركه، أو كان مما فطن له سابقوه وتركوه، فإنه يدل على الحالين على رسوخ الرجل وتمكنه، ويشير إلى قيمته العلمية وهو المقصود هنا.

ومن هذه المواضع:

- الالتفات من الغيبة للخطاب في قوله تعالى: ﴿ وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلًا أَن يَنكِحَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ فَمِن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم مِّن فَتَيَٰتِكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۚ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِكُم ۚ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ ۚ ... ﴿٢٥﴾ ﴾[6].
- الالتفات من الغيبة عند بيان حال فريقي النصارى إلى الخطاب للفريقين في قوله تعالى: ﴿ وَحَسِبُوٓا۟ أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةٌ ... ﴿٧١﴾ لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ

1- يونس: ٥٥ - ٥٧
2- يونس : ٦٨
3- الأحزاب: ٧٢ - ٧٣
4- التغابن: ٨
5- هذا ما اكتفي به اختصارا، وقد وقف الباحث على قرابة (٣٠) موضعاً مما وقف عليها أبو السعود وتركها الزمخشري والبيضاوي وأبو حيان.
6- النساء: ٢٥

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

... ﴿٧٢﴾ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ ... ﴿٧٣﴾ ... قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ... ﴿٧٧﴾ ﴾[1].

- والالتفات من الغيبة في السؤال المقدر إلى الخطاب في (أمرتك) في قوله تعالى: ﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿١٢﴾ ﴾[2].
- الالتفات من الغيبة في يجادلونك ويساقون وينظرون إلى الخطاب في المضمر المحذوف العامل في إذ وتقديره واذكروا ﴿يُجَٰدِلُونَكَ فِى ٱلْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى ٱلْمَوْتِ وَهُمْ يَنظُرُونَ ﴿٦﴾ وَإِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ ٱلشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَيَقْطَعَ دَابِرَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧﴾ ﴾[3].

وغير ذلك مما لا قصد في استيعابه.

---

[1]- المائدة: ٧١ – ٧٧

٩- الأعراف: ١٢

[3]- الأنفال: ٦ – ٧

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

استدراكاته على سابقيه في الأغراض والمقاصد.

جاء تفسير الكشاف على نحو مختصر،لم يقصد فيه صاحبه أن يضمنه كل ما عرف من اللطائف الرائقة، والنكت الفائقة، والدقائق الشائقة، وهو مع ذلك كان حريصاً فيه على تكثير الفوائد والفحص عن السرائر، قال الزمخشري: (فأمليت عليهم[1] مسألة في الفواتح وطائفة من الكلام في حقائق سورة البقرة، وكان كلاماً مبسوطاً كثير السؤال والجواب، طويل الذيول والأذناب، وإنما حاولت به التنبيه على غزارة نكت هذا العلم، ... ولما رأيتني قد أخذت مني السن، وتقعقع الشن، وناهزت العشر التي سمتها العرب دقاقة الرقاب، فأخذت في طريقة أخصر من الأولى..) [٢]، وهو فوق ذلك مؤصل في العلم، وشأن من يؤصل أن يفرغ لبيان قواعد العلم العامة، ليلملم أطرافه، ويحسن سبكه، ثم يترك التفصيل لمن جاء بعده، بعد أن يكون قد وفى ما عليه من دين في مرحلته، تاركاً الأمانة لمن يعقبه، ليقف على بقية الأسرار.

أما البيضاوي فقد كان قاصداً للاختصار على طريقة الزمخشري، فضمن كتابه ما في الكشاف من الفضائل على نحو من الاكتفاء.

وأما أبو حيان فقد تحمل الأمانة، ووقف من الأغراض على ما لم يذكره الزمخشري، إلا أن موقفه منه في التعقب في كثير من الأحيان، وقصده للاستيعاب مع علوم البلاغة لأمور أخرى ليتحقق تفسيره بلفظ البحر، فرق اهتمامه أن يكون قاصداً على تتبع أغراض نوع من أنواع البلاغة، فترك هو أيضاً فسحة لمن جاء بعده، وعلى كل فيبقى البحر بما حواه من العلوم بحراً.

وإنما قدم الباحث ما قدم على سبيل الإطناب للتأكيد على أن ما يذكره لأبي السعود من استدراكات إنما هو شأن العلوم، وطبيعة الزمان، ولا يعني ذلك بالضرورة إثبات مزية له على غيره، فليس مثل الباحث من يحكم بينهم.

وقد تحمل أبو السعود الأمانة على ساعد الجد، فهو مع تضمينه في كتابه تلك الأسرار التي تناولها سابقوه ولكن على سبيل التفنن في العبارة والإيراد، كشف من أغراض البيان ما طوى عنه الزمخشري وغيره، ففصل ما أصلوا له، ووفى الدين في

---

[1]- يعني من سأله من أصحابه
[2]- الكشاف (١: ١٥ – ١٩)

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

عصره، تاركاً لمن بعده فسحة للنظر، وهو ما يتناسب وشأن كتاب الله الذي لا يخلق عن كثرة الرد.

ومما وقف عليه أبو السعود من الأغراض دون سابقيه:

١. زيادة بيان شأن المخاطبين وحالهم.
٢. إزالة اللبس فيما ترجع إليه الضمائر.
٣. التسلية.
٤. تقوية معنى مستفاد من أسلوب بلاغي.
٥. تقوية الكلام وتحقيق الجزالة فيه، وتقرير المتحدث عنه وتحقيقه.
٦. الحكاية لغير المخاطبين.
٧. الرمز إلى التفاوت والاختلاف بين ما يتحدث عنه.
٨. تحقيق مضمون الكلام ومعناه.
٩. الإشعار بعدم اختصاص الحكم بالمخاطب.
١٠. التدرج في التبلغ إلى الكمال.
١١. القصد إلى بيان ما في الكلام، وتبيين المراد من الخطاب.
١٢. التسخيف.
١٣. التوصل به إلى أمر آخر.
١٤. التمهيد لأسلوب جديد في الكلام كالاستفهام.
١٥. الإشارة إلى مسألة نحوية.
١٦. استعظام أمر.
١٧. التأكيد على استقلال الاعتراض في الكلام.
١٨. الإشعار باختلاف الأحوال في الكلام.
١٩. للدلالة على كمال القدرة.
٢٠. تأكيد الاستقلال بالحكم.

هذا تعداد لما تفرد به من الأغراض، وقد سبق تفصيلها في موضعها.

ومما يجدر التنبيه عليه أن هذه القضية مدارها التذوق لصاحب الذوق السليم، فقد يرى غير أبي السعود أغراضاً أخرى، وقد يتفق معه على هذه الأغراض ولكن في غير المواضع التي ذكرها فيها.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وعلى كل فيبقى كتاب الله المعجز الذي لا تنقضي عجائبه، ولا يخلق عن كثرة الترداد، يصدر عنه من يرده بغير ما صدر عنه الوارد الآخر، ولا تزال العهدة قائمة والأمانة منتظِرة لمن يتقلدها، ليتولى عهدة الكلام، ويتقلد قلادة النطق في هذه المقام، من هذا العصر.

يسر الله لناً من العلماء من يبرز لكشف النقاب عن تلك السرائر، وسبر أغوار المخدرات في خدورها، لكشف ما فيها من المحاسن، وإجلائه لمن يستحق النظر فيه.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المطلب الثاني

تأثر من جاء بعده به في هذا العلم

استفاد من أبي السعود جل من جاء بعده، وتفاوتوا في أخذهم عنه بين مقل ومكثر، ففي حين يسهل عند بعضهم الحكم بأخذهم عنه وتأثرهم به، لتصريحهم بذكره أو لنقلهم عبارته دونما تغيير أو تبديل أو تحريف، يشق ذلك عند طائفة أخرى، ممن كان لهم دور في التصرف بالعبارة، أو دمج مقاصدها ومباغيها بمقاصد ومباغي من أخذوا عنه من غير أبي السعود، إلا أن الأمر بمجمله يدلك على استفادتهم منه، الأمر الذي يعطيناً دلالة على قيمة تفسير أبي السعود، وأثره في تشكيل صرح العلم والمعرفة.

ومن جملة من تأثر بأبي السعود على سبيل التعداد دون قصد الاستيعاب:

١. الإمام الشوكاني في تفسيره فتح القدير.
٢. الإمام ابن عجيبة في تفسيره البحر المديد.
٣. الإمام الآلوسي في تفسيره روح المعاني.
٤. الشيخان محمد عبده ومحمد رشيد رضاً في المنار.
٥. الشيخ إسماعيل حقي في تفسيره روح البيان.
٦. الشيخان الكومي والطنطاوي في التفسير الوسيط.
٧. والشيخ الطاهر ابن عاشور في التحرير والتنوير.

وكلهم أخذ عن أبي السعود في كثير من المواضع، ومنها الالتفات، ومما جاء في كتاباتهم مما أفادوه من أبي السعود ونقله الباحث هناً على سبيل التمثيل لكل واحد بموضع:

الإمام شهاب الدين الألوسي:

ولعله من أكثر من استفاد من أبي السعود، وكثيراً ما كان يسميه بمفتي الديار الرومية، أو بالمولى وشيخ الإسلام، ونقل عنه في تفسيره كثيراً من أغراض الالتفات نقلاً حرفيا، وهو مع ذلك صاحب نظر في مواضع أخرى، ونظره يدل بحق على سعة علمه وعظم ما أوتي من ألوان الفهم، رضي الله عنه وأرضاه.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

قال الألوسي عند قوله تعالى: ﴿ قَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ۗ سُبْحَـٰنَهُۥ ۖ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ۖ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ إِنْ عِندَكُم مِّن سُلْطَـٰنٍۭ بِهَـٰذَآ ۚ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٨﴾ ﴾ [١]، "والالتفات إلى الخطاب لمزيد المبالغة في الإلزام والإفحام وتأكيد ما في قوله تعالى: (أَتَقُولُونَ عَلَى الله ما لا تَعْلَمُونَ) من التوبيخ والتقريع على جهلهم واختلاقهم ، وفي الآية دليل على أن كل قول لا دليل عليه فهو جهالة وأن العقائد لا بد لها من قاطع وأن التقليد بمعزل من الاهتداء ولا تصلح متمسكاً لنفي القياس والعمل بخبر الآحاد لأن ذلك في الفروع وهي مخصوصة بالأصول لما قام من الأدلة على تخصيصها وإن عم ظاهرها"[٢].

وهو قريب مما قاله أبو السعود، حيث قال: "إن عندكم فى هذا القول من سلطان والالتفات إلى الخطاب لمزيد المبالغة فى الإلزام والإفحام وتأكيد ما فى قوله تعالى أتقولون على الله ما لا تعلمون من التوبيخ والتقريع على جهلهم واختلافهم وفيه تنبيه على أن كل مقالة لا دليل عليها فهى جهالة وأن العقائد لا بد لها من برهان قطعى وأن التقليد بمعزل من الاعتداد به" [٣]

الإمام الشوكاني:

تعددت مصادر الإمام الشوكاني في تفسيره، وعد منها أبا السعود، حيث كان يورد اسمه قبل بعض المواضع التي أفاد فيها منه بقوله "قال أبو السعود في تفسيره"، أو "ذكر أبو السعود"، ومما أفاد فيه منه بعض مواضع الالتفات، وإن لم يسم أبا السعود عندها باسمه، إلا أن المذكور يدل على أنه مستفيد فيها منه، ومن تلك المواضع، ما ذكره عند قوله تعالى ذكره:

كما في قوله تعالى: ﴿ وَأَذَـٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلنَّاسِ ... فَإِن تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ ... ﴿٣﴾ ﴾[٤]،

1- يونس : ٦٨

2- الآلوسي، أبو الفضل محمود، (١٢٧٠هـ). روح المعاني، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠١م (٦: ١٤٦)

3- إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم (٤: ١٦٢)

4- التوبة : ٣

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

قال أبو السعود: "فإن تبتم من الشرك والغدر التفات من الغيبة إلى الخطاب لزيادة التهديد والتشديد" [١].

وقال الشوكاني: "قوله: (فإن تبتم) أي: من الكفر، وفيه التفات من الغيبة إلى الخطاب، قيل: وفائدة هذا الالتفات زيادة التهديد"[٢].

وقوله تعالى: ﴿ وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَـٰنَ ٱلضُّرُّ دَعَانَا لِجَنۢبِهِۦٓ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَآئِمًا ...كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢﴾ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ مِن قَبْلِكُمْ ...﴿١٣﴾ ﴾ [٣]، قال أبو السعود: "ولقد أهلكنا القرون: أي القرون الخالية؛ مثل قوم نوح وعاد وأضرابهم، و (من) في قوله تعالى: (من قبلكم) متعلقة (بأهلكنا) أي أهلكناهم من قبل زمانكم، والخطاب لأهل مكة على طريقة الالتفات للمبالغة في تشديد التهديد بعد تأييده بالتوكيد القسمي) [٤].

وقال الشوكاني: "(وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا القرون مِن قَبْلِكُمْ لما ظَلَمُوا) يعني: الأمم الماضية من قبل هؤلاء الكفار المعاصرين للنبي صلى الله عليه وسلم، أي أهلكناهم من قبل زمانكم، وقيل: الخطاب لأهل مكة على طريق الالتفات للمبالغة في الزجر"[٥].

وقوله تعالى: ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَـٰكُمْ خَلَـٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ مِنۢ بَعْدِهِمْ لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَـٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَـٰذَآ أَوْ بَدِّلْهُ ... ﴿١٥﴾ ﴾[٦]، قال أبو السعود: "(وإذا تتلى عليهم) التفات من خطابهم إلى الغيبة إعراضاً عنهم، وتوجيهاً للخطاب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ بتعديد جناياتهم المضادة لما أريد منهم بالاستخلاف من تكذيب الرسول والكفر بالآيات البينات وغير ذلك"[٧].

وقال الشوكاني: "(وَإِذا تتلى عَلَيْهِمْ ءاياتنا بَيِّنَاتٍ) وفيه التفات من الخطاب إلى الغيبة إعراضاً عنهم"[٨].

1- إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم (٤:٤١)
2- فتح القدير (٢: ٤٨٣)
3- يونس: ١٢ - ١٣
4- إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم (٤:١٢٦)
5- فتح القدير (٢: ٦٢٠)
6- يونس: ١٤ - ١٥
7- إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم (٤: ١٢٧)
8- فتح القدير (٢: ٦٢٠)

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وهذا الموضع مما تفرد أبو السعود بذكره عمن سبقه.

وإنما عدد الباحث من المثال هناً لعدم صراحة النقل عن أبي السعود عند الشوكاني، كالذي قبله.

الإمام ابن عجيبة:

وهو كثيراً ما ينقل عن البيضاوي وأبي السعود، ويذكر اسمه على طريقة "قاله أبو السعود" عقب موضع النقل، ومما أفاده من أغراض الالتفات من أبي السعود، دون أن يسلك فيه طريقته في الأخذ عنه، ما قاله عند قول الحق تعالى ذكره: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ ۗ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ ۚ بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا ﴿٥٠﴾ ﴾ [1]، قال أبو السعود: (وفي الالتفات إلى الغيبة مع وضع الظالمين موضع الضمير من الإيذان بكمال السخط والإشارة إلى أن ما فعلوه ظلم قبيح ما لا يخفى)[2].

وقال ابن عجيبة: ((بئس للظالمين): الواضعين للشيء في غير محله، (بدلا) استبدلوه من الله تعالى، وهو إبليس وذريته، وفي الالتفات إلى الغيبة، مع وضع الظاهر موضع الضمير، من الإيذان بكمال السخط، والإشارة إلى أن ما فعلوه ظلم قبيح، ما لا يخفى)[3].

وفي هذا دلالة ظاهرة على التأثر.

الشيخ إسماعيل حقي :

وهو أيضاً ممن أفادوا من أبي السعود، وسماه باسمه في التفسير مرات عديدة، ومما أفاده منه في الالتفات، ما قاله عند قوله تعالى ذكره: ﴿ قُلْ إِنَّ رَبِّى يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾ وَمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُم بِٱلَّتِى تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰٓ ... ﴿٣٧﴾ ﴾ [4]، قال أبو السعود: ((وما أموالكم ولا أولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى)، كلام مستأنف من جهته عز

1- الكهف: ٥٠

2- إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم (٥:٢٢٧)

3- ابن عجيبة، أبو العباس أحمد بن محمد، (١٢٢٤هـ). البحر المديد، ط١، الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٢م (٤: ١٦٩)

4- سبأ: ٣٦ - ٣٧

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وعلا، خوطب به الناس بطريق التلوين والالتفات مبالغة في تحقيق الحق وتقرير ما سبق، أي وما جماعة أموالكم وأولادكم بالجماعة التي تقربكم عندنا قربة، فإن الجمع المكسر عقلاؤه وغير عقلائه سواء في حكم التأنيث، أو بالخصلة التي تقربكم) [١].

وقال حقي: ((وما أموالكم ولا أولادكم) كلام مستأنف من جهته تعالى مبالغة في تحقيق الحق، أي وما جماعة أموالكم وأولادكم أيها الناس (بالتي) بالجماعة التي؛ فإن الجمع المكسر عقلاؤه وغير عقلائه سواء في حكم التأنيث، أو بالخصلة التي، فيكون تأنيث الموصول باعتبار تأنيث الصفة المحذوفة (تقربكم عندنا زلفى) نصب مصدراً بتقربكم كأنبتكم من الأرض نباتاً، والزلفى والقربى والقربة بمعنى واحد)[٢].

وهو وإن لم يذكر الالتفات باسمه هنا، إلا أنه ظاهر التأثر فيه بكلام أبي السعود، وما ذكره أبو السعود من المبالغة التي أفادها النص بما فيه من الالتفات نقله حقي هنا دون أن يشير فيه إلى الالتفات.

الأستاذ محمد رشيد رضا:

لم يثن الأستاذ رضا اتجاهه في الإصلاح، وقصده في تحصيل النهضة الاجتماعية – من خلال النظر في الكتاب الكريم، لا على طريقة الدراسة التقليدية، بل على نهج التجديد الذي يحقق به النهضة المنشودة التي ترفع الأمة للّحوق بركب الحضارة– عن الوقوف على أسرار البلاغة والبيان، والتي منها الالتفات، قال الأستاذ رضا في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَٰذَآ أَوْ بَدِّلْهُ ... ﴿١٥﴾ ﴾[٣]، (وفي الآية التفات عن خطاب هؤلاء الموعوظين إلى الغيبة عنهم وتوجيه له إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأسلوب الالتفات في القرآن كثير جداً، وفائدته العامة تلوين الكلام بما يجدد الانتباه له والتأمل فيه، وفي كل التفات فائدة خاصة لو أردنا بيان ما نفهمه منها لطال بنا بحث البلاغة الكلامية بما يشغل القراء عن الهداية المقصودة بالذات من تفسيرنا) [٤].

1- إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم (٧:١٣٥)

2- حقي، إسماعيل، (١١٣٧هـ). روح البيان، ط١، إحياء التراث، بيروت، ٢٠٠١ (٧: ٣٥١).

3- يونس: ١٤ – ١٥

4- رضا، محمد رشيد، المنار ط١، دار إحياء التراث، بيروت، ٢٠٠٢م، (١١: ٢٧٢ – ٢٧٣).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بل له ولأستاذه محمد عبده –رحمه الله– يرجع الفضل في إحياء مدرسة الجرجـاني البلاغية في القرن الماضي، بعد أن عكف الناس على بلاغة السكاكي ردحاً من الزمن.

والأستاذ رضا وإن كان أفاد مما ذكره أبو السعود في كثير من المواضـع، فإنـه لا يصرح بذلك، وخصوصاً أنه وأستاذه كانا يعيبان على معاصريهم عكوفهم على أقوال العلماء، وينعيان عليهم ذلك، عادين هذا الأمر من أسباب تعرقل النهضة، فحتى لا يقع بما عابه علـى غيره ترك ذكر كثير من مصادره في كتابه، والتي كان منها تفسير أبي السعود.

ومما يدلك على تأثره بأبي السعود ما ذكره في بعض المواضع من كتابه، والتي منها ما نقلناه قبل قليل، حيث عدَّ من الأغراض العامة للالتفات (تلوين الكلام)، وهو ما ذكره أبـو السعود في أول موضع له من كتابه، ثم يكمل كلامه في عين الموضع قائلاً (ويظهر في هـذه الآية أن نكتة حكاية هذا الاقتراح السخيف بأسلوب الإخبار عن قوم غائبين إفادة أمرين:

أحدهما: إظهار الإعراض عنهم كأنهم غير حاضرين، لأنهم لا يستحقون الخطاب بـه من الله تعالى.

ثانيهما: تلقينه صلى الله عليه وسلم الجواب عنه بما ترى من العبارة البليغة التـأثير، والمعنى وإذا تتلى على أولئك القوم آياتنا المنزلة حالة كونها بارزة في أعلى معارض البيـان وأظهر مقدمات الوحي والبرهان) [1].

فإذا كان أبو السعود ممن تفرد بذكر الالتفات في هذا الموضع كما سبق، ثم إنه ذكـر له غرضين، عليهما مدار كلام الأستاذ رضا، أفلا يكون بعد ذلك مـؤثراً بمدرسـة المنـار، فتأمل.

سيد طنطاوي:

والشيخ طنطاوي في تفسيره الوسيط ينقل عن أبي السعود آراءه، وكثيراً ما يـصرح بالنقل عنه، ويكتفي أحياناً بالإشارة إليه والإيماء، وهو في أحيان أخرى يستفيد مـن عبارتـه ويتصرف فيها دون الإشارة والعزو إليه، ومما كان منه في ذلك ما أفاده منـه فـي بعـض مواضع الالتفات عنده، ومنها ما كان في قوله تعـالى: ﴿ أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٥﴾ هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٥٦﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم

---

[1]– المنار (١: ٢٧٣).

﴿مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِي ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾﴾[1]، قال أبو السعود: (يا أيها الناس التفات ورجوع إلى استمالتهم نحو الحق واستنزالهم إلى قبوله واتباعه غب تحذيرهم من غوائل الضلال بما تلى عليهم من القوارع الناعية عليهم سوء عاقبتهم وإيذان بأن جميع ذلك مسوق لمصالحهم ومنافعهم) [2].

قال في الوسيط: (والمعنى: يا أيها الناس قد جاءكم من الله – تعالى– كتاب جامع لكل ما تحتاجون إليه من موعظة حسنة ترق لها القلوب، وتخشع لها النفوس ... وجاء هذا الإرشاد والتوجيه عن طريق النداء، استمالة لهم إلى الحق بألطف أسلوب، وأكمل بيان، حتى يثوبوا إلى رشدهم، ويتنبهوا من غفلتهم)[3].

فهو يتفق مع أبي السعود في غرض الاستمالة، وإن لم يسم الالتفات في الآية، وهذا الموضع مما تفرد أبو السعود بذكره عن سابقيه.

الطاهر بن عاشور:

لعل ذكر أبي السعود في التحرير والتنوير كان على نحو قليل، بل لعل ذكره في الكتاب لا يتعدى بضع مرات، ولكنّ الأمر الذي لا شك فيه تأثر الطاهر بأبي السعود، ولكن على نحو مختلف عن سابقيه، فتأثر الطاهر به يكمن في أمرين:

- ❖ الإفادة من قوله مع قولبته بقالب من اللفظ جديد.
- ❖ العرض لرأيه ثم مناقشته ورده.

ومن الثاني ما أورده عند قوله تعالى ذكره السابق، حيث قال ابن عاشور: (استئناف أو اعتراض، يجوز أن يكون لابتداء غرض جديد وهو خطاب جميع الناس بالتعريف بشأن القرآن وهديه ... وعلى هذا الوجه؛ فليس في الخطاب بـ (يأيّها الناس) التفات من الغيبة إلى الخطاب، والمعنى أن القرآن موعظة لجميع الناس وإنما انتفع بموعظته المؤمنون فاهتدوا وكان لهم رحمة)[4].

ولقد تفرد أبو السعود في عد هذا من الالتفات كما سبق.

---

[1]– يونس: ٥٥ – ٥٧

[2]– إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم (٤:١٥٥)

[3]– طنطاوي، محمد سيد، التفسير الوسيط، ط٢، ١٩٨٦م (٧: ١١١٤)

[4]– ابن عاشور، محمد الطاهر، التحرير والتنوير، دار سحنون، تونس (١: ٣٢٤)

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومن الأول ما قاله عند قوله تعالى: ﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا ﴿٨٨﴾ لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا ﴿٨٩﴾ ﴾ [١]، قال ابن عاشور: (والخطاب في "لقد جئتم" للذين قالوا اتخذ الرحمن ولداً، فهو التفات لقصد إبلاغهم التوبيخ على وجه شديد الصراحة لا يلتبس فيه المراد، كما تقدم في قوله آنفاً: "وإن منكم إلا واردها"[٢]، فلا يحسن تقدير: قل لقد جئتم) [٣].

وقال أبو السعود: ("لقد جئتم شيئاً إدا" رد لمقالتهم الباطلة وتهويل لأمرها بطريق الالتفات المبني عن كمال السخط وشدة الغضب المفصح عن غاية التشنيع والتقبيح وتسجيل عليهم بنهاية الوقاحة والجهل والجراءة والإد بالكسر والفتح العظيم المنكر)[٤].

وقول ابن عاشور هذا يقترب من كلام أبي السعود، ولكن على نحو من التصرف بالعبارة، وهو على كل أقرب إليه منه لما قاله الزمخشري ومن دار في فلكه كالقاضي البيضاوي وأبي حيان.

قال الزمخشري: (وفي قوله "لَقَدْ جِئْتُمْ" وما فيه من المخاطبة بعد الغيبة، وهو الذي يسمى الالتفات في علم البلاغة زيادة تسجيل عليهم بالجرأة على الله، والتعرّض لسخطه، وتنبيه على عظم ما قالوا) [٥].

وقال البيضاوي: ("لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئاً إِدّاً" على الالتفات للمبالغة في الذم والتسجيل عليهم بالجراءة على الله تعالى) [٦].

وقال أبو حيان: ("لقد جئتم" أي قل لهم ياً محمد "لقد جئتم"، أو يكون التفاتاً خرج من الغيبة إلى الخطاب زيادة تسجيل عليهم بالجرأة على الله والتعرض لسخطه وتنبيه على عظيم ما قالوا) [٧].

ومما أسلف من نقل؛ تقف على أثر أبي السعود فيمن جاء بعده، وتدرك دوره في تشكيل صورة العلم والمعرفة البلاغية والقرآنية في عصره، وما تبعه من العصور، الأمر الذي يدل بحق على ما لتفسيره من قيمة علمية لا سيما في علوم البلاغة، والتي منها

1- مريم: ٨٨ – ٨٩
2- مريم: ٧١
3- التحرير والتنوير (١٧: ١٦٩)
4- إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم (٥:٢٨٢)
5- الكشاف (٢: ٥٢٥)
6- البيضاوي، عبد الله بن عمر، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ط١، دار إحياء التراث، ١٩٩٨م (٢: ٢٠)
7- البحر المحيط (٧: ٣٠٠)

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

شجاعة العربية –أعني الالتفات–، وهو مقصد هذا المبحث، الذي نسأل المولى أن يكــون وفقناً لعرض مادته بصورة جلية مؤدية للمقصود –آمين–.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

جدول ١. ثبت بمواضع الالتفات في القرآن الكريم وعند أبي السعود

وقد أشار الباحث بــ (*) عند المواضع التي توقف عندها أبو السعود و (X) عند المواضع التي ترك الحديث عنها، وإليكم ذلك.

الموضع	السورة	الآية	نوع الالتفات	عن أبي السعود
* مالك يوم الدين ...إياك نعبد	أم الكتاب	٤–٥	غيبة– خطاب	*
* إن الذين كفروا ... يا أيها الناس	البقرة	٦–٢١	غيبة – خطاب	*
* الذي جعل لكم ... مما نزلنا	=	٢٢–٢٣	غيبة – تكلم	*
* نزلنا على عبدنا ... شهداءكم من دون الله	=	٢٣	تكلم – غيبة	*
* الذين ينقضون ... كيف تكفرون	=	٢٦–٢٧	غيبة – خطاب	*
* قال يا آدم... وإذ قلنا للملائكة	=	٣٣–٣٤	غيبة – تكلم	*
* وإذ آتينا موسى ... فتاب عليكم	=	٥٣–٥٤	تكلم – غيبة	*
* اهبطوا مصرا... وضربت عليهم الذلة	=	٦١	خطاب– غيبة	X
* والله مخرج ... فقلنا اضربوه	=	٧٣	الغيبة – التكلم	*
* وإذ أخذنا ميثاق بني إسرائيل ... وقولوا للناس	=	٨٣	الغيبة – الخطاب	*
* فريقاً كذبتم ... وقالوا	=	٨٧ – ٨٨	الخطاب – الغيبة	*
* ما ننسخ ... ألم تعلم أن الله		١٠٦	التكلم – الغيبة	*
* ولقد اصطفيناه ... إذ قال له ربه	=	١٣٠	التكلم – الغيبة	*
* أم كنتم ... وقالوا	=	١٣٣– ١٣٥	الخطاب – الغيبة	*
* وما جعلنا القبلة التي كنت عليها إلا لنعلم من يتبع الرسول	=	١٤٣	خطاب – غيبة	*
* ولئن أتيت .. يعرفونه كما يعرفون	=	١٤٥– ١٤٦	الخطاب – الغيبة	*
* إن الذين يكتمون ما أنزلنا ... أولئك يلعنهم	=	١٥٩	التكلم – الغيبة	*
* أنزلنا من البينات .. يلعنهم الله	=	١٦٠	الغيبة – التكلم	*
* إنما يأمركم ... وإذا قيل لهم اتبعوا	=	١٦٩ – ١٧٠	الخطاب – الغيبة	*
* كلوا من طيبات ما رزقناكم ... واشكروا لله	=	١٧٢	تكلم– غيبة	*
* وعلى الذين يطيقونه... وأن تصوموا خير لكم		١٨٤	الغيبة – الخطاب	*
* وما تفعلوا من خير يعلمه الله...واتقون يا أولي الألباب	=	١٩٧	غيبة – تكلم	X

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

* فإن زللتم ... هل ينظرون	=	٢٠٩-٢١٠	الخطاب – الغيبة	*
* سل بني إسرائيل كم آتيناهم ... ومن يبدل نعمة الله	=	٢١١	تكلم– غيبة	*
* فإن أراداً فصالا ... وإن أردتم أن تسترضعوا	=	٢٣٣	الغيبة – الخطاب	*
* تلك آيات الله نتلوها	=	٢٥٢	غيبة–تكلم	X
* تلك الرسل فضلنا..منهم من كلم الله..وآتينا...ولو شاء الله	=	٢٥٣	تكلم–غيبة	*
* إن تبدوا الصدقات ... ليس عليك هداهم	=	٢٧١-٢٧٢	الخطاب – الغيبة	*
* ربناً إنك جامع الناس...إن الله لا يخلف الميعاد	آل عمران	٩	خطاب–غيبة	*
* كذبوا بآياتنا.. فأخذهم الله	=	١١	تكلم–غيبة	*
* فأما الذين كفروا فأعذبهم ... وأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوقهم	=	٥٦-٥٧	تكلم– غيبة	*
* وتلك الأيام نداولها.. وليعلم الله	=	١٤٠	تكلم –غيبة	*
* سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب بما أشركوا بالله	=	١٥١	تكلم–غيبة	*
* لقد سمع الله قول الذين قالوا.. سنكتب ما قالوا	=	١٨١	غيبة– تكلم	*
* فسوف نصليه ناراً. وكان ذلك على الله يسيراً	النساء	٣٠	تكلم–غيبة	*
* إن الذين كفروا بآياتناً سوف نصليهم ناراً.. إن الله	النساء	٥٦	تكلم–غيبة	*
* وما أرسلناً من رسول إلا ليطاع بإذن الله	=	٦٤	تكلم–غيبة	X
* ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاؤوك ... واستغفر لهم الرسول	=	٦٤	خطاب–غيبة	*
* ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضاة الله فسوف نؤتيه	=	١١٤	غيبة –تكلم	*
* والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم... وعد الله	=	١٢٢	تكلم–غيبة	X
* ولقد وصيناً الذين أوتوا الكتاب.. أن اتقوا الله	=	١٣١	تكلم–غيبة	X
* يأيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم وأنزلنا	=	١٧٤	غيبة–تكلم	*
*ولقد أخذ الله ميثاق بني إسرائيل وبعثناً منهم	المائدة	١٢	غيبة–تكلم	*
* فأغريناً بينهم العداوة..وسوف ينبئهم الله	=	١٤	تكلم–غيبة	*
*قد جاءكم رسولناً يبين لكم... قد	=	١٥	تكلم–غيبة	X

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

جاءكم من الله نور				
* وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول...فاعلموا أنما على رسولنا البلاغ	=	٩٢	غيبة-تكلم	X
* وأوذوا حتى أتاهم نصرنا ولا مبدل لكلمات الله	الأنعام	٣٤	تكلم-غيبة	*
* ما فرطنا في الكتاب من شيء ثم إلى ربهم يحشرون	الأنعام	٣٨	تكلم-غيبة	X
* وهو القاهر فوق عباده ...توفته رسلنا	=	٦١	غيبة-تكلم	X
* نرفع درجات من نشاء إن ربك حكيم عليم	=	٨٣	تكلم غيبة	*
* وهو الذي جعل لكم النجوم.. قد فصلنا الآيات	=	٩٧	غيبة-تكلم	X
* وهو الذي أنشأكم من نفس واحدة.. قد فصلنا الآيات	=	٩٧	غيبة-تكلم	X
* وهو الذي أنزل من السماء ماء...فأخرجنا منه خضرا	=	٩٨	غيبة -تكلم	*
* كذلك زينا لكل أمة عملهم ثم إلى ربهم مرجعهم	=	١٠٨	تكلم-غيبة	X
* وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا.. ولو شاء ربك	=	١١٢	تكلم-غيبة	*
* والذين آتيناهم الكتاب يعلمون أنه منزّل من ربك بالحق	=	١١٤	تكلم -غيبة	X
* وهذا صراط ربك مستقيما قد فصلنا الآيات	=	١٢٦	غيبة-تكلم	X
* ولا تتبع أهواء الذين كذبوا بآياتنا.. وهم بربهم يعدلون	=	١٥	تكلم-غيبة	X
* ثم آتينا موسى الكتاب...لعلهم بلقاء ربهم يؤمنون	=	١٥٤	تكلم-غيبة	X
* فمن أظلم ممن كذب بآيات الله...سنجزي الذين يصدقون	=	١٥٧	غيبة-تكلم	*
* يا بني آدم قد أنزلنا عليكم ..ذلك من آيات الله	الأعراف	٢٦	تكلم-غيبة	X
* فمن أظلم ممن افترى على الله...حتى إذا جاءتهم رسلنا	=	٣٧	غيبة-تكلم	X
* وهو الذي يرسل الرياح...حتى إذا أقلت سحأبا ثقالا سقناه	=	٥٧	غيبة-تكلم	X
* والبلد الطيب يخرج نباته بإذن ربه...كذلك نصرف الآيات	=	٥٨	غيبة-تكلم	X
* لقد أبلغتكم رسالات ربي...فكيف آسى على قوم كافرين	=	٩٣	خطاب-غيبة	X
* تلك القرى نقص عليك...كذلك يطبع الله	=	١٠١	تكلم-غيبة	*

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

* وأورثنا القوم الذين... وتمت كلمة ربك الحسنى...ودمرنا	=	١٣٧	تكلم-غيبة-تكلم	X
* وأتممناها بعشر فتم ميقات ربه أربعين ليلة	=	١٤٢	تكلم-غيبة	X
* ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه	=	١٤٣	تكلم-غيبة	X
* إن الذين اتخذوا العجل سينالهم غضب من ربهم..وكذلك نجزي	=	١٥٢	غيبة-تكلم	X
* إني رسول الله إليكم جميعا...فآمنوا بالله ورسوله	=	١٥٨	تكلم-غيبة	*
* ودرسوا ما فيه والدار الآخرة خير للذين يتقون أفلا تعقلون	=	١٦٩	غيبة-خطاب	*
* وأشهدهم على أنفسهم... أن تقولوا يوم القيامة	=	١٧٢	غيبة-خطاب	*
* ولا يستطيعون لهم نصرا... وإن تدعوهم إلى الهدى	الأعراف	١٩٢- ١٩٣	غيبة -خطاب	*
* يسألونك عن الأنفال قل الأنفال لله والرسول	الأنفال	١	خطاب-غيبة	X
* ومن يشاقق الله ورسوله فإن الله شديد العقاب.ذلكم فذوقوه وأن للكافرين	=	١٣-١٤	غيبة-خطاب- غيبة	*
* وإن تعودوا نعد... وأن الله مع المؤمنين	=	١٩	تكلم-غيبة	X
* وما كان صلاتهم عند البيت..فذوقوا العذاب	=	٣٥	غيبة-خطاب	X
* فأن لله خمسه...إن كنتم آمنتم بالله وما أنزلنا على عبدنا	=	٤١	غيبة-تكلم	X
* ولو ترى إذ يتوفى الذين كفروا الملائكة...وذوقوا عذاب الحريق	=	٥٠	غيبة-خطاب	X
* كدأب آل فرعون...كذبوا بآيات ربهم فأهلكناهم	=	٥٤	غيبة-تكلم	*
* واعلموا أنكم غير معجزي الله وأن الله مخزي الكافرين	التوبة	٢	خطاب-غيبة	*
* أن الله بريء من المشركين...فإن تبتم فهو خير لكم	=	٣	غيبة -خطاب	*
* ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم ...ثم أنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين	=	٢٥-٢٦	خطاب-غيبة	X
* فتكوى بها جباههم..هذا ما كنزتم	التوبة	٣٥	غيبة-خطاب	X
* ولعنهم الله ولهم عذاب مقيم	=	٦٨-٦٩	غيبة-خطاب	*
* أكان للناس عجباً أن أوحينا..أن لهم قدم صدق عند ربهم	يونس	٢	تكلم-غيبة	X
* ولو يعجل الله للناس الشر.. فنذر الذين لا يرجون	=	١١	غيبة-تكلم	*

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

* حتى إذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح طيبة	=	٢٢	خطاب-غيبة	*
* فإلينا مرجعهم ثم الله شهيد على ما يفعلون	=	٤٦١	تكلم-غيبة	*
* ولا تعملون من عمل إلا كناً عليكم شهودا...وما يعزب عن ربك	=	٦١	تكلم-غيبة	*
* ولقد بوأناً بني إسرائيل مبوا صدق...إن ربك يقضي	=	٩٣	تكلم-غيبة	X
* فإن كنت في شك مما أنزلنا...لقد جاءك الحق من ربك	=	٩٤	تكلم-غيبة	*
* فلما جاء أمرناً نجيناً صالحا...إن ربك هو القوي العزيز	هود	٦٦	تكلم-غيبة	X
* وأمطرناً عليها حجارة من سجيل...مسومة عند ربك	=	٨٢-٨٣	تكلم-غيبة	X
* لولا أن رأى برهان ربه كذلك لنصرف عنه لاسوء	يوسف	٢٤	غيبة-تكلم	X
* ويقول الذين كفروا لولا أنزل عليه آية من ربه إنما أنت منذر	الرعد	٧	غيبة-خطاب	X
* لنتلو عليهم الذي أوحيناً إليك وهم يكفرون بالرحمن	=	٣٠	تكلم-غيبة	*
* وكذلك أنزلناه...ولئن اتبعت أهواءهم...مالك من الله من ولي	=	٣٧	تكلم-غيبة	*
* ولقد أرسلناً رسلا.. وما كان لرسول أن يأتي بآية إلا بإذن الله	=	٣٨	تكلم-غيبة	*
* أو لم يروا أناً نأتي الأرض...والله يحكم	=	٤١	تكلم-غيبة	*
* كتاب أنزلناه غليك لتخرج الناس..بإذن ربهم	إبراهيم	١	تكلم- غيبة	X
* وما أرسلناً من رسول إلا بلسان قومه..فيضل الله	=	٤	تكلم-غيبة	*
* وقد أرسلناً موسى بآياتنا.. وذكرهم بأيام الله	=	٥	تكلم-غيبة	*
* إن يشأ يذهبكم ويأتي بخلق جديد ... وبرزوا لله جميعاً	=	١٩-٢١	خطاب-غيبة	X
* ربناً إنك تعلم ما تخفى وما نعلن وما يخفى على الله	=	٣٨	خطاب-غيبة	X
* ولقد علمناً المستقدمين... وإن ربك هو يحشرهم	الحجر	٢٤-٢٥	تكلم-غيبة	*
* ولقد بعثناً في كل أمة رسولا أن أعيدوا لله	النحل	٣٦	تكلم-غيبة	X
* إنما هو إله واحد فإياي فارهبون	=	٥١	غيبة-تكلم	*
* ولقد علمناً المستقدمين...وإن ربك هو يحشرهم	الحجر	٢٤-٢٥	تكلم-غيبة	*
* ولقد بعثناً في كل أمة رسولا أن	النحل	٣٦	تكلم-غيبة	*

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أعيدوا الله				
* إنما هو إله واحد فإياي فارهبون	=	٥١	غيبة-تكلم	*
* ليكفروا بما آتيناهم فتمتعوا فسوف تعلمون	=	٥٥	غيبة-خطاب	*
* ويجعلون لما لا يعلمون نصيباً...تالله لتسألن	=	٥٦	غيبة-خطاب	*
* فاسلكي سبل ربك ذللا يخرج من بطونها شراب	=	٦٩	خطاب-غيبة	*
* وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة ورزقكم من الطيبات أفبالباطل يؤمنون	=	٧٢	خطاب-غيبة	*
* ضرب الله مثلا عبداً..ومن رزقناه مناً رزقاً حسناً	=	٧٥	غيبة-تكلم	*
* والله جعل لكم مما خلق ظلالا...فغن تولوا فإنما عليك البلاغ	=	٨١-٨٢	خطاب-غيبة	*
* الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذأبا	=	٨٨	غيبة-تكلم	X
* وإذا بدلناً آية.. والله أعلم بما ينزل	=	١٠١	تكلم-غيبة	*
* سبحان الذي أسرى بعبده..باركنا..لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير	الإسراء	١	غيبة-تكلم-غيبة	*
* عسى ربكم أن يرحمكم وإن عدتم عدنا	=	٨	غيبة- تكلم	X
* وإن عدتم عدناً وجعلناً جهنم للكافرين حصيرا	=	٨	خطاب-غيبة	*
* وجعلناً الليل والنهار آيتين... لتبتغوا فضلا من ربكم	=	١٢	تكلم- غيبة	*
*وكم أهلكناً من القرون من بعد نوح... وكفى بربك	=	١٧	تكلم-غيبة	X
* كلا نمدهؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك	=	٢	تكلم-غيبة	X
* وربك أعلم بمن في السموات والأرض ولقد فضلناً بعض النبيين	=	٥٥	غيبة-تكلم	X
* وإذ قلناً لك إن ربك أحاط بالناس	=	٦	تكلم-غيبة	X
* وشاركهم في الأموال والأولاد وعدهم وما يعدهم الشيطان إلا غرورا	=	٦٤	خطاب-غيبة	*
* ولئن شئناً لنذهبن بالذي أوحيناً إليك... إلا رحمة من ربك	=	٨٦-٨٧	تكلم-غيبة	X
* ومن يهد الله فهو المعتد ومن يضلل.. ونحشرهم يوم القيامة	=	٩٧	غيبة- تكلم	*
* إنهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى	الكهف	١٣	غيبة -تكلم	*
* وكذلك أعثرناً عليهم ليعلموا أن وعد الله حق	=	٢١	تكلم-غيبة	X

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

* واضرب لهم مثل الحياة الدنياً كماء أنزلناه...وكان الله	=	٤٥	تكلم-غيبة	X
* ويوم يقول نادوا شركائي.. وجعلناً بينهم	=	٥٢	غيبة-تكلم	X
* كذلك قال ربك..وقد خلقتك من قبل	مريم	٩	غيبة-تكلم	*
* ياً يحيى خذ الكتاب بقوة وآتيناه الحكم صبيا	=	١٢	خطاب-غيبة	X
* أولئك الذين أنعم الله عليهم..وممن حملنا..إذا تتلى عليهم آيات الرحمن	=	٥٨	غيبة-تكلم-غيبة	X
* كان على ربك حتما مقضياً.ثم ننجي الذين اتقوا	=	٧١-٧٢	غيبة-تكلم	X
* أفرأيت الذي كفر بآياتنا...أطلع الغيب أم اتخذ عند الرحمن هداً	=	٧٧-٧٨	تكلم-غيبة	*
* وقالوا اتخذ الرحمن ولداً..لقد جئتم شيئاً إدا	=	٨٨-٨٩	غيبة-خطاب	*
* ما أنزلناً عليك القرآن لتشقى...تنزيلا ممن خلق الأرض	طه	٢-٤	تكلم-غيبة	*
* يأخذه عدوٌّ لي وعدوّ له وألقيت عليك محبة مني	=	٣٩	غيبة-خطاب	X
* وأنزل من السماء ماء فأخرجناً به أزواجاً	=	٥٣	غيبة- تكلم	*
* وكذلك أنزلناه قرآناً عربياً... فتعالى الله الملك الحق	=	١١٣- ١١٤	تكلم-غيبة	X
* وكذلك نجزي من أسرف ولم يؤمن بآيات ربه	=	١٢٧	تكلم- غيبة	X
* ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا... ورزق ربك خير	=	١٣١	تكلم-غيبة	X
* بل نقذف بالحق على الباطل... وله من في السموات	الأنبياء	١٨-١٩	تكلم-غيبة	X
* ومن يقل منهم إني إله من دونه فذلك نجزيه جهنم	=	٣٩	غيبة-تكلم	X
* وجعلناً السماء سقفاً محفوظا..وهو الذي خلق الليل والنهار	=	٣٢-٣٣	تكلم-غيبة	*
* ولقد آتيناً موسى وهارون الفرقان... الذين يخشون ربهم	=	٤٨-٤٩	تكلم-غيبة	X
* وأيوب إذ نادى ربه .. فاستجبناً له	=	٨٣-٨٤	غيبة-تكلم	X
* وزكرياً إذ نادى ربه.. فاستجبناً له	=	٨٩-٩٠	غيبة-تكلم	X
* إن هذه أمتكم أمة واحدة.. وتقطعوا أمرهم بينهم	=	٩٢-٩٣	خطاب-غيبة	*
* قال رب احكم بالحق وربناً الرحمن المستعان	=	١١٢	خطاب-غيبة	X
* إن الذين كفروا ويصدون سبيل الله	الحج	٢٥	غيبة-تكلم	X

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والمسجد الحرام الذي جعلناه				
* ولكل أمة جعلناً منسكاً ليذكروا اسم الله	=	٣٤	تكلم-غيبة	X
* الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم...ومما رزقناهم ينفقون	=	٣٥	غيبة-تكلم	X
* ولينصرن الله من ينصره..الذين إن مكناهم في الأرض	=	٤٠-٤١	غيبة-تكلم	X
* وما أرسلناً من قبلك من رسول ولا نبي...فينسخ الله ما يلقى الشيطان	=	٥٢	تكلم-غيبة	X
* الملك يومئذ لله...والذين كفروا وكذبوا بآياتنا	الحج	٥٦-٥٧	غيبة-تكلم	X
* لكل أمة جعلناً منسكاً هم ناسكوه... وادع إلى ربك	=	٦٧	تكلم-غيبة	X
* ثم أنشأناه خلقاً آخر فتبارك الله	المؤمنون	١٤	تكلم-غيبة	*
*فأرسلناً فيهم رسولا منهم أن اعيدوا الله	=	٣٢	تكلم-غيبة	X
* وإن هذه أمتكم أمة واحدة...فتقطعوا أمرهم	=	٥٢-٥٣	خطاب-غيبة	X
* ولقد أخذناهم بالعذاب فما استكانوا لربهم	=	٧٦	تكلم-غيبة	X
* أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا...فتعالى الله الملك الحق	=	١١٥- ١١٦	تكلم-غيبة	X
* لولا إذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيرا	النور	١٢	خطاب-غيبة	*
* قل أطيعوا الله وأطيعوا الرسول فإن تولوا	=	٥٤	تكلم-غيبة	*
* وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم...يعبدونني	=	٥٥	غيبة-تكلم	X
* أولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله فإذا استأذنوك	=	٦٢	غيبة-خطاب	*
* ألا إن لله ما في السموات والأرض قد يعلم ما أنتم عليه ويوم يرجعون إليه	=	٦٤	خطاب غيبة	*
* ويوم يحشرهم.. فقد كذبوكم	=	١٧-١٩	غيبة-خطاب	*
* وجعلناً بعضكم لبعض فتنة أتصبرون وكان ربك بصيرا	=	٢٠	تكلم-غيبة	*
* وكذلك جعلناً لكل نبي عدوا من المجرمين وكفى بربك هاديا	=	٣١	تكلم-غيبة	X
* وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة كذلك لنثبت به فؤادك	=	٣٢	غيبة-خطاب	X
* ألم تر إلى ربك كيف مد الظل...ثم جعلناً الشمس عليه دليلا	=	٤٥	غيبة-تكلم	*

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

* وهو الذي أرسل الرياح بشرا...وأنزلنا	=	٤٨	غيبة-تكلم	*
* ولا تخزني يوم يبعثون يوم لا ينفع مال ولا بنون.إلا من أتى الله بقلب سليم	الشعراء	٨٧-٨٩	خطاب-غيبة	X
* ألا يسجدوا لله الذي يخرج الخبء...ويعلم ما تخفون وما تعلنون	النمل	٢٥	غيبة-خطاب	X
* وأنزل لكم من السماء ماء فأنبتنا به حدائق	=	٦٠	غيبة-تكلم	*
* ويوم نحشر من كل أمة فوجا...إذا جاءوا قال أكذبتم بآياتي	=	٨٣-٨٤	تكلم-غيبة	*
* أكذبتم بآياتي ولم تحيطوا بها علما... ووقع القول عليهم	=	٨٤-٨٥	خطاب-غيبة	X
* فكبت وجوههم في النار هل تجزون إلا ما كنتم تعملون	النمل	٩٠	غيبة-خطاب	*
* وما كنت بجانب الطور إذ نادينا ولكن رحمة من ربك	القصص	٤٦	تكلم-غيبة	*
* وما كان ربك مهلك القرى حتى يبعث في أمها رسولا يتلو عليهم آياتنا	=	٥٩	غيبة-تكلم	*
* أفمن وعدناه وعداً حسناً فهو لاقيه... ويوم يناديهم	=	٦١-٦٢	تكلم-غيبة	X
* ونزعناً من كل أمة شهيداً فقلناً هاتوا برهانكم فعلموا أن الحق لله	=	٧٥	تكلم-غيبة	*
* ولقد فتناً الذين من قبلهم فليعلمن الله	العنكبوت	٣	تكلم غيبة	*
* فليعلمن الله الذين صدقوا...أم حسب الذين يعملون السيئات أن يسبقونا	=	٣-٤	غيبة-تكلم	X
* ووصيناً الإنسان بوالديه...وإن جاهداك لتشرك بي	=	٨	غيبة-خطاب	X
* والذين كفروا بآيات الله ولقائه أولئك يئسوا من رحمتي	=	٢٣	غيبة-تكلم	X
* فكلا أخذناً بذنبه...وما كان الله ليظلمهم	=	٤٠	تكلم-غيبة	X
* فلما نجاهم إلى البر إذا هم يشركون ليكفروا بما آتيناهم	=	٦٥-٦٦	غيبة-تكلم	X
* والذين جاهدوا فيناً لنهدينهم... وإن الله لمع المحسنين	=	٦٩	تكلم-غيبة	X
* ضرب لكم مثلا من أنفسكم ...كذلك نفصل الآيات	الروم	٢٨	غيبة-تكلم	X
* ليكفروا بما آتيناهم فتمتعوا فسوف تعلمون	=	٣٤	غيبة-خطاب	*
* وما آتيتم من زكاة تريدون وجه الله فأولئك هم المضعفون	=	٣٩	خطاب-غيبة	*
* خلق السموات بغير عمد.. وأنزلناً من السماء ماء	لقمان	١٠	غيبة-تكلم	*

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

* إلينا مرجعهم فننبئهم بما عملوا إن الله عليم بذات الصدور	=	٢٣	تكلم–غيبة	X
* فلما نجاهم إلى البر فمنهم مقتصد وما يجحد بآياتنا	=	٣٢	غيبة–تكلم	X
* إنما يؤمن بآياتنا الذين إذا ذكروا بها خروا سجداً وسبحوا بحمد ربهم	السجدة	١٥	تكلم–غيبة	*
* يدعون ربهم خوفاً وطمعاً ومما رزقناهم ينفقون	=	١٦	غيبة–تكلم	X
* ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه...إنا من المجرمين منتقمون	=	٢٢	غيبة–تكلم	X
* وإذا أخذنا من النبيين ميثاقهم...ليسأل الصادقين	الأحزاب	٧–٨	تكلم–غيبة	*
* اذكروا نعمة الله عليكم.. فأرسلنا عليهم ريحاً وجنودا	=	٩	غيبة–تكلم	X
* إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً وداعياً إلى الله	=	٤٥–٤٦	تكلم–غيبة	X
* وبنات خالك وبنات خالاتك...وامرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبي	=	٥٠	خطاب–غيبة	*
* قد علمنا ما فرضنا عليهم...وكان الله غفوراً رحيما	=	٥٠	تكلم–غيبة	X
* لا جناح عليهن في آبائهن...واتقين الله	=	٥٥	غيبة–خطاب	X
* وأسلنا له عين القطر ومن الجن من يعمل بين يديه بإذن ربه	سبأ	١٢	تكلم–غيبة	X
* وما كان له عليهم من سلطان إلا لنعلم...وربك على كل شيء حفيظ	=	٢١	تكلم–غيبة	X
* قل إنما أعظم بواحدة أن تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتفكروا ما بصاحبكم من جنة	=	٤٦	تكلم–غيبة	X
* والله الذي أرسل الرياح فتثير سحابا فسقناه	=	٩	غيبة–تكلم	*
* ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به...	=	٢٧	غيبة–تكلم	*
* والذي أوحينا إليك من الكتاب هو الحق...إن الله بعباده	فاطر	٣١	تكلم–غيبة	X
* ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا ... ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله	=	٣٢	تكلم–غيبة	X
* اتبعوا من لا يسألكم أجراً وهم مهتدون. وما لي لا أعبد الذي فطرني وإليه ترجعون	يس	٢١–٢٢	خطاب–تكلم	*
* فإذاهم جميعاً لدينا محضرون فاليوم لا تظلم نفس شيئاً ولا تجزون إلا ما كنتم تعملون	=	٥٣–٥٤	غيبة–خطاب	X
* رب السموات والأرض وما بينهما..إنا زينا السماء الدنيا	الصافات	٥–٦	غيبة–تكلم	X

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

* بل هم في شك من ذكري... أم عندهم خزائن رحمة ربك	=	٨-٩	تكلم-غيبة	*
* وظن داود أنما فتناه فاستغفر ربه	=	٢٤	تكلم-غيبة	X
* ياَ داود إناَ جعلناك خليفة...ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله	=	٢٦	تكلم-غيبة	X
* واذكر عبدناَ أيوب إذ نادى ربه أني مسني الشيطان	=	٤١	تكلم-غيبة	X
* إناَ أنزلناَ إليك الكتاب بالحق فاعبد الله مخلصا	الزمر	٢	تكلم-غيبة	X
* فبشر عباد...أولئك الذين هداهم الله	=	١٧-١٨	تكلم-غيبة	X
* فأخذتهم فكيف كان عقاب...وكذلك حقت كلمة ربك	غافر	٥-٦	تكلم-غيبة	*
* ولقد أرسلناَ رسلا من قبلك...وما كان لرسول أن يأتي بآية إلا بإذن الله	=	٧٨	تكلم-غيبة	X
* فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسناَ سنة الله	=	٨٥	تكلم-غيبة	X
* وأوحى في كل سماء أمرها وزيناَ السماء الدنياَ بمصابيح وحفظاَ ذلك تقدير العزيز العلي	فصلت	١٢	غيبة.تكلم.غيبة	*
* أو لم يروا أن الله الذي خلقهم هو أشد منهم قوة.. وكانوا بآياتناَ يجحدون	=	١٥	غيبة-تكلم	X
* ذلك جزاء أعداء الله النار...بما كانوا بآياتناَ يجحدون	=	٢٨	غيبة-تكلم	X
* إن الذين يلحدون في آياتناَ لا يخفون عليناَ ...إنه بما تعملون بصير	=	٤٠	تكلم-غيبة	X
* ولقد آتيناَ موسى الكتاب...ولولا كلمة سبقت من ربك	=	٤٥	تكلم-غيبة	X
* سنريهم آياتناَ في الآفاق...أو لم يكف بربك	=	٥٣	تكلم-غيبة	X
* شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاَ والذي أوحيناَ إليك	=	١٣	غيبة-تكلم	*
* ويعلم الذين يجادلون في آياتنا	=	٣٥	غيبة-تكلم	X
* والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة ومما رزقناهم	=	٣٨	غيبة-تكلم	X
* والذي نزل من السماء ماء بقدر فأنشرناَ به بلدة ميتا	الزخرف	١١	غيبة-تكلم	*
* أهم يقسمون رحمة ربك نحن قسمنا... ورحمة ربك	=	٣٢	غيبة.تكلم.غيبة	X
* ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا	=	٣٦	غيبة-تكلم	X
* واسأل من أرسلناَ من قبلك من رسلناَ أجعلناَ من دون الرحمن آلهة يعبدون	=	٤٥	تكلم-غيبة	X

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

X	خطاب-غيبة	٦٨-٦٩	=	* يا عباد لا خوف عليكم...الذين آمنوا بآياتنا وكانوا مسلمين
*	غيبة-خطاب	٧١	=	* يطاف عليهم بصحاف من ذهب... وأنتم فيها خالدون
X	غيبة-خطاب	٨٨-٨٩	=	* وقيله يارب إن هؤلاء قوم لا يؤمنون .فاصفح عنهم
*	تكلم-غيبة	٥-٦	الدخان	* أمراً من عندنا إنا كنا مرسلين. رحمة من ربك
*	غيبة-خطاب	١٤-١٥	=	* ثم تولوا عنه وقالوا معلم مجنون إنا كاشفوا العذاب قليلا إنكم عائدون
X	تكلم-غيبة	٦	الجاثية	* تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق فبأي حديث بعد الله وآياته يؤمنون
X	تكلم-غيبة	١٧	=	* وآتيناهم بينات من الأمر...إن ربك يقضي بينهم
X	تكلم-غيبة	١٨-١٩	=	* ثم جعلناك على شريعة من الأمر...إنهم لن يغنوا عنك من الله شيئا
X	تكلم-غيبة	٢٩-٣٠	=	* إنا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون..فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيدخلهم ربهم
*	خطاب-غيبة	٣٥	=	* ذلكم بأنكم اتخذتم آيات الله هزوا...فاليوم لا يخرجون منها
X	غيبة-تكلم	٢-٣	الأحقاف	* تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم ما خلقنا السموات...
X	غيبة-تكلم	٢٥	=	* تدمر كل شيء بأمر ربها كذلك نجزي القوم المجرمين
X	تكلم-غيبة	٢٦	=	خطاب-غيبة* وجعلنا لهم سمعاً وأبصاراً وأفئدة...إذ كانوا يجحدون بآياغيبة-خطابت الله
X	تكلم-غيبة	٢٧-٢٨	=	* ولقد أهلكنا ما حولكم...فلولا نصرهم الذي اتخذوا من دون الله
*	غيبة-خطاب	٢١-٢٢	محمد	* فإذا عزم الأمر فلو صدقوا الله ...فهل عسيتم إن توليتم
*	خطاب-غيبة	٢٢-٢٣	=	* فهل عسيتم إن توليتم...أولئك الذين لعنهم الله
*	تكلم-غيبة	١-٢	الفتح	* إنا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله
X	غيبة-تكلم	٧-٨	=	* ولله جنود السموات والأرض...إنا أرسلناك
X	تكلم-غيبة	٨-٩	=	* إنا أرسلناك شاهدا...لتؤمنوا بالله
X	غيبة-تكلم	١٣	=	* ومن لم يؤمن بالله ورسوله فإنا أعتدنا للكافرين سعيرا
X	خطاب-غيبة-خطاب	٢٠	=	* وكف أيدي الناس عنكم ولتكون آية المؤمنين ويهديكم

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

* حبب إليكم الإيمان...أولئك هم الراشدون	الحجرات	٧	خطاب-غيبة	*
* وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما	=	٩	غيبة-خطاب	X
* إنا خلقناكم من ذكر وأنثى.. إن أكرمكم عند الله أتقاكم	=	١٣	تكلم-غيبة	X
* ما يلفظ من قول...وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد	=	١٨-١٩	غيبة-خطاب	X
* ادخلوها بسلام...لهم ما يشاءون فيها	=	٣٤-٣٥	خطاب-غيبة	X
* وفي الأرض آيات للموقنين..وفي أنفسكم	الذاريات	٢٠-٢٠	غيبة-خطاب	X
* ما أريد منهم من رزق...إن الله هو الرزاق ذو القوة	=	٥٧-٥٨	تكلم-غيبة	X
* ووقاهم ربهم عذاب الجحيم...كلوا واشربوا	الطور	١٨-١٩	غيبة-خطاب	X
* كلوا واشربوا...متكئين على سرر مصفوفة وزوجناهم	=	١٩-٢٠	خطاب-غيبة	X
* أم لهم سلم يستمعون فيه...أم له البنات ولكم البنون	=	٣٨-٣٩	غيبة-خطاب	*
* واصبر لحكم ربك فإنك بأعيننا وسبح بحمد ربك	=	٤٨	غيبة.تكلم.غيبة	X
* إن هي إلا أسماء سميتموها... إن يتبعون إلا الظن	النجم	٢٣	خطاب-غيبة	*
* فأعرض عن من تولى عن ذكرنا...ذلك مبلغهم من العلم إن ربك...	=	٢٩-٣٠	تكلم-غيبة	X
* كذبت قبلهم قوم نوح فكذبوا عبدنا...فدعا ربه...	القمر	٩-١٠	تكلم-غيبة	X
فدعا ربه أني مغلوب فانتصر.ففتحنا أبواب السماء	=	١٠-١١	غيبة-تكلم	X
* فبأي آلاء ربكما تكذبان.سنفرغ لكم	الرحمن	٣٠-٣١	غيبة-تكلم	X
* فشاربون شرب الهيم.هذا نزلهم يم الدين	=	٥٥-٥٦	خطاب-غيبة	X
* نحن جعلناها تذكرة ومتاعا للمقوين فسبح باسم ربك العظيم	=	٧٣-٧٤	تكلم-غيبة	X
* اعلموا أن الله يحيي الأرض بعد موتها قد بينا لكم الآيات	=	١٧	غيبة-تكلم	X
* أولئك هم الصديقون والشهداء عند ربهم...والذين كفروا وكذبوا بآياتنا	=	١٩	غيبة-تكلم	X
* ما أصاب من مصيبة...إلا في كتاب من قبل أن نبرأها إن ذلك على الله يسير	=	٢٢	تكلم-غيبة	X
* فإن الله هو الغني الحميد.لقد أرسلنا رسلنا بالبينات	=	٢٤-٢٥	غيبة-تكلم	X

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

* وأنزلناً الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس وليعلم الله من ينصره	=	٢٥	تكلم–غيبة	X
* ما كتبناها عليهم إلا ابتغاء رضوان الله..فآتيناً الذين آمنوا...	=	٢٧	تكلم.غيبة.تكلم	X
* إن الذين يحادون الله ورسوله كبتوا...وقد أنزلناً آيات	المجادلة	٥	غيبة–تكلم	X
* ألم تر إلى الذين نهوا...ويتناجون بالإثم والعدوان ومعصية الرسول وإذا جاءوك	=	٨	خطاب–غيبة – خطاب	X
* وتلك الأمثال نضربها...هو الله	الحشر	٢١–٢٢	تكلم–غيبة	X
* أن تؤمنوا بالله ربكم إن كنتم خرجتم جهاداً في سبيلي	الممتحنة	١	غيبة–تكلم	*
* قال الحواريون نحن أنصار الله فآمنت طائفة من بني إسرائيل وكفرت طائفة فأيدناً الذين آمنوا	الصف	١٤	غيبة–تكلم	X
* وإذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله ...ورأيتهم يصدون	المنافقون	١٥	غيبة–خطاب	X
* فآمنوا بالله ورسوله والنور الذي أنزلناً والله بما تعملون خبير	التغابن	٨	غيبة.تكلم.غيبة	*
* وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول فإن توليتم فإنما على رسولنا	=	١٢	غيبة–تكلم	*
* وكأين من قرية عتت عن أمر ربها ورسله فحاسبناها	الطلاق	٨	غيبة–تكلم	X
* ومريم ابنة عمران التي أحصنت فرجها فنفخناً فيه..وصدقت بكلمات ربها وكتبه	التحريم	١٢	تكلم–غيبة	X
* وأعتدناً لهم عذاب السعير.وللذين كفروا بربهم عذاب جهنم	الملك	٥–٦	غيبة–تكلم	X
* أمّن هذا الذي يرزقكم إن أمسك رزقه بل لجّوا في عتو ونفور	=	٢١	خطاب–غيبة	X
* قل أرأيتم إن أهلكني الله ومن معي أو رحمناً فمن يجير الكافرين	=	٢٨	خطاب–غيبة	*
* إن للمتقين عند ربهم جنات النعيم.أفنجعل المسلمين كالمجرمين	القلم	٣٤–٣٥	غيبة–تكلم	X
* أفنجعل المسلمين كالمجرمين .ما لكم كيف تحكمون	=	٣٥–٣٦	غيبة–خطاب	*
* فأخذهم أخذة رابية...إناً لما طغى الماء حملناكم	الحاقة	١٠–١١	غيبة–تكلم	X
* تنزيل من رب العالمين.ولو تقول علينا	=	٤٣–٤٤	غيبة–تكلم	X
* فلا أقسم برب المشارق والمغارب إناً لقادرون	المعارج	٤٠	تكلم.غيبة.تكلم	X
* لنفتنهم فيه ومن يعرض عن ذكر ربه	الجن	١٧	تكلم–غيبة	X

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

* رب المشرق والمغرب...وذرني والمكذبين	المزمل	٩-١١	غيبة-تكلم	X
* ثم ذهب إلى أهله يتمطى.أولى لك فأولى	القيامة	٣٣-٣٤	غيبة-خطاب	X
* وسقاهم ربهم شاراً طهورا.إن هذا كان لكم جزاء	الإنسان	٢١-٢٢	غيبة-خطاب	X
* إناً نحن نزلناً عليك القرآن تنزيلا فاصبر لحكم ربك	=	٢٣-٢٤	تكلم-غيبة	X
* وإذا شئناً بدلناً أمثالهم تبديلا. إن هذه تذكرة فمن شاء اتخذ إلى ربه سبيلا	=	٢٨-٢٩	تكلم-غيبة	X
* فمن شاء اتخذ إلى ربه مآبا.إناً أنذرناكم عذأبا قريبا	النبأ	٣٩-٤٠	غيبة-تكلم	X
* عبس وتولى. أن جاءه الأعمى.وما يدريك لعله يزكى	عبس	١-٣	غيبة-خطاب	*
* فلا أقسم بالخنس...ذي قوة عند ذي العرش مكين	التكوير	١٥-٢٠	تكلم-غيبة	X
* إن هو إلا ذكر للعالمين.لمن شاء منكم أن يستقيم	=	٢٧-٢٨	غيبة-خطاب	X
* بلى إن ربه كان به بصيرا.فلا أقسم بالشفق	الانشقاق	١٥-١٦	غيبة-تكلم	X
* سنقرئك فلا تنسى.إلا ما شاء الله	الأعلى	٦-٧	تكلم-غيبة	*
* إنه يعلم الجهر وما يخفى.ونيسرك لليسرى	=	٧-٨	غيبة-تكلم	*
* فيعذبه الله العذاب الأكبر.إناً إليناً إيابهم	الغاشية	٢٤-٢٥	غيبة-تكلم	X
* فيقول ربي أهانن.كلا بل لا تكرمون اليتيم	الفجر	١٦-١٧	غيبة-خطاب	*
* ارجعي إلى ربك راضية مرضية.فادخلي في عبادي	=	٢٨-٢٩	غيبة-تكلم	X
* ورفعناً لك ذكرك...وإلى ربك فارغب	الشرح	٤-٨	تكلم-غيبة	X
* لقد خلقناً الإنسن في أحسن تقويم...فما يكذبك	التين	٤-٧	غيبة-خطاب	*
* لقد خلقناً الإنسان...أليس الله بأحكم الحاكمين	=	٤-٨	تكلم-غيبة	X
* كلا إن الإنسان ليطغى. أن رآه... إن إلى ربك الرجعى	العلق	٦-٧-٨	غيبة-خطاب	*
* أرأيت الذي ينهى. عبداً إذا صلى	=	٩-١٠	خطاب-غيبة	X
* ألم يعلم بأن الله يرى. كلا لئن لم ينته لنسفعاً	=	١٤-١٥	غيبة-تكلم	X
* إناً أنزلناه ...تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم	القدر	١-٤	تكلم-غيبة	X

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

* إناَ أعطيناك الكوثر...فصل لربك وانحر	الكوثر	١-٢	تكلم-غيبة	X

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الخاتمـــــة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد الخلق والمرسلين محمــد وآلــه وصحبه والتابعين أما بعد،،،

فلقد يسر الله للباحث بفضله وجوده، بحث هذا الموضوع، للوقوف على فــن مــن فنون الكتاب بديع، وعلم من علوم البلاغة رفيع، ليظفر بمجموعة من الفوائد الجلية والغرر البهية، مما استفاده من علمائنا خير البرية، فعمد إلى أقوالهم لعرضها بصفاء ذهن وخلــو نفس من أي طوية، مودعاً في ما أبداه من أوراق خلاصة ما وقع عليه من تلكم الفوائــد، ومجامع ما أفاده من هذه الفرائد.

وبعد العرض لتلك الأقوال وتمحيصها خلص الباحث للنتائج التالية:

فن الالتفات فن أصيل ورد في أشعار الجاهلية وعدوه من فنون القول، ودلالة على قدرة الشاعر على التصرف في الكلام.

١. وردت الأشارة إلى هذا العلم في كتابات السابقين الأوائل دون أن يسموه.
٢. اختلف العلماء في تسمية هذا العلم قديماً، كما اختلفوا في تحديد مصاديقه.
٣. يعد الزمخشري أول من أصل لهذا الفن ونــصص علــى أغراضــه العامــة والخاصة.
٤. كل من جاء بعد الزمخشري أخذ عنه وأفاد منه في عد الأغراض.
٥. يعد السكاكي أول من ضبط هذا العلم مع اضطرابه في إلحاقه بعلم المعاني أو البديع.
٦. لم يتفق العلماء بعد السكاكي على مصاديق هذا العلم ولا على عده فنــاً مــن علوم المعاني أو البديع.
٧. المرجح عند الباحث قصر الالتفات على التغاير بين الضمائر، وهو عنده مــن علم المعاني.
٨. للالتفات أغراض عامة وأخرى خاصة.
٩. تشترك كل المواضع بالأغراض العامة، ويختص كل منها بلطائف.
١٠. قد يكون للالتفات في الموضع الواحد أغراض عدة.
١١. مدار إدراك الأغراض مرده إلى الذوق، وأي ذوق، إنما هو الذوق السليم لمن وقف على أسرار اللغة والنحو والبلاغة.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

١٢. بعض الأغراض قد تكون مشتركة بين مختلف أنواع الالتفات.
١٣. قد يتفق العلماء على غرض معين لبعض المواضع.
١٤. قد يتباين قول العلماء في أغراض الالتفات عند موضع من المواضع.
١٥. اعتنى أبو السعود بدراسة الالتفات وعد أغراضه العامة على طريقة الزمخشري وتوسع في ذكر أغراضه الخاصة.
١٦. كان لأبي السعود دور ملموس وواضح في التنقيب عن أغراض خاصة مما لم يقف عليه سابقوه.
١٧. كان لدراسة أبي السعود للالتفات أثر في الدراسات التفسيرية لمن جاء بعده.
١٨. لا زال الأمر متاحاً للباحثين للوقوف على أغراض جديدة للالتفات.

هذا خلاصة ما وصل إليه الباحث في رسالته، وتجدر الإشارة في هذا المقام إلى أن الموضوع ما زال بحاجة للخدمة من أجلة العلماء في ما يلي:

١. التأريخ لهذا العلم.
٢. ضبط مصطلحه وما يتعلق بتصنيفه وإلحاقه بعلم المعاني أو البديع.
٣. الوقوف على أغراضه الخاصة مما لم يقف عليه السابقون.

وفي الختام لا يسع الباحث إلا أن يتوجه للبر الرحيم بأن يقبل مني العمل خالصاً لوجهه الكريم، وأن يجزيني عليه خير الجزاء بفضله العميم، وأن يجزي عني كل خير من كانت لهم سابقة فضل علي، وأن يأجرهم ويجعل جهدي في ميزان حسناتهم.

كما نسأله جل على الإنعام، بحبنا لسيدنا رسول الله وبعملنا هذا إذا قبله منا أن يفرج لنا الكرب وييسر الأمور ويرفع عن أمتنا ما نزل بها من سوء، إنه أكرم مسؤول وخير معط.

وبعد كل هذا ، فالرجاء من قارئ الرسالة كل الرجاء، أن يدعو لكاتبها بسر وخفاء بأن لا تتخطفني الأهواء، وأن أزين بالحلم والأناة والحياء، وأن أُبعد عن مظان زهو النفس والكبرياء، وأنقى من الشرك والنفاق والرياء، وأن يغفر الله ما كان لي من زلة في كل ذلك وغيره من الأخطاء، وأن ألحق بركب العلماء ، وأرتع من الجنان في علياء، لأنعم برفقة

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الصالحين والمخلصين والأنبياء، وأن أسقى شربة لا ظما بعدها من يد سيد الأصفياء ، وأن يجزي الله والديَّ ومشايخي عني خير الجزاء .

وفي الختام أقول:

ما للقــوافي تعاصيــني فــلا أجد	**و أرتجيها فــلا تــأتي ولا تــرد**
مــا للقــوافي تعاصيــني ولا تفد	**وإن أتــت ففرادى وهــي ترتعــد**
إني سعيــت وعــين الحق ترقبني	**لســد عيــب بــه الأوراق تتــئد**
فإن وجــدتَ صوأبا أنــتَ تعرفــه	**فامنــح بجــود لعــل الفكر يتقد**
و إن زللــتُ بجهـــل لست أنكره	**فاعذر بفضل فلستُ مثل من رقدوا**

ولقد كان فراغي من هذا والتمام، في الحادي والعشرين من شهر ذي القعدة لعــام ثمانية وعشرين وأربعمئة وألف من هجرة سيد الأنام، والحمد لله في الختام.

والله يجزي سيدنا محمداً صلى الله عليه وسلم وآله وصحبه وأصحاب الفضل علينا خير الجزاء،،،

والحمد لله رب العالمين

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المراجع والمصادر

ابن الأثير، ضياء الدين،(ت٦٣٧هـ). **الجامع الكبير**، ١م، (تحقيق مصطفى جواد وجميل سعيد)، مطبعة المجمع العلمي العراقي، بغداد، ١٩٥٦م.

ـــــــــــــــــــــ. **المثل السائر**، ٤م، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٥٩م.

ابن الأثير الحلبي، نجم الدين إسماعيل، (ت٨٣٧ هـ). **جوهر الكنز تلخيص كنز البراعة في أدوات ذي البراعة**، ١م، (تحقيق محمد زغلول سلام)، منشأة المعارف، الإسكندرية.

الأدنوري، أحمد بن محمد. **طبقات المفسرين**، ١م، (تحقيق سليمان بن صالح الخزي)، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ١٩٩٧م.

الأرجاني، ناصح الدين أحمد بن محمد بن الحسين، (ت٥٤٤هـ). **ديوان الأرجاني**، ١م، (تحقيق محمد محمد قاسم مصطفى)، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، بغداد، ١٩٧٩م.

امرؤ القيس ، حندج بن حجر، (ت٨٠ ق. هـ). **ديوان امرؤ القيس**، ١م، دار المعرفة، بيروت، ٢٠٠٣م.

الآلوسي، أبو الفضل محمود، (ت١٢٧٠هـ). **روح المعاني**، ط١، ١٦م ، (تحقيق علي عبد الباري عطية)، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠١م.

الباقلاني، أبو بكر محمد بن الطيب، (ت٤٠٣هـ). **إعجاز القرآن** ، ط١، ١م، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٦م .

البغدادي، إسماعيل بن محمد الباباني، (ت١٣٣٩هـ). **هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين**، ٢م، دار الفكر، القاهرة، ١٩٨٢م.

البغدادي، قدامة بن جعفر (ت٣٣٧هـ). **نقد الشعر**، (تحقيق محمد عبد المنعم خفاجي)، طبعة الكليات الأزهرية، القاهرة.

البيضاوي، عبد الله بن عمر، (ت٦٥٨هـ). **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**، ط١، ١م، (محمد عبد الرحمن المرعشلي)، دار إحياء التراث، بيروت، ١٩٩٨م.

التفتازاني، مسعود بن عمر، (ت٧٩٢هـ). **المطول شرح التلخيص**، ٢م، (تحقيق عبد الحميد هنداوي)، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٠م.

ـــــــــــــــــــــ . **مختصر المعاني على شرح التلخيص**، ١م، مطبعة عطايا، مصر.

ـــــــــــــــــــــ. **مختصر العلامة التفتازاني على التلخيص، ويليه تقرير الشيخ الأنبابي**، ١م، مطبعة محمد علي صبيح، القاهرة، ١٢٤٧هـ.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

التنوخي، محمد بن محمد بن عمر. **الأقصى القريب في علم البيان**، ١م، مطبعة السعادة، مصر، ١٣٢٧هـ.

الجرجاني، السيد الشريف علي بن محمد الحسيني (ت٨١٦هـ). **حاشية السيد على الكشاف**، مطبوع بهامش الكشاف، ط١، ٤م ، دار الفكر، ١٩٧٧م.

الجرجاني، علي بن عبد العزيز، (ت٣٩٢هـ). **الوساطة بين المتنبي وخصومه**، ١م، مطبعة عيسى الحلبي، القاهرة.

جرير، جرير بن عطية (ت ١١٤هـ). **ديوان جرير**، ١م، دار صادر، بيروت.

ابن الجزري، شمس الدين محمد بن محمد بن علي بن يوسف (ت٨٣٨هـ). **تحبير التيسير**، (تحقيق أحمد القضاة)، ط١، ١م، دار الفرقان، عمان، ٢٠٠٠م.

ابن جني، عثمان أبو الفتح، (ت٣٩٢هـ). **المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح**، ١م، (تحقيق عبد الحليم النجار وعبد الفتاح إسماعيل)، القاهرة، ١٣٨٦هـ.

الجوهري، أبو النصر إسماعيل بن حماد (ت٣٩٣هـ). **الصحاح**، ط٢، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٧٩م.

حاجي خليفة، مصطفى بن عبد الله، (ت١٠٦٧هـ). **كشف الظنون**، ١٢م، دار الفكر، القاهرة، ١٩٨٢م.

ابن أبي الحديد. **الفلك الدائر على المثل السائر**، (تحقيق أحمد الحوفي)، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، مصر.

حقي، إسماعيل حقي بن مصطفى، (ت١١٣٧هـ). **روح البيان**، ط١، ٤م، إحياء التراث، بيروت، ٢٠٠١.

الحلبي، شهاب الدين محمود الحلبي (ت٧٢٥هـ). **حسن التوسل إلى صناعة الترسل**، ١م، (تحقيق أكرم عثمان)، دار الرشيد للنشر، ١٩٨٠م.

الحموي، ابن حجة (ت٨٣٧هـ). **خزانة الأدب وغاية الأرب**، ١٢م، دار القاموس الحديث، بيروت.

الحنفي، علي بن بالي. **العقد المنظوم في ذكر أفاضل الروم**، مطبوع بذيل كتاب وفيات الأعيان، ٢م، المطبعة الميمنية، القاهرة، ١٨٩٢م.

الحنبلي، ابن العماد، (ت ١٠٨٩هـ). **شذرات الذهب**. ط١، ٤م، ابن كثير.

أبو حيان، محمد بن يوسف بن علي (ت٧٤٥هـ). **البحر المحيط**، ٦م، دار الفكر، بيروت.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الخفاجي، عبد الله بن محمد، (ت٤٦٦هـ). **سر الفصاحة**، ١م، (تحقيق عبد المتعال الصعيدي)، طبعة محمد علي صبيح.

ابن دريد، محمد بن الحسن، (ت٣٢١هـ). **جمهرة اللغة**، ط١، ٤م، مكتبة المثنى، بغداد، ١٩٧٠م.

الدينوري، عبد الله ابن مسلم ابن قتيبة، (ت٢٧٦هـ). **تأويل مشكل القرآن**، ١م، دار إحياء الكتب.

ديوان الهذليين، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٦٥م.

الذهبي، محمد حسين. **التفسير والمفسرون**. ط١. ٣ج. بيروت: دار الأرقم.

الرازي، فخر الدين، (ت٦٠٦هـ). **نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز**، ١م، مطبعة الآداب، القاهرة، مصر، ١٣١٧هـ.

الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد، (ت٥٠٢هـ). **المفردات**، ط٢، ١م، دار المعرفة، بيروت، ١٩٩٩م.

رضا، محمد رشيد، (٢٠٠٢م). **المنار**. ط١. ١٢م. بيروت: دار إحياء التراث.

الرماني، علي بن عيسى، (ت٢٩٦هـ). **النكت في إعجاز القرآن**، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، ط٤، ١م، (تحقيق محمد خلف الله ومحمد زغلول سلام)، دار المعارف، القاهرة.

زايد، عبد الرزاق أبو زيد. **المصطلحات البلاغية والنقدية في كتاب الطراز**. ١م. مصر: مطبعة الشباب.

الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله، (ت٧٩٤هـ). **البرهان في علوم القرآن**، ٤م، دار الجيل، بيروت.

الزمخشري، محمود بن عمر، (ت٥٣٨هـ). **أساس البلاغة**، ١م، دار ومطابع الشعب، القاهرة.

________. **الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**، ط١، ٤ج، دار الفكر، ١٩٧٧م.

الزملكاني، كمال الدين بن عبد الكريم، (ت٦٥١هـ). **البرهان الكاشف في إعجاز القرآن**، ط١، ١م، (تحقيق خديجة الحديثي وأحمد مطلوب)، مطبعة العاني، بغداد، ١٩٧٤م.

________. **التبيان في علم البيان المطلع على إعجاز القرآن**، ط١، ١م، مطبعة العاني، بغداد، ١٩٦٤م

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الزوزوني، الحسين بن أحمد (ت٤٨٦هـ). **شرح المعلقات السبع**، ط١، ١ج، دار المعرفة، بيروت ، ٢٠٠٣م.

السبكي، بهاء الدين، (ت٧٦٣هـ). **عروس الأفراح**، ١م، (تحقيق عبد الحميد هنداوي)، المكتبة العصرية، صيدا، ٢٠٠٣م.

السكاكي، يوسف بن أبي بكر بن محمد، (ت٦٢٦هـ). **مفتاح العلوم**، ١م، طبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة.

السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن، (ت٩١١هـ). **الاتقان في علوم القرآن**، ط١، ٥ج، مؤسسة النداء، أبو ظبي، ٢٠٠٣م.

ــــــــــــــــ. **معترك الأقران**، ٣م، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٦٩م.

الشربيني، عبد الرحمن. **فيض الفتاح على حواشي شرح تلخيص المفتاح**، ط١، ٤م، مطبعة مدرسة والدة عباس الأول، القاهرة، ١٩٠٦م.

شروح التلخيص وهي مختصر العلامة سعد الدين التفتازاني على تلخيص المفتاح للخطيب القزويني، ومواهب الفتاح في شرح تلخيص المفتاح لابن يعقوب المغربي وعروس الأفراح شرح تلخيص المفتاح لبهاء الدين السبكي، وبهامشه كتاب الإيضاح للقزويني ومعه حاشية الدسوقي على شرح السعد، مطبعة عيسى البابي الحلبي، مصر.

الشوكاني، محمد بن علي، (ت١٢٥٠هـ). **فتح القدير**، ط٢، ٥م، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٣م.

الصعيدي، عبد المتعال. **بغية الإيضاح**. ١م. مكتبة الآداب ومطبعتها.

الصفدي، صلاح الدين بن أيبك، (ت٧٦٤هـ). **الغيث المسجم في شرح لامية العجم**، ط١، ٢م، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٧٥م.

طبل، د.حسن. **أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية.**

طنطاوي، محمد سيد، (١٩٨٦م). التفسير الوسيط. ط٢.

الطوفي، سليمان بن عبد القوي، (ت٧١٦هـ). **الأكسير في علم التفسير**، ١م، (تحقيق عبد القادر حسين)، المطبعة النموذجية.

ابن عاشور، محمد الطاهر. **التحرير والتنوير**. تونس: دار سحنون.

عامر، محمد علي، (٢٠٠٤م). **تاريخ الامبراطورية العثمانية دراسة تاريخية اجتماعية**. ط١. ١م. دار الصفدي.

عباس، فضل حسن، (٢٠٠٥م). **التفسير أساسياته واتجاهاته**. ط١. عمان: مكتبة دنديس.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

العباسي، عبد الرحيم بن أحمد، (ت٩٦٣هـ). **معاهد التصيص على شواهد التلخيص**، ٢م، عالم الكتب، بيروت، ١٩٤٧م.

أبو عبيدة، معمر بن المثنى، (ت٢٠٩هـ). **مجاز القرآن**، ٢م، مكتبة الخانجي، مصر، ١٩٦٢م.

عتيق، عبد العزيز، (١٩٧٤م). **علم البديع**. بيروت: دار النهضة العربية.

ابن عجيبة، أبو العباس أحمد بن محمد، (ت١٢٢٤هـ). **البحر المديد**، ط١، الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٢م.

العسكري، أبو الهلال (ت٣٩٥هـ). **كتاب الصناعتين للكتابة والشعر**، ط١، ١م، مطبعة عيسى البابي الحلبي، ١٩٥٢م.

عصام الدين الحنفي، إبراهيم بن محمد بن عربشاه، (ت٩٤٥هـ). **الأطول شرح التلخيص**، ٢م، (تحقيق عبد الحميد هنداوي)، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٠م.

العقد الثمين في دواويين الشعراء الجاهليين، المدرسة الكلية الملكية، غريفزولد، ١٨٨٩م.

عكاوي، إنعام فوال. **المعجم المفصل في علوم البلاغة**. ١م. بيروت: دار الكتب العلمية.

علان، إبراهيم محمود، (٢٠٠٢م). **البديع في القرآن أنواعه ووظائفه**. ط١. ١م. الشارقة: دائرة الثقافة والإعلان.

العلوي، مظفر الفضل، (ت٦٥٦هـ). **نضرة الإغريض في نصرة القريض**، ١م، (تحقيق نهى عارف الحسن)، الجامعة اللبنانية، بيروت، ١٩٧٦م.

العلوي، يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم، (ت٧٤٥هـ). **الطراز**، ٣م، مطبعة المقتطف، مصر، ١٩١٤م.

العمادي، محمد بن محمد، (ت٩٨٢هـ). **إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم**، ط١، ٩ج، دار إحياء التراث، بيروت.

عواد، الخوري بولس، (٢٠٠٠م). **العقد البديع في فن البديع**. ط١. ١م. بيروت: دار المواسم.

ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكرياً القزويني ، (ت٣٩٥هـ). **معجم مقاييس اللغة**، ط٢، ١م، (تحقيق عبد السلام هارون)، مطبعة مصطفى الحلبي، مصر، ١٩٧٢م.

الفراء، يحيى بن زياد بن عبد الله، (ت٢٠٧هـ). **معاني القرآن**، ٣م، (تحقيق أحمد يوسف نجاتي، محمد علي النجار)، الهيئة المصرية، القاهرة.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفيروزآبادي، محمد بن يعقوب، (ت٨٢٣هـ). **القاموس المحيط**، ٤م، المؤسسة العربية، بيروت، ١٩٥٢م.

القرطاجني، أبو الحسن حازم بن محمد بن حسن، (ت٦٨٤هـ). **منهاج البلغاء** ،ط٣، ١م، دار الغرب، بيروت، ١٩٨٦م.

القرطبي، محمد بن أحمد، (ت٦٧١هـ). **الجامع لأحكام القرآن**، ١٠م، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

القزويني، جلال الدين محمد بن عبد الرحمن، (ت٧٣٩هـ). **الايضاح في علوم البلاغة**، ط١، ١م، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٥م.

ـــــــــــــــــ. **التلخيص في علوم البلاغة**، ١م، دار الكتاب العربي، بيروت.

القنائي، أبو العباس أحمد، **الكافي في العروض والقوافي**، الناشر محمد علي صبيح، القاهرة.

القيرواني، ابن رشيق، (ت٤٦٣هـ). **العمدة في صناعة الشعر ونقده**، ٢م، دار الكتب العلمية، بيروت.

ابن القيم، شمس الدين ابن عبد الله، (ت٧٥٢هـ). **الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان**، ط١، ١م، مطبعة السعادة، مصر، ١٣٢٧هـ.

الكاتب، أبو الحسين إسحاق بن إبراهيم، (ت١٩٧هـ). **البرهان في وجوه البيان**، ١م، (تحقيق أحمد مطلوب، خديجة الحديثي)، جامعة بغداد، بغداد.

اللكنوي الهندي، العلامة أبي الحسنات محمد عبد الحي، (ت١٣٠٤هـ). **الفوائد البهية في تراجم الحنفية مع التعليقات النسفية**، ١م، (تصحيح محمد بدر الدين النعساني)، دار الكتاب الإسلامي.

ابن مالك، بدر الدين بن عبد الله، (ت٦٧٢هـ). **المصباح في علم المعاني والبيان والبديع**، ط١، ١م، ١٣٤١هـ.

المبرد، أبو العباس محمد بن يزيد، (ت٢٨٥هـ). **الكامل**، ٤م (تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم)، مطبعة نهضة مصر، القاهرة.

المتنبي، أبو الطيب أحمد بن الحسين (ت٣٥٤هـ). **ديوان المتنبي بشرح أبي البقاء العكبري**، ٢م، (تحقيق الأفست)، دار المعرفة، بيروت، ١٩٧٨م.

المدني، السيد علي صدر الدين بن معصوم، (ت١١٢٠هـ). **أنوار الربيع في أنواع البديع**، ط١، ١م، (تحقيق شاكر هادي شكر)، مطبعة النعمان، ١٩٦٨م.

المراغي، أحمد مصطفى. **علوم البلاغة**. ط٥. ١م. المكتبة المحمودية.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المشني، د.مصطفى إبراهيم، (١٩٩١م). **ابن العربي المالكي الإشبيلي وتفسيره أحكام القرآن دراسة وتحليل**. ط١. بيروت: دار الجيل، عمان: دار عمار.

المصري، ابن أبي الأصبع، (ت٦٥٤هـ). **بديع القرآن**، ١م، (تحقيق حفني شرف).

ـــــــــــــــ. **تحرير التحبير**، ١م، (تقديم وتحقيق حفني محمد شرف)، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية – لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة ،١٣٨٣ هـ).

مطلوب، أحمد، (١٩٨٣م). **معجم المصطلحات البلاغية وتطورها**. ٣م. العراق: مطبعة المجمع العلمي العراقي.

ابن المعتز، عبد الله، (ت٢٩٦هـ). **البديع**، ١م، دار المسيرة، بيروت.

ابن معطي، يحيى، (ت٦٢٧هـ). **البديع في علم البديع**، ط١، ١م، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، ٢٠٠٣م.

المفضليات، ط٣، ١م (تحقيق وشرح أحمد شاكر ،عبد السلام هارون)، دار المعارف، ١٩٦٤م.

ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم، (ت٧١١هـ). **لسان العرب**، ١٥م، دار صادر، بيروت.

ابن منقذ، أسامة بن مرشد بن علي، (ت٥٨٤هـ). **البديع في نقد الشعر**، ١م، (تحقيق أحمد بدوي ، حامد عبد الحميد).

أبو موسى، محمد محمد، (١٩٨٨م). **البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري**. ط٢. ١م. القاهرة: مكتبة وهبة.

ـــــــــــــــ، (٢٠٠٦م). **خصائص التراكيب**. ط٧. ١م. القاهرة: مكتبة وهبة.

نجم الدين الغزي، أبو المكارم، محمد بن محمد، (ت١٠٦١هـ). **الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة**، ط٢ ، ٣م، دار الآفاق الجديدة، بيروت ١٩٧٩م.

النويري، شهاب الدين بن عبد الوهاب (ت٧٣٣هـ). **نهاية الإرب في فنون الأدب**، ١م، المؤسسة المصرية العامة للتغليف والترجمة والطباعة والنشر، مصر.

هاشم، هاشم محمد، (١٩٨٦م). **الالتفات في حاشية الشهاب الخفاجي**. ط١. ١م. القاهرة: مطبعة الأمانة.

ياسين، مأمون محمود (١٩٩٧م). **من روائع البديع**. ط١. ١م. دبي: مطبعة دبي.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الرسائل الجامعية

سليمان، قاسم فتحي، (١٩٨٨م). **فن الالتفات في البلاغة العربية**، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الموصل، الموصل، العراق.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

RHETORICAL TWIST (ILEIFAT) IN ABUL – SAUD INTERPRETAION IRSHAD AL- AQL- AL- SALIM

By
Fadi Awn Ibrahim AL - Shami

Supervisor
Dr. Ahmad I. Nofal

ABSTRACT

This thesis aims at studying one aspect of the miraculous nature of the Holy Quran related to its stylistic method which is the pronoun-switching technique and its power as a rhetorical method. The study is made by focusing on the applied aspect of pronoun-switching as illustrated in the writings of Abu-Assoud Al-Amadi , who lived in the tenth century After Hijra.

The thesis tracks the methodology followed by Abu-Assoud Al-Amadi in his interpretation of the Holy Quran. It also sheds light on the chronological background of the pronoun-switching technique, and the disagreement between scholars about the semantic term for the process till a coinage was made. A rhetorical examination for the pronoun-switching technique is also made, covering its general and specific uses as appeared in Abu-Asoud's writings.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

This document was created with Win2PDF available at http://www.daneprairie.com.
The unregistered version of Win2PDF is for evaluation or non-commercial use only.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit